محمد محفوظ

تراجم المؤلفين التونسيين

الجزء الأول

دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان

تراجم المؤلفين التونسيين

محمد محفوظ

تراجم المؤلفين التونسيين

الجزء الأول

دار الغرب الإسلامي

الطبعة الأولى : 1982

الطبعة الثانية : 1994

دار الغرب الإسلامي

ص.ب : 113/5787

بيروت - لبنان

مقدّمة

بسم الله الرحمان الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى اله وأصحابه أجمعين.

وبعد فقد كنت منذ عهد الشباب الباكر مغرما بتتبع تراجم التونسيين، وإذا عثرت على كتاب في تراجمهم أو مقالة في مجلة أو صحيفة في ترجمة أحدهم فكأنما ظفرت بكنز، وينتابني الفرح والسرور. وكان من أول الكتب التى طالعتها وأنا يافع في المرحلة الأولى من التعليم الثانوي كتاب (المؤنس) لابن أبي دينار، وتاريخ مقديش (نزهة الأنظار) كما كنت ولوعا بتتبع آثار التونسيين في الأدب والتاريخ والتراجم فطالعت في هذا الطور «زهر الآداب» لإبراهيم الحصري، و «عنوان الأريب» للشيخ محمد النيفر، و «المنتخبات التونسية» لحسن حسني عبد الوهاب. ولا داعي للإطالة بسرد أسماء الكتب، ويكفى منها ما يدل على الإتجاه في المطالعة والإقبال بشوق ولهف عليها وقد كنت لا أهمل أية فرصة للمطالعة بالاستعارة من الأفاضل الأكرمين، أو بغيرها من الوسائل التي تهيأت لي حتى أني أذكر أن الحاج سالم عبد الناظر الكوّاش (الفرّان) صناعة – وقد مارس هذه الصناعة بتونس العاصمة، وكوّن مكتبة بها مجموعة من المخطوطات الصالحة، تلاشى غالبها في قائم حياته، وأهديت بقيتها بعد وفاته إلى المدرسة الثانوية بطريق العين (مدرسة 15 نوفمبر) – أتذكر أني قصدته ذات مرة للطّلاع على مكتبته واستعارة ما يوافق مبتغاي، وبعد جلسة تحدّث فيها عن حياته ومعرفته لبعض أعلام تونس المرموقين المشهورين، وإقبال بعض رجال صفاقس على الاستعارة من مكتبته، لم تطب نفسه بتلبية رغبتي وبَل ظماء شوقي لصغر سني، وكان هذا الرجل – رحمه الله – صعب المراس، ملتوي التفكير.

وقد استمر هذا الاتجاه ينمو كلما تقدمت بي السن واتسع الاطلاع إلى أن دار بخلدي جمع تراجم المؤلفين التونسيين فشرعت في هذا العمل في 27 جويليه 1964 وأنجزت مجموعة من

التراجم رتبتها من أول الأمر على حروف المعجم، ثم جاءت أسباب قطعت مواصلة السير. منها تراكم مشاكل الحياة اليومية، زيادة عن ظهور بعض المؤلفات والبحوث الجديدة مما دعاني أحيانا إلى الإضافة أو التعديل والتنقيح، حتى أن بعض التراجم أعدت كتابتها مرتين أو ثلاثا. فقلت في نفسي: هذا عمل شاق لا آخر له. وكلما صدر كتاب جديد في تاريخ تونس أو في تراجم أعلامها أطالعه ثم أنتقي منه ما أريد من تراجم ومعلومات لها صلة بهذه التراجم. وقلت في نفسي: هذه مشقة أخرى مطالعة وانتقاء وإضافة، متى تنتهي هذه السلسلة المتلاحقة؟ أما لها من آخر؟

واعترى عزيمتي الضعف، وساورها اليأس وضؤل نشاطي في التدوين. ثم ان المطالعة والبحث والكتابة مع تعدد المشاريع توزع الجهد ولا تساعد كثيراً على الإنتاج ذي الوجهة المعينة والمادة الغزيرة والحجم الكبير، وانقطعت عن مواصلة العمل مدة تقرب من ثماني سنوات ثم بدا لي مراجعته ومواصلته حتى يتم وقلت في نفسي أنجزه ولو كان فيه بعض جوانب نقص شعرت بها من أول وهلة لقلة ما لديّ من مادة ووسائل.

وغرضي من وضع هذا الكتاب هو سهولة الكشف عن تراجم المؤلفين التونسيين قدامى ومحدثين لذا رتّبته على حروف المعجم، أذكر اللقب العائلي. وإن اشتهر المترجم له بنسبته البلدية فقط اقتصرت على هذه النسبة. هذا وأشعر بأن التراجم متفاوتة في الكم والكيف وسبب ذلك أن بعض المترجم لهم لم تتوفر لدي المادة الكافية للإفاضة في ترجمتهم فاجتزأت بما وجدت وقد جالت بخاطري فكرة هي أن تبقى هذه التراجم مذكرة شخصية لي. وبعد التروي قلت في نفسي، إن إنجاز هذا العمل لا يخلو من فائدة للقاصرين أمثالي. ثم أنه إذا برز للوجود وتفضل الكاتبون الكرام والنقّاد ببيان ما فيه من جوانب نقص، كنت أنا أول المستفيدين من هذا البيان فأبذل جهدي لتلافي النقص في ملحق أو في طبعة ثانية إذا يسّر الله، وإذا بقي هذا التصنيف قابعاً في زاوية من زوايا البيت أحرم من هذه الفوائد، ومثل هذا العمل عرضة للتحوير والتنقيح كلما ظهر جديد أو توفرت مواد لم تكن معروفة من قبل.

وقد حاولت في كل ترجمة ذكر ما تيسّر لي من آثار المترجم له وعقبت كل ترجمة بذكر مصادرها ومراجعها ولم أهمل ذكر ما وقفت عليه من صحف ومجلات.

وهذا التأليف أشبه شيء بالفهرس وقد سميته (تراجم المؤلفين التونسيين) وترجمت فيه للوافدين على تونس المتوفين بها، كما ترجمت فيه لعلماء إباضية من جزيرة جربة، ويلاحظ المتأمل أن بعضهم من ذوي الثقافة المحدودة وأن إنتاجهم ليس بذي قيمة كبيرة وأنّ بعضهم من نوابغ الأعلام ذوي المواهب الغزيرة والانتاج الثري المتنوع الذين كان لهم فضل في إثراء المكتبة العربية الإسلامية، وقد عجبت من إهمال المؤرخين التونسيين – من غير الإباضية – ترجمتهم والتنويه بهم ولا داعي لهذا غير التعصب المذهبي، وقد سار في هذا الطريق بعض المعاصرين، وإخواننا الإباضية لا يبذلون جهداً كبيراً في التعريف بأنفسهم، وكتبهم مخطوطة محتكرة عندهم لا

يجُدون في نشرها إلاّ قليلاً منها لا تشبع نهم المتطلع المستشرف للمزيد ، مع أن البعض منها وهو كثير يهم كل المسلمين والمثقفين بصفة عامة ككتب التفسير والتاريخ والتراجم، ولولا ما قام به بعض المعاصرين من التعريف بأعلامهم كالأستاذين الصادق بن مرزوق وفرحات الجعبيري الجربيين التونسييْن وعلي يحيى معمر النفوسي الليبي لبقي كثير من هؤلاء الأعلام مغموراً في طي الخفاء والكتمان. ولهؤلاء الثلاثة فضل كبير في هذا الميدان وقد اعتمدت عليهم كثيراً في ترجمة أعلام مرموقين من جربة أو من نزلائها المتوفين بها .

هذا والعناية بهم ما زالت محدودة المدى ضيّقة النطاق مع أن الكثير منهم جدير بكل تقدير وتنويه وحبذا لو يتفرّغ بعض الباحثين من شباب جزيرة جربة لإصدار دراسات خاصة في رسائل بحيث يخصص لكل واحد منهم رسالة أو يقع جمعهم في تأليف خاص يسمى (أعلام جربة) أو نحو ذلك حتى ينتشر ذكرهم ويشيع أمرهم ويصبح الجهل بهم أمراً لا يليق بكل مثقف متتبع لسير الحركة العلمية والحضارية بوطنه .

وبودّي لو يخصص ملتقى ثقافي باسم أحد أعلام جربة الأجلاّء كالتلاتليّ أو سعيد بن تعاريت الأول أو الثاني ، أو من الوافدين عليها المدفونين بها كأبي القاسم البرادي ، والجيطالي ، ويوسف المصعبي وابنه محمد ، لأن الجزيرة أخرجت على مدار القرون أعلاماً لهم مكانتهم لا في المذهب الإباضي فقط بل في التفكير الفسلفي الإسلامي ، وفي التاريخ التونسي . وإذا كان للإمام ابن عرفة ملتقى سنوي في مدنين وللشيخ علي النوري ملتقى في صفاقس ولابن أبي الضياف المؤرخ ملتقى في سليانة وللقلصادي العالم الرياضي ملتقى في باجة فلماذا لا يكون بجربة ملتقى سنوي باسم البرادي أو الجيطالي أو ابن تعاريت ، أو غيرهم من ذوي الآثار العلمية والتاريخية يبدو أن رواسب الماضي ما زالت تعمل عملها بدون شعور أو قصد ، نرجو أن يقع التدارك في المستقبل القريب بحول الله .

هذا ولا يفوتني أن أشكر كل من قدّم لي إعانة كبيرة أو صغيرة كالصديق الشاعر الأستاذ محمد الشعبوني في تاريخ وفيات بعض المعاصرين ، أو تاريخ طبع إنتاجهم أو إعارة إنتاجهم المطبوع ، والصديق الأستاذ الصادق بن مرزوق في ترجمة بعض علماء جزيرة جربة ، والأستاذ عبد الله الزناد في ترجمة الشيخ محمد مخلوف المنستيري ، والأستاذ محمد الحبيب السلامي في ترجمة قريبة شيخنا محمد المهيري ، أشكرهم جزيل الشكر وهو غاية ما أملك «والغني بما ملك» كما قال قديماً بديع الزمان الهمذاني ، وجزاهم الله كل خير وأبقاهم ذخراً للمعرفة، ومن الأمانة العلمية عز وكل فائدة لصاحبها ، علاوة عن خلق الاعتراف بالجميل لذويه ، لا السطو على الفائدة ونسبتها إلى النفس في غير تورع ولا حياء تظاهراً بسعة الاطلاع وتدليساً على القارئ وغمطاً لصاحب الحق والفضل . هذا رأيي وعقيدتي ، مع أني اكتويت بشواظ من عقوق ولؤم بعض الأفاضل . فقد أعنت بعضهم إعانة متنوعة كبيرة في تأليف له في التاريخ ، من إمداد بوثائق وكتب وترجمة من الفرنسية إلى العربية وترجمة لبعض الأشخاص وعلى ضوء ما أمددته به حور

الكتاب ونقّحه بعد أن كان على وشك تقديمه للطبع وكدت أكون شريكاً له في التأليف ، لكني تكرّمت بإعانته تشجيعاً لأخ كريم فاضل ووضعت له فهرس المصادر والمراجع ، ذكرت فيه ما لم يسمع به فضلاً عن أن يراه حتى نوّه كاتب مقدمة الكتاب بأنه واسع الاطلاع ، ومع هذا فإن هذا السيد لم يذكرني بكلمة واحدة في المقدمة ، وكأنه أمر يشينه أو ينقص من علمه وفضله ، ولم يتكرم بإهداء نسخة بعد طبع الكتاب كأن أتعابي أقل قيمة من نسخة منه وتألمت من هذا الموقف اللئيم غير المرتقب فكاتبته غاضباً وعائباً ، وانقطعت كل صلة بيني وبينه ما يقرب من ثلاث سنوات ، إذ توفي – رحمه الله وسامحه – في سبتمبر 1978 وراودتني نفسي في أول الأمر كشف حقيقة الأمر وفضح تدليسه وتلبيسه ورفع النقاب عن أخلاقه ومبلغ علمه ولدي رسائل بخط يده تثبت بعض ما أدعيت لكنني عدلت عن هذا في إبانه لأنه طاعن في السن فخشيت أن يثقل هذا عليه إذ ربما لا يتحمل الصدمة ومع كل هذا فإن طبعي لم يسرق من طبعه ولا أتحول ولا أتغير ، ولا أدعي بأني أتيت بما لم يسبقني به أحد ولكنني كشفت الستار عن بعض المغمورين ويسّرت السبيل أمام الباحثين.

والله سبحانه هو الموفّق المعين ومسدّد الخطى لسلوك الطريق القويم.

محمد محفوظ صفاقس في 19 شوّال 1398

الموافق لـ 21 نوفمبر 1978

حرف الألف

آرباش = (انظر: 58- الأندلسي)

1 – آغة (1296 - 1365 هـ) (1876 - 1946 م)

مصطفى بن عباس بن مصطفى آغة. ولد في قصر جدّه ببلدة الكرم من الضواحي الشمالية لمدينة تونس، وكان جدّه مصطفى وزير الحرب في دولة المشير الأول أحمد باشا باي وهو شاعر وأديب.

تعلّم في منزله على عادة الأسر الأرستقراطية في عصره، وتلقّى مبادئ العلوم العربية على أساتذة خواص كمحمد القرطبي، وعثمان بن المكي التوزري. ودراسته على هذين الأستاذين حببت إليه المطالعة والاستفادة من كتب الأدب، فأقبل بنهم على مطالعة الدواوين الشعرية قديمها وحديثها فتكونت له ملكة أدبية وكان آية في الذكاء صاحب دعابة ونكتة ونقد لاذع...

وقضى شبابه وصدراً من كهولته بقصره منعزلاً عن المجتمع باستثناء بعض الأعيان الذين كانوا يزورونه لحضور مجالسه الأدبية كالشيخ أحمد بيرم الحنفي شيخ الإسلام، والأستاذ حسن قلاتي (بالقاف المعقدة) المحامي وحسن حسني عبد الوهاب الباحث المؤرخ، والشيخ محمد باش طبجي والأمير محمد الناصر باي، وغيرهم.

وقد أسس مع بعض أصدقائه «النادي التونسي» الكائن بنهج الكوميسيون بإشراف الأستاذين: عبد العزيز الزاوش، وعلي باش حانبة. والملاحظ أن هذا النادي كانت تؤمه الطبقة الأرستقراطية وكانت تجري فيه الأحاديث السياسية، والمناقشات الأدبية وغيرها، وبرز من هذا النادي مشاريع تونسية عديدة كجمعية الآداب التمثيلية التي تأسست عام 1910، وجمعية قدماء الصادقية التي ظهرت عام 1905، وجريدة «التونسي» التي صدرت عام 1907 كما تفرّع عن هذا النادي «الحزب الإصلاحي» الملاين للاستعمار والذي يرضى بما يلقي إليه الاستعمار من فتات الإصلاحات، فقد قبل إصلاحات 13 جويلية 1922 التي خوّلت تأسيس المجلس الكبير، والحجرات الاقتصادية، ومجالس الجهات الخمس، ومجالس العمل، وهذا الحزب لا يرى مانعاً في سياسة المشاركة في المسؤوليات مع الفرنسيين.

ونظراً لاختلاف وجهة النظر السياسية بين الحزب الدستوري القديم والحزب الإصلاحي فقد وقع الادعاء على الحزب الأخير بأنه يسعى لمناهضة اللغة العربية من خلال المسرحيات التي تقدمها جمعية «الآداب التمثيلية» المنتمية إليه ، فأسس الحزب القديم لمناهضته جمعية «الشهامة» التي تولّى رئاستها الشيخ عبد العزيز الثعالبي . وكان لهذا التنافس أثره في الحركة المسرحية فشاهدت الجماهير مسرحيات قدمتها فرقتا الحزبين .

وكان المترجم له منتمياً للحزب الإصلاحي متحمساً لمبادئه متحملاً لكل مكروه في سبيلها نوّهت جريدتا هذا الحزب «البرهان» و «النهضة» بالمترجم له ونشرتا له مقالاته وأشعاره .

وذكر الشيخ الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور في كتابه «الحركة الأدبية والفكرية في تونس» عمل المترجم له في الحزب الإصلاحي الذي تمسك بإصلاحات عام 1922 على عهد المقيم العام لوسيان سان ، وكان يرى أنها خير من لا شيء فيقول عنه وعن المعركة الحزبية والسياسية التي أرادها الاستعمار لتفريق الصفوف وإضعاف المقاومة والقضاء عليها « . . .واحتضن مصطفى آغة نادي الحزب ونوّهت به جريدتهم . وكان من شغوفه الذاتي وتساميه الفلسفي واعتداده بحكم العقل والمنطق في كل شيء ما أبعد الشقة بينه وبين الحركة الشعبية ، وعملت جريدة الحزب الإصلاحي على إغاظة الشاذلي خزنة دار في مناصرة مصطفى آغة وتقديمه فكان للمعركة الحزبية السياسية دخل كبير في الميدان الأدبي بالمفاضلة بين الشاعِرين ، كما كان بين الوطنيين والإصلاحيين بمصر بين حافظ وشوقي .

. . . واصطبغت قصائد كل من الشاعرين بصبغة المسلك الذي ارتضاه لنفسه فجاءت قصائد خزنة دار حماسية تفخر بالانتصارات وتثور في وجه الاعتداءات تصدر بمناسبة المواقع الكمالية وحفلات الهلال الأحمر وحوادث التنكر للوطنيين والابتهاج برجوع المبعدين وخروج المساجين ووصف المظاهرات وتشييع الوفود وانعقاد المجامع السياسية وتفيض كلها حماساً ووثوقاً بانتصار الحق وحسن عاقبة الصدق ويقوم فنها الشعري على وحدة الغرض وتسلسل عناصره وطول النفس وتلافي القصر على طريق الأطناب فكانت قصائده كالخطب لها من الأثر في السامع وقت إنشادها ما لا يستطيع الناقد أن يكشف عنه ما لم يحدد الظروف التي مكنت لها من القبول، على أن النقد المنصرف للفن الصرف لا يستطيع أن يغطي على أسقام في التركيب ، وزحافات في الأوزان ، وابتذال في المعاني وحشو في الألفاظ ، كانت الحرارة الفائضة من تلك القصائد تذيبها فلا يحسها السامعون .

أما قصائد مصطفى آغة فقد كانت بمعزل عن هذه المؤثرات لم تشر إلى الحركة الوطنية بكلمة ولا جرى فيها ذكر زعيم ولا لفتة إلى السياسة بل تمحضت إلى النظر الفلسفي والوصف الاجتماعي ، وأقيم هيكلها على تصوير المقامات وتخييل المحاورات بروح فسلفية ساخرة قانطة تنظر إلى البؤس المادي والشقاء العقلي اللذين حفا بحياة الناس كما ينظر المعري في «اللزوميات» . وصوغها واضح جزل التركيب مستكثر من البديع ، مطرد في الوصف

يتمشى مع تنقل الحوار وتسلسل الأحداث والمعاني فتتواصل فيه الأبيات لأنها جملة واحدة حتى يكثر فيها التضمين وربما يتعاصى عليه اتحاد الميزان الشعري مع ما يريد من جزالة وسهولة في التركيب فيتغلب على ذلك بزحاف أو خَبْن، وكثيراً ما يقع بسبب ذلك في إهمال القواعد النحوية فيلحن لحناً فاحشاً، على أنه شاعر الحكمة السامية وصاحب الخيال البديع، حقيق بشعره أن يحتل منزلة الاعتبار في مقاييس الآداب العالمية إلا أنه قليل التفنن منسوج على منوال واحد».

آثرنا نقل كلام الشيخ الفاضل بن عاشور على طوله لأنه فيه تحليل واف لخصائص شعر آغة ومميزاته غير أننا نلاحظ فيما يخص النظر الفلسفي في شعره أنه كان منعزلاً عن المجتمع منطوياً على نفسه فنمت عنده ملكة التأمل العقلي، وأودع شعره هذه التأملات العقلية وهي ليست بنظر فلسفي إلا على ضرب من التجوز. وهو لا يعرف الفلسفة ولا يتقيد بمذهب من مذاهبها ولا بأصولها. على أن هذه التأملات العقلية، وما يسري في أوصال شعره من حوار وقصص جعلته من المجددين في ذلك العصر ولفتت إليه الأنظار بالتقدير أحياناً وبالسخرية والدعابة أحياناً أخرى، فإن الأديب محمد الصالح المهيدي تندر عليه في جريدة «النديم» فإنه دعا التونسيين إلى الاستخفاف بما يكتبه هذا الشاعر من آراء وأفكار والضحك منها. ولو كان لشعره جلال النظر الفلسفي وعمقه لما تجاسر مثل المرحوم محمد الصالح المهيدي على الدعوة إلى الاستخفاف بشعره والضحك منه.

ومن الملاحظ أن الخلاف الحزبي بينه وبين الشاذلي خزنة دار لم يحل دون ربط علاقات صداقة بينهما، فكان المترجم له يتصل به في محل سكناه بـ «منوبة» ويقضي معه الأيام والأسابيع في المراجعة والمذاكرة. وأهم ما تعلمه من خزنة دار أوزان الشعر والعروض والقوافي، وكان متخصصاً فيها. وكان من الولوعين بشعر خزنة دار ومن المهتمين بتراثه الفكري.

والمترجم له ساهم في النشاطات الفكرية الاجتماعية والثقافية ابتداء من النادي التونسي بنهج الكومسيون إلى جمعية الآداب التمثيلية، إلى جوق التمثيل العربي الذي تأسس سنة 1921 واختير ضمن هيئته المسيرة، إلى الاتحاد المسرحي الذي عيّنه سنة 1937 في لجنة فحص الروايات، إلى نشاطه في الجمعية الرشيدية التي تأسست سنة 1934 وكلّفه رئيسها المؤسس لها السيد مصطفى صفر برئاسة لجنتها الأدبية التي اضطلعت بدور هام في ميدان تأليف الأغاني وانتقاء ألفاظها وتطهيرها من المعاني المبتذلة ونوازع الانحلال، وألف كثيراً من الأغاني ومن أشهرها قصيدته «هجر الحبيب» كما أنه غذى الإذاعة بمجموعة من أحاديثه الأدبية.

آثاره:

1- ديوان شعر طبع بالمطبعة التونسية سنة 1920/1339.

2 - بيني وبين المعرّي : مجموعة أحاديث ألقاها بالإذاعة . هي عبارة عن حوار تتبع فيه «رسالة الغفران» وأبدى نقده لها .

المراجع :

- أدباء تونسيون ، رشيد الذوادي (طبع تونس 1972) ص 9-27.
- الأدب التونسي في القرن الرابع عشر ، زين العابدين السنوسي (ط أولى) 3/2-15.
- الشعر التونسي المعاصر ، محمد الصالح الجابري (ط تونس 1974) ص 181-206.
- الحركة الأدبية والفكرية في تونس ، محمد الفاضل بن عاشور ص 145-147.
- مجمل تاريخ الأدب التونسي ، حسن حسني عبد الوهاب (ط تونس) ص 310-316.
- الأعلام 245/7 وفيه مصطفى بن محمد بن مصطفى وترجمته أملاها عليه الأستاذ عثمان الكعّاك .
- Sadok Zmerli: Figures tunisiennes: les successeurs, pp. 181-188.

* * *

2 - ابن الأبّار (658 هـ / 1280 م)

محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمان بن أحمد المعروف بابن الأبّار القُضاعي البلنسي ، نزيل تونس ، أبو عبد الله الحافظ المحدث الأديب الكاتب الشاعر المؤرخ صاحب التآليف الكثيرة . أصل والده من أندة [1].

ولد ببلنسية من بلدان شرق الأندلس ، المدينة الجميلة ذات الخصب والهواء المعتدل [2]. وكان والد ابن الأبّار من أهل العلم ، ديّناً تقياً ، قرأ على طائفة من العلماء وأجازوه . قرأ عليه ابنه صاحب الترجمة القرآن بحرف نافع ، وسمع منه أخباراً وأشعاراً ، ووجّهه وامتحن حفظه أيام الطلب وناوله جميع كتبه. قال ابن الأبّار في ترجمة والده [3]: «وكان - رحمه الله - ولا أزكيه - مقبلاً على ما يعنيه ، شديد الانقباض ، بعيداً عن التصنع ، حريصاً على التخلص ، مقدّماً في حملة القرآن ، كثير التلاوة له والتهجد به، صاحب ورع لا يكاد يهمله ، ذاكراً للقراءات مشاركاً لأخذ المسائل ، آخذاً فيما يستحسن من الأدب ، معدّلاً عند الحكام ، وكان

---

1) مدينة من كور بلنسية (الروض المعطار ص 31) واندة (Onde) اليوم مدينة صغيرة في مديرية قسطليون وتقع على 20 كيلومتراً غربي قسطليون قاعدة المديرية . وكانت أندة على أيام المسلمين تابعة لكورة بلنسية (د . حسين مؤنس مقدمة الحلة السيراء ، ص 14) . وتحرّف اسم أندة إلى أيردة عند الغبريني في (عنوان الدراية) .

2) انظر الروض المعطار للحميري ، تحقيق ليفي بروفنسال ، ص 47.

3) التكملة لكتاب الصلة رقم 1441.

القاضي أبو الحسن بن واجب يستخلفه على الصلاة بمسجد السيدة داخل بلنسية ، قرأت عليه القرآن بقراءة نافع مراراً ، وسمعت منه أخباراً وأشعاراً ، واستظهرت عليه مراراً أيام أخذي على الشيوخ يمتحن بذلك حفظي وناولني جميع كتبه ، وشاركته في أكثر من روى عنه . . .» .

ويتضح من هذا إن ابن الأبّار نشأ في وسط علمي ، ووجّهه والده لطلب العلم . ومن أشهر أعلام بلنسية بل أعلام الأندلس الذين أخذ عنهم وتخرّج بهم في علوم الحديث التي منها معرفة أسماء الرجال وأنسابهم وتواريخهم ، وتخرّج به في الكتابة أيضاً الحافظ المحدّث الحافل الأديب صاحب الرواية الواسعة والتصانيف أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي، لازمه عشرين سنة. ولم يكتف ابن الأبّار بالأخذ عن أعلام بلنسية بل جال في بلدان الأندلس للأخذ عن رجالها والرواية عنهم . وفي شيوخه كثرة ذكرهم ابن عبد الملك المراكشي في «الذيل والتكملة». وتوفي والده في ربيع الأول سنة 21/619 مارس 1222 ولم يحضر جنازته لأنه كان غائباً عن مسقط رأسه في ثغر بطليوس ، فقد جاء في أواخر ترجمته لوالده «وتوفي ببلنسية – وأنا حينئذ بثغر بطليوس – عند الظهر يوم الثلاثاء الخامس شهر ربيع الأول سنة 619 ودفن لصلاة العصر من يوم الأربعاء بعده بمقبرة باب بيطالة وهو ابن ثمان وأربعين سنة ، وحضر غسله أبو الحسن بن واجب وجماعته وكانت جنازته مشهودة ، وأثنوا عليه جميلاً نفعه الله بذلك» .

وابن الأبّار حريص على الرواية عمن تقدمت سنهم وعلا إسنادهم حتى بعد استكمال تحصيله وتجاوز طور الشباب ، اتباعاً لتقليد شاع في أوساط المحدثين ، فقد لقي بتونس المقرئ الراوية أبا زكريا يحيى بن محمد بن عبد الرحمان البرقي المهدوي مصروفاً عن قضاء المهدية (ت .سنة 1251/647) . وقد اجتمع البرقي في تونس بالحافظ أبي الخطاب عمر بن حسن الكلبي المعروف بابن دحية ، وروى عنه ، وروى عنه عبد المنعم بن عبد الرحيم الخزرجي المعروف بابن الفرس[1]. ويبدو أن ابن الأبّار كان عارفاً بمكانته قبل لقائه .

وبعد استكمال تحصيله وإشباع نهمه من لقاء الشيوخ بالقطر الأندلسي رجع إلى مسقط رأسه بلنسية فتولى الكتابة لواليها أبي عبد الله بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن المعروف بالبياسي وقد نشأ هو وأخوه أبو زيد عبد الرحمان في بياسة ، فعرفوا من أجل ذلك بالبياسيين . ولما خرج من بلنسية والتجأ إلى حلفائه القشتاليين خلفه على إمارة بلنسية أخوه أبو زيد عبد الرحمان ، واستمر ابن الأبّار على خطته في الكتابة حتى إذا ضيق على هذا الأمير أبو جميل زيان بن أبي الحملات مدافع بن يوسف بن سعد بن مردنيش في بلنسية التجأ إلى حليفه جايم أو خايمه الأول ملك أراغون وصحبه كاتبه ابن الأبّار ثم رجع ابن الأبّار إلى بلنسية عندما رآه يفضل الإقامة في بلاد ملك أراغون وعمل كاتباً لأبي جميل زيان بن مردنيش الوالي الجديد على بلنسية . وكان القطر الأندلسي في هذا العصر مختل الأوضاع تعصف به الحروب

1) المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي ص 211 عرضاً في ترجمة عبد الله بن محمد بن أيوب الفهري .

الداخلية والحروب الخارجية من الإسبان بقيادة ملك قشتالة وملك أرغوان بحيث أن حركة الاسترداد الإسبانية سجلت انتصارات متعددة واحتلت مدناً عديدة، وكانت الدولة الموحدية في طورها الأخير من الضعف والانحلال، وأفراد بيتها منقسمون على أنفسهم متعطشون إلى السلطة تعطشاً محموماً بدون إقامة وزن للظروف الحرجة والمصلحة العامة، وأمراء الطوائف من الأندلسيين يتحاربون ويستعينون بهذا وذاك من ملوك الاسبان للتغلب على خصومهم ويرضون في مقابل ذلك بأداء إتاوة سنوية وهي نوع من الحماية بعدها الاحتلال في الفرصة المؤاتية، ويظهر للمتأمل أن مصير الأندلس تقرر منذ العقود الأولى من القرن السادس الهجري.

وكان شرقي البلاد الأندلسية هدفاً لهجومات ملك أراغون خايما الأول فاستولى على كثير من القلاع حول بلنسية وشُقْر سنة 1236/633 وبنى حصن أنيشة قرب بلنسية ليعسكر فيه جنده استعداداً لحصار بلنسية، وقد حاول ابن مردنيش أن يبذل آخر جهوده فاستنفر أهل شاطبة وشقر، فانضموا إلى جند بلنسية، وهاجموا حصن أنيشة في العشرين من ذي الحجة سنة 13/634 أوت 1237 ولكنهم هزموا وقتل في المعركة كثير من الفقهاء والعلماء، ومن بينهم العلاّمة المحدّث أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي شيخ ابن الأبّار[1] وهو مقبل غير مدبر يحرض الفارين على القتال.

وكانت هزيمة المسلمين أمام حصن أنيشة دليلاً على قرب سقوط بلنسية فأخذ الناس في الانتقال منها. وفي رمضان سنة 1238/635 هاجم ملك أراغون بلنسية وضرب حولها حصاراً قوياً وأدرك المسلمون فيها أن لا طاقة لهم بصد المحاصرين وعزموا على الاستعانة بسلطان الدولة الحفصية في تونس وعند ذلك أرسل ابن مردنيش وفداً من أهل بلنسية إلى سلطان تونس أبي زكريا يحيى الحفصي وعيّن كاتبه ابن الأبّار من بين أعضاء الوفد في رجب سنة 636/ ديسمبر 1238 وطالب الوفد السلطان أبا زكريا الحفصي بنجدتهم وأدى ابن الأبّار مهمته خير تأدية وأنشد بين يدي أبي زكريا الحفصي[2] قصيدته السينية الطويلة وعدد أبياتها 67 بيتاً من البحر البسيط طالعها:

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا　　إن السبيل إلى منجاتها درسا

«وفيها من التكلف ما يكاد يصرف قارئها عن الحال المحزن الذي قيلت فيه[3]». «وهو فيها شاعر مملوء النفس بالعاطفة مغمور الفؤاد بالأسى بين وطن مغلوب، وملك بالرجاء مطلوب، فالمعاني متوفرة، ومجال القول ذو سعة، من أجل ذلك أطال وأجاد ووجد وجوه الكلام مختلفة، فصال وجال لكنه كان فيها الواصف الناقل ينتقل من هذا كله ولم يكن الخائل الذي يملك تلوين هذه الأوصاف المنقولة وترويقها لتروق حيناً وتهول حيناً آخر، فهذا

1) انظر: صالح الأشتر، مقدمة إعتاب الكتاب ص 9.
2) المرجع السالف ص 10-11.
3) حسين مؤنس مقدمة «الحلة السيراء» ص 35.

الخطب تفزع له النفوس وتجزع، وهو في حاجة إلى من يصوره فيحسن تصويره لا من يسرده فيحسن سرده.

وإنك إذ تحس جزعاً وهلعاً عند سماعك هذه القصيدة أو قراءتها فليس شعر الشاعر مبعثه أو مأتاه ولكن ما انطوت عليه الأبيات من تلك الحقائق المتراصة التي أحسن الشاعر جمعها ولم يحسن وصفها» (1).

ولكن القصيدة على أي حال حققت الهدف من إنشادها، وكان لها تأثير في نفس السلطان أبي زكريا فتحمّس وأرسل أسطولاً إلى بلنسية مشحوناً بالسلاح والقوت والمال.

وكان الملك خايمة الأول قد ضيّق الحصار على بلنسية وراقب ميناءها، وحاول الأسطول الحفصي النزول في موضع جراو قرب بلنسية في 4 محرّم 18/636 أوت 1238 فلم يستطع النزول لوجود الجنود النصارى «فأرسل قائد الحملة أبو يحيى بن أبي حفص عمر الهنتاتي المعروف بالشهيد إلى أبي زكريا الحفصي يعلمه بالحال، واتجه هو بالسفن إلى دانية وهي تابعة لإبن مردنيش وأرسى فيها في 12 محرّم 26/636 أوت 1238 وترك لأهلها الطعام والسلاح اللذين كان يحملهما أما المال فقد عاد به إذ لم يجد من يتسلمه منه» (2).

وكان الحصار محكماً شديداً حول بلنسية، والقتال ضارياً عنيفاً وأعداد جند النصارى تتزايد يوماً بعد يوم «حتى أصبح معسكر ملك أراغون كأنه مدينة كبيرة، خفّ إليها التجار من كل صوب» (3).

وفي الوضع المتأزم اليائس استقر رأي زيان بن مردنيش على مفاوضة الأعداء لتسليم مدينة بلنسية، وتم التسليم في 17 صفر 636/ سبتمبر 1238 وقد اشترك ابن الأبّار في المفاوضات وكتب العقد.

وقد وصف ابن الأبّار موكب التسليم، وبعض ما تضمنه اتفاق التسليم وانتقال الناس من بلنسية وخروج ابن مردنيش من قصر الإمارة، قال: «ثم ملكها الروم ثانية بعد أن حاصرها الطاغية جاقم البرشلوني من يوم الخميس الخامس من شهر رمضان سنة خمس وثلاثين وستمائة إلى يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر سنة ست وثلاثين وفي هذا اليوم خرج أبو جميل زيان بن مدافع بن يوسف بن سعد الجذامي من المدينة، فهو - يومئذ - أميرها في أهل بيته ووجوه

---

1) إبراهيم الأبياري، مقدمة «المقتضب من تحفة القادم» ص. ع. وأثارت هذه القصيدة نقداً ودفاعاً في تونس، فقد انتقدها بعضهم وورد على هؤلاء المنتقدين إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم التجاني (ت في حدود 1262/660) بتأليفه «مؤازرة الوافد ومبارزة الناقد في الانتصار لابن الأبّار»، انظر مقدمة رحلة التجاني للمرحوم حسن حسني عبد الوهاب ص 9، 10.

2) مقدمة الحلة السيراء ص 35.

3) المرجع السالف.

الطلبة والجند وأقبل الطاغية وقد تزيى بأحسن زي في عظماء قومه من حيث نزل بالرصافة أول هذه النازلة فتلاقيا بالولجة[1] واتفقا على أن يتسلم الطاغية البلد سلماً لعشرين يوماً ينتقل أهله أثناءها بأموالهم وأسبابهم وحضرت ذلك كله وتوليت العقد عن أبي جميل في ذلك وابتدئ بضعفة الناس وسيروا في البحر إلى نواحي دانية ، واتصل انتقال سائرهم براً وبحراً وصبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر المذكور كان خروج أبي جميل بأهله من القصر في طائفة يسيرة أقامت معه وعند ذلك استولى عليها الروم» [2].

وكان حزن المسلمين على سقوط بلنسية عظيماً ، وبكى ابن الأبّار مسقط رأسه بدمع غزير[3] قال من رسالة له : «أما الأوطان المحبب عهدها بحكم الشباب ، المشبب فيها بمحاسن الأحباب فقد ودعنا معاهدها وداع الأبد ، وأخنى عليها الذي أخنى لبد أسلمها الإسلام. وانتظمها الانتثار والاصطلام، حين وقعت أنسرها الطائرة ، وطلعت أنحسها الغائرة فغلب على الجذل الحزن، وذهب مع المسكن السكن (بسيط):.

كزعزع الريح صك الدوحَ عاصفها   فلم يدع من جنى فيها ولا غصن
واهاً وواهاً يموت الصبر بينهما   موت المجاهد بين البخل والجبن

أين بلنسية ومغانيها وأغاريد ورقها وأغانيها ، وأين حلى رصافتها وجسرها ، ومنزلا عطائها ونصرها، أين أفناؤها تندى غضارة وذكاؤها تبدو من خضارة، أين جداولها المنساحة وذمائلها ، أين جناتها النفاحة وشَمائلها ، شد ما عطل من قلائد أزها نحرها ، وخلعت شعشعانية الضحى بحيرتها وبحرها ، فأية حيلة لا حيلة في صرفها مع صرف الزمان ، وهل كانت حتى بانت إلا رونق الحق وبشاشة الإيمان ، ثم لم يلبث داء عقرها أن دب إلى جزيرة شقر فأمرّ عذبها النمير وذوى غصنها النضير ، وخرست حمائم أدواحها وركدت نواسم أرواحها» [4].

وقد عدّد ابن الأبّار المدن الأندلسية التي سقطت بأيدي الاسبان ، والتي يتوقع سقوطها « . . .وتلك البيرة بصدد البوار ، ورية في مثل حلقة السوار ، ولامرية في المرية وخفقها على الجوار إلى بنيات لواحق بالأمهات ، ونواطق بهاك لأول ناطق بهات» .

وذهب ابن مردنيش إلى دانية ومعه ابن الأبّار ، ثم رأى ابن الأبّار الانتقال إلى تونس

---

1) الولجة بالاسبانية (Huelga) وهي الرحبة الواسعة التي تستعمل للنزهة واستعمال ابن الأبّار لهذا اللفظ هنا يدل على أنه كان جارياً في استعمال الأندلسيين. وقد وجدت ولجات كثيرة قرب مدن أخرى ولكني لم أعثر على ولجة بلنسية (د. حسين مؤنس : تعليق رقم (1) على الحلة السيراء 126/2) .
2) الحلة السيراء 127/2.
3) مقدمة «إعتاب الكتّاب» ص 12.
4) الرسالة أورد قسماً كبيراً منها الحميري في الروض المعطار ص 52-54. [ص 100 من طبعة احسان عبّاس].

والاستقرار بها ليأسه من الوضع السيئ بالأندلس، ولحسن استقباله بتونس عند زيارته الأولى وتقديره وذيوع صيته[1] وأكرم أبو زكريا الحفصي وفادته وولاه كتابة العلامة، وهي عبارة عن التواقيع التي تضاف إلى المكاتبات السلطانية وترفع إلى السلطان ليضع عليها خاتمة[2].

تولّى ابن الأبّار هذه الخطة بعد وفاة أبي عبد الله محمد بن الجلاء البجائي[3] سنة 638/1240 صاحب خطة الإنشاء والعلامة.

وكان من المنتظر أن يلاقي النجاح والتوفيق لسابق تجربته في الخدمة بقصر الإمارة ببلنسية ولكنه لسوء أخلاقه وعدم احترازه من فلتات لسانه لم ينجح في الاضطلاع بهذه المهمة السامية وأخر وبعد تأخيره وتولية غيره كتابة العلامة لم يتقيد بدقة بما أعطي له من أوامر ولعل ذلك مبعثه الغرور.

قال الزركشي[4]: «ثم أخر لسوء خلقه وإقدامه على التعليم (أي كتابة العلامة) في كتب لم يؤمر بالتعليم فيها».

ومثل هذا التفصي من القيود والسير بما تمليه الشهوة والرغبة، وبعبارة أخرى عدم التقيد بأي رسم من رسوم الإجراءات والأنظمة الديوانية، ومثل هذا ربما نجد له مبرراً إذا كان القائم بهذه الوظيفة غراً عديم التجربة، أما ابن الأبّار ذو التجربة السابقة فلا تفسير لسلوكه إلا الغرور وإذا كان هكذا فما له والاتصال بقصر له نظمه وتقاليده ويتقلد فيه وظيفة أخرى؟

وآل الأمر إلى تأخير السلطان أبي زكريا الحفصي لابن الأبّار عن كتابة العلامة وتقديم

---

1) ذهب الغبريني في «عنوان الدراية» ص 206 إلى أنه نزل بجاية أولاً (بالقطر الجزائري) واستدعاه إلى تونس المستنصر «وقضى رسالة عند ملك أفريقية في حديث طويل، ثم رجع إلى العدوة قاصداً استيطانها فتخير سكنى بجاية ثم استدعاه أمير المؤمنين المستنصر إلى حضرته فدخلها . . .» والذي ذكر غيره أنه نزل تونس في عهد أبي زكريا والد المستنصر وتولى كتابة العلامة له. ثم غضب عليه فاستجار بولي العهد أبي يحيى الذي مات قبل أن تتم المهمة فاستجار بولي العهد الجديد المستنصر وكان ولي العهد يقيم ببجاية والظاهر من سياق الأحداث أن ابن الأبّار دخل بجاية مرتين مرة في عهد أبي زكريا ومرة في عهد المستنصر حين غضب عليه.

2) مقدمة الحلة السيراء ص 39.
الأوامر الصادرة من الخليفة يكتب عليها العلامة الكبرى «الحمد لله والشكر لله» في أول الكتاب بعد البسملة والعلامة الصغرى في آخر الكتاب إذا كان الأمر يكبر قدر الخليفة عنه وأول من ابتدع تقسيم العلامة إلى كبرى وصغرى شيخ الدولة أبو سعيد عثمان المعروف بالعود الرطب حوالى سنة 1261/650 في عهد المستنصر (راجع تاريخ الدولتين للزركشي ص 25-26).
والعلامة هي شعار الدولة وصيغتها التي تدرج بها الأوامر السلطانية، وتعتبر مقرراتها نافذة (محمد التركي مقدمة مستودع العلامة لابن الأحمر ص 8).
وصاحب العلامة هو كاتب السر (رئيس ديوان الإنشاء).

3) تاريخ الدولتين 21.

4) تاريخ الدولتين 21.

أحمد بن إبراهيم بن عبد الحق الغساني التونسي المولد الأندلسي الأصل[1] وكان يكتب العلامة بالخط المشرقي[2] بما نصه : «من الأمير أبي زكريا ابن الشيخ أبي حفص»[3] وطلب من ابن الأبّار أن يقتصر على إنشاء الرسائل وكتابتها وأن يدع كتابة العلامة فيها لأحمد بن ابراهيم الغساني فلم يمتثل ما أمر به فبقي يكتب العلامة فعوتب في ذلك وروجع فاستشاط غضباً ورمى بالقلم من يده وأنشد متمثلاً ببيت المتنبي :

أطلب العز في لظى وذر الذل ولو كان في جنان الخلود

وحمل الخبر إلى السلطان فصرفه عن العمل وأمره بلزوم بيته .

وقد عزا بعض الباحثين[4] نكتبه إلى أن سعاية بعض حساد ابن الأبّار من أهل تونس ممن ساءهم أن يروا المهاجرين الأندلسيين يحتلون أرفع المناصب في الدولة الحفصية ويزاحمونهم عليها بما يملكون من ثقافات ومواهب، أي أن هناك نزعة بلدية ضيقة لا تنظر بارتياح إلى تسنم الوافدين الغرباء من الأندلسيين أعلى المناصب وأن في هؤلاء غروراً واعتداداً بأنفسهم وثقافتهم وكونهم أهلها وأحق بها من غيرهم .

وليس هذا صحيحاً من كل وجه لأن ابن الغماز البلنسي ابن بلدة ابن الأبّار وتلميذ أبي الربيع الكلاعي مثل ابن الأبّار تولى قضاء الجماعة بتونس (ما يعادل بعض اختصاصات وزير العدل الآن) مرات وكتابة العلامة الكبرى ، ولم تحدث له مشاكل أو سعايات لأن ابن الغماز كان رجلاً هادئاً عاقلاً رزيناً رضي الأخلاق ، بعيداً عن مزالق فلتات اللسان والغرور والادعاء . وكان محل تقدير من جميع الأوساط ، ولما مات تأسف الناس لفقده فرثوه بقصائد كثيرة جمعت في تأليفين لرجلين .

إن إخفاق ابن الأبّار مردّه إلى حدة طباعه وسوء أخلاقه وغروره وعدم تحرزه من فلتات لسانه ومما يدل على عدم تحرزه من فلتات لسانه وعدم تقديره لما ينجرّ عنها من نتائج غير سارة ، أنه لما قدم من بلنسية في الأسطول نزل ببنزرت وخاطب الوزير ابن أبي الحسين بغرض رسالته ووصف أباه في عنوان مكتوبه «بالمرحوم» ونبّه على ذلك فضحك وقال : «إن أباً لا تعرف حياته من موته لأب خامل» ونمي ذلك إلى الوزير فأسرّها في نفسه وراح يكيد له ، وابن

1) أنظر مستودع العلامة ص 29.
2) كان الخط في العصر الحفصي قريباً جداً من الخط المشرقي النسخي إلا في بعض الفروق اليسيرة. ومن الوثائق الباقية المكتوبة في أوائل هذا العصر نسخة من الموطأ كتبت في عصر السلطان أبي زكريا الأول ، وعليها خط الشيخ محمد بن عبد الجبار الرعيني السوسي (ولعلها الوثيقة الوحيدة التي بها خطه) للمصادقة على المقابلة والتصحيح، والنسخة موجودة بالمكتبة الوطنية بتونس ، وأصلها من مكتبة الشيخ علي النوري بصفاقس .
3) تاريخ الدولتين 21.
4) صالح الأشتر مقدمة «إعتاب الكتّاب» ص 14.
د. حسين مؤنس مقدمة «الحلة السيراء» ص 14.

الأبّار يؤذي بلسانه ويتهكم في سخرية من لا يروق له «ويبدو أنه[1] كان ممن ينبزون الآخرين بالكلام القارص أو النقد المهين في خفية وتستر حاسبين أن أمرهم لا يفتضح وأمرهم في الحقيقة لا يخفى على أحد، ومن هنا لقبه خصومه بالفأر ويغلب على الظن أن وجهه كان صغيراً نحيلاً، ومن هناك قال فيه أحد خصومه وهو أبو الحسن علي بن شلبون المعافري البلنسي [كامل]:

لا تعجبوا لمضرة نالت جميـ ـع الخلق صادرة من الآبار
أوليس فأراً خلقة وخليقة والفأر مجبول على الأضرار

وبعد صرف ابن الأبّار عن خطته انتقل إلى بجاية لملاقاة ولي العهد أبي يحيى زكريا «وكان في أيام أبيه شاباً مستضعفاً دائم الخوف من إخوته محمد وابراهيم وعمر وأبي بكر (وكلهم ولي بعده) ومن أبناء عمه محمد بن عبد الواحد المعروف باللحياني لعظيم لحيته، ولهذا كان حريصاً على أن يكسب لنفسه أنصاراً يشدون أزره، فسره أن يتشفع به ابن الأبّار فكلّم أباه في أمره فأعاده إلى الرضا»[2].

وفي فترة الابتعاد عن الخدمة نظم القصائد الضارعة معتذراً وراجياً عفو السلطان أبي زكريا من زلقة:

لمبشري برضاك أن يتحكما لا المال استثني عليه ولا الدما
ندمي على ما ندّ مني دائم وعلامة الأوّابِ أن يتندما

وفي هذه الفترة ألف ابن الأبّار «إعتاب الكتّاب» «برسم السلطان أبي زكريا، وتذلل في فاتحته فأسرف في التذلل، وقصّ فيه حكايات كتّاب غضب عليهم الملوك والأمراء ثم عفوا عنهم وقبلوا أعذارهم واعتبوهم.

أين هذا من تمثله منشداً:

أطلب العز في لظى وذر الذل ولو كان في جنان الخلود

بل ها هو ذا متضرع ذليل في الدنيا لا في دار الخلود!

إن ابن الأبّار تحمله الحدة وسوء الخلق على عدم الانسجام بين مواقفه وأقواله وما كان أغناه عن التذلل والركوع لو أحسن ضبط نفسه ولم يكرع من ماء الغرور العكر.

وتوفي السلطان أبو زكريا سنة 1248/647 وتولى بعده أبو عبد الله محمد الملقب بالمستنصر ثاني أولاده وقد رتب جماعة من العلماء والأدباء لمجالسته وكثير منهم أندلسيون

1) مقدمة الحلة السيراء ص 41، مقدمة المقتضب من تحفة القادم ص (يُ).
2) مقدمة الحلة السيراء ص 42.

كابن عصفور وابن الأبّار وأبي بكر آبن سيد الناس وأبي المطرّف بن عميرة وغيرهم.

وابن الأبّار لم يستفد من تجاربه في خدمته الديوانية مع ما فيه من خفة وطيش فألب الأعداء حوله لسلاطة لسانه وإيذائه به وغروره فلم يقصّر هؤلاء في نسج الدسائس له حتى أودوا بحياته ومنهم الوزير أحمد بن أبي الحسين، والكاتب أحمد بن إبراهيم الغساني، هذا زيادة عما في حياة القصر من رسوم تضيق بالفضول والغرور.

وقد تمكّن خصوم ابن الأبّار وأضداده وفي مقدمتهم الوزير ابن أبي الحسين من إيغار صدر المستنصر عليه، فنفاه إلى بجاية سنة 655/1257.

وفي مدة نفية ببجاية لقيه أبو الحسن علي بن سعيد الأندلسي وقال بعد أن أشار إلى قصيدته السينية وتوفيقه فيها وإعجاب الناس بها: «إلا أن أخلاقه لم تعنه على الوفاء بأسباب الخدمة، فقلصت عند ذلك النعمة، وأخر من تلك العناية، وارتحل إلى بجاية، وهو الآن عاطل من الرتب، خال من حلى الادب مشتغل بالتصنيف في فنونه، مُثْقَلٌ منه بواجبه ومسنونه، ولي معه مجالسات آنق من الشباب، وأبهج من الروض عند نزول السحاب[1].

وفي هذه الفترة نقّح وزاد في كتابة «التكملة لكتاب الصلة» وأتم كتابه «الحلة السيراء» واستطاع ابن الأبّار أن يسترضي السلطان المستنصر فعاد إلى تونس. ولم تطل مدة إقامته بها حتى قتل.

وذكروا في سبب قتله أنه جرى بالمجلس يوماً ذكر مولد الواثق ابن السلطان المستنصر فلما كان من الغد جلب ابن الأبّار بطاقة يعرف فيها بساعة المولد والطالع[2] فلما وقف عليه المستنصر قال: «هذا فضول ودخول فيما لا يعنيه من أمرنا» وأمر بتثقيفه بسقيفة القصبة، وبعث إلى داره أحمد بن إبراهيم الغساني وبينهما من العداوة ما يكون بين صاحب خطة أخذها أحدهما من الآخر فوجد في تقاييده أبياتاً منها:

طغى بتونس خلف سمّوه ظلماً خليفة[3]

وحكى المرادي أن البيت الذي وجد له يقتضي هجاء الخليفة هو قوله:

عق أباه وجفا أمه ولم يقل من عثرة عمه

فلما قرأها السلطان أمر بضربه ضرباً شديداً ثم قتل مرشوقاً بالرماح، وأخذت كتبه

---

1) نفح الطيب 282/4 وينظر اختصار القدح المعلى 191.

2) يبدو أنه كان عارفاً بالتنجيم.

3) بعد سقوط الخلافة العباسية ببغداد بسنوات تلقب المستنصر الحفصي بلقب الخليفة وأمير المؤمنين وجاءت البيعة من الآفاق. وإذا ثبت هذا البيت فإن ابن الأبّار لا يراه أهلاً للخلافة.

وتقاييده فأحرقت في موضع قتله وكانت خمسة وأربعين تأليفاً وذلك في صبيحة يوم الثلاثاء 21 محرّم 658 بمقصورة المحتسب خارج باب ينتجمي[1] ثم ندم السلطان بعد ذلك على قتله.

قال المؤرخ ابن أبي الضياف: «وتركها شنعاء في مُلوك الإطلاق»[2].

وقيل إن سبب قتله أنه وجد بين كتبه «كتاب في التاريخ» عثر فيه على ما يسيء إلى المستنصر أثار السلطان فقتله[3].

وسواء صحّت هذه الحكاية أو تلك في سبب قتله أو لم تصح فإنها لا تفقد دلالتها في عدم احتراز ابن الأبّار من فلتات لسانه وبدوات قلمه وإن الذين ربما دسوا بين أوراقه بيتي الشعر السالفين كانوا عارفين بنفسيته وأخلاقه بحيث إذا تعمدوا الكذب والوضع لا يكذبهم ما عرف عنه من صفات وأخلاق.

ويصدق على ابن الأبّار أنه كان «غير عارف بزمانه ولا مقبل على شانه» لأنه جلب لنفسه عداوة رجال كان في غنى عنها، ولم يكن عارفاً بشهوة ملوك الإطلاق في سفك دم من لا يروق لهم أو يخالفهم في الرأي الخلاف البسيط.

ولا نبرئ المستنصر من جسارته على سفك الدماء وليس ابن الأبّار هو الوحيد الذي قتله بل قتل إبراهيم[4] اللّلياني، ودبر اغتيال ابن عصفور الأشبيلي النحوي وقد بالغ المستنصر في شناعة الانتقام فلم يقتصر على الأمر بضرب ابن الأبّار وقتله، بل أحرق شلوه مع كتبه. وما ذنب الكتب حتى تحرق؟! نعوذ بالله من غضب يفقد معه صاحبه رشده واتزانه وكان بوسع المستنصر الاحتفاظ بمكتبة ابن الأبّار وضمها إلى مكتبة القصر وتيسير السبيل لمن يريد الاطلاع أو النسخ وهي كتب علمية بعيدة عن السياسة، ولا تدعو إلى الانتفاض أو الثورة أو الخلاف، وبوسعه التخلص من بعض كتب قليلة تسيء إليه ولا تروق له ككتاب التاريخ - على ما قيل - وكان هذا العمل الإجرامي الجنوني من المستنصر سبباً في اتلاف مؤلفات ابن الأبّار بحيث لم يبق منها إلا القليل مما نسخه بعض الآخذين عنه وسمعه منه قبل قتله.

ثناء العلماء عليه:

قال ابن عبد الملك المراكشي: «وكان آخر رجال الأندلس براعة واتقاناً وتوسعاً في المعارف وافتناناً، محدّثاً مكثراً ضابطاً، عدلاً ثقة، ناقداً يقظاً، ذاكراً للتواريخ على تباين

1) من أبواب القصبة.
2) الإتحاف، 161/1 (المُراجع م.ي.).
3) نفح الطيب 349/3.
4) الصحيح أنه أبو العبّاس أحمد بن ابراهيم، قتله سنة 659، انظر: [رحلة التجاني، 371].

أغراضها متبحراً في علوم اللسان نحواً ولغة وأدباً، كاتباً بليغاً، شاعراً مفلقاً مجيداً، عني بالتأليف وبحث فيه واعين عليه موفور مادته وحسن التهدي إلى سلوك جادته فصنف فيما كان ينتحله مصنفات برز في إجادتها، وأعجز عن الوفاء بشكر إفادتها»[1].

وقال عبد الحي الكتاني[2]: «وهو عندي عديل ابن خلدون وابن الخطيب في الإنشاء وملكة الشعر، ويفوقهما بصناعة الحديث ومعرفته معرفة تامة، ليس للتونسيين من يشاركه ويضارعه فيها، ولفرط اعتنائه وعظيم اهتباله قال الغبريني في «عنوان الدراية[3]»: لا يكاد كتاب من الكتب الموضوعة في الإسلام إلا وله فيه رواية بعموم أو خصوص».

تلامذته :

روى عنه صهره على بنته أبو الحسن عيسى بن لب، وأبو بكر بن أحمد آبن سيد الناس، وأبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد التجاني التونسي، ومحمد بن أبي القاسم بن رزين التجيبي نزيل تونس، ومحمد بن الجلاب نزيلها، وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن برطلة، وعبد الله بن هارون[4] الطائي القرطبي نزيل تونس.

وابن الأبّار لم ينتصب للتدريس والإسماع في مسجد أو مدرسة، ولعل هؤلاء سمعوا منه في منزله بتونس.

مؤلفاته :

أغلب تآليفه في الحديث أو ما له صلة به كالمعاجم التي ألّفها عن بعض مشاهير محدثي الأندلس ولا يكاد المحدث يخلو من العناية بالتاريخ والتراجم. ولعل أول مؤلفاته كانت في الحديث كالمورد المسلسل، والمأخذ الصالح، ثم المعاجم، وتكملة كتاب الصلة الذي ألّفه قبل «معجم أصحاب أبي علي الصدفي» للإحالة عليه في هذا الكتاب، وتناوله بالتنقيح والزيادة في تونس وبجاية. ونذكر فيما يلي تآليفه مرتبة على حروف المعجم:

1 - حضار المرهج في إحضار المبهج على نحو كتاب أبي منصور الثعالبي. كذا قال ابن عبد الملك المراكشي ولم يبين أي كتاب من كتب الثعالبي نحا منحاه.

2 - أربعون حديثاً عن أربعين شيخاً من أربعين مصنفاً لأربعين عالماً من أربعين طريقاً إلى

1) الذيل والتكملة 258/6.
2) فهرس الفهارس 99/1.
3) عنوان الدراية 259.
4) الذيل والتكملة 257/6.

أربعين تابعاً عن أربعين صاحباً بأربعين اسماً عن أربعين قبيلاً في أربعين باباً. أبدى فيه اقتداره مع ضيق مجاله، ما عجز عنه الملاّحي من ذلك[1].

3 - الاستدراك على أبي محمد القرطبي ما أغفله من روايات الموطأ.

4 - إعتاب الكتّاب، حققه وعلّق عليه وقدّم له الدكتور صالح الأشتر وطبع بالمطبعة الهاشمية بدمشق سنة 1960/1380 من مطبوعات مجمع اللغة العربية، «وتسمية الكتاب توحي بالغرض الذي ألّف من أجله وتكشف عن موضوعه، فالأعتاب مصدر من «أعتب» وتقول «اعتبه» إذا أعطاه العتبى أي الرضى وأزال لومه وأرضاه وإعتاب الكتاب - إذن - إعطاؤهم العتبى بالرضى عنهم والعفو عن زلاتهم وإعادة الحظ والحقوق إليهم، وبذلك يلخص عنوان الكتاب غرضه وموضوعه...

والغاية من تأليف الكتاب أنه أراد أن يضرب للسلطان أبي زكريا الأمثال في حلم الملوك وعفوهم عن أخطاء كتابهم، فراح يبحث عن هذه الأمثال في تراجم الكتاب في الشرق والغرب الإسلاميين ويتقصاها ويجمعها، ويبرز في كل مثل إقالة الذنب ليحث بذلك السلطان على إقالة ذنبه، ومن هنا كان الكتاب في هيكله العام تراجم مقتضبة لهؤلاء الكتّاب وأخطائهم وعفو أسيادهم عنها. ولما كانت إقالة العثرة هي المحور الأساسي في تأليف الكتاب فقد أهمل المؤلف في ترجمة كل كاتب ما ليس له صلة بذلك المحور في حياتهم.

ويمكننا تقسيم الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول المقدمة: وفيها استعرض المؤلف موضوع كتابه ويشرح الغرض منه.

القسم الثاني: تراجم الكتّاب وعددها خمس وسبعون ترجمة تختلف طولاً وقصراً فبعضها يتسع حتى يشغل أكثر من خمس صفحات. ويضيق بعضها ويقصر فلا يزيد على أسطر قليلة...

أما تصنيفه التراجم فقد قسمت إلى قسمين ظاهرين:

أولهما لتراجم الكتّاب المشارقة وثانيهما لكتّاب المغرب الإسلامي (شمالي افريقيا والأندلس) وإن لم تكن مراعاة هذا التقسيم دقيقة جداً ذلك أننا نجد في قسم المشارقة أمثال داود القيرواني وعبد الله بن محمد الزجالي الأندلسي، كما نجد في القسم الثاني ترجمة لكاتب صلاح الدين.

وتتسلسل التراجم في كل من القسمين تسلسلاً زمنياً... وقد أهمل ابن الأبّار في كل ترجمة تحديد سني المولد والوفاة، والحق أن الكتاب يمثّل أسلوباً جديداً في فن التراجم، أسلوباً موجهاً وجهة خاصة.

---

1) الذيل والتكملة 258/6.

ويشير ابن الأبّار في أغلب الأحيان إلى مصادره التي ينقل منها ، وقد كان أميناً في نقله حتى ليبدو لنا في كتابه جمّاعة يجمع وينقل ويحاول أن يربط ويضم أطراف ما يجمعه وينقله ويضيف إلى ذلك وهنالك إشارات إلى السلطان أبي زكريا وولي عهده أبي يحيى . أما ابن الأبّار المؤلف حقاً فلا يظهر إلا في التراجم التي خص بها بعض الكتّاب الأندلسيين الذين عرفهم في حياته معرفة شخصية .

والقسم الثالث : خاتمة المؤلف وفيها يعلن ابن الأبّار غايته بعد تقديمه الكتاب إلى السلطان أبي زكريا فجميع تلك الأمثلة التي ضربها لعفو الملوك عن زلاّت كتّابهم هي دون عفو السلطان أبي زكريا عن زلته .

ولكتاب «إعتاب الكتّاب» قيمة محققة فهي مصدر تاريخي يكشف لنا عن حياة عدد كبير من الكتّاب والوزراء في الدول العربية والإسلامية وقد يقدم لنا أحياناً معلومات لا نجدها في مصدر آخر تزيدنا علماً بتلك الشخصيات السياسية التي لعبت أدواراً هامة في تاريخ الحضارة الإسلامية وتنير لنا جانباً من النظم والتقاليد التي كانت متبعة في تنظيم الدواوين وأعمالها في دول العالم الإسلامي. وكتاب «الإعتاب» بذلك كله يأخذ مكانه إلى جانب كتاب «الوزراء والكتّاب» للجهشياري و كتاب «الفخري في الآداب السلطانية» لابن الطقطقى و «كتاب الوزراء للصابي[1]» .

وقد مهّد محقق الكتاب ببحث مستفيض عن عصر ابن الأبّار وحياته ومؤلفاته ، وتحليل واف لكتاب «إعتاب الكتّاب» .

5 - إعصار الهبوب في ذكر الوطن المحبوب . ولعله يتعلق ببلده بلنسية ، وما حاق بها من محن أدت إلى سقوطها بين يدي ملك أراغون ، والملاحظ أن كلمة وطن عند القدامى ليس لها اتساع في المدلول كما في عصرنا بحيث تشمل القطر كله بل إن كلمة «الوطن» عندهم مرادفة لكلمة «مسقط الرأس» .

6 - الانتداب للتنبيه على زهر الآداب .

7 - الإيماء إلى المنجبين من العلماء (أي من أهل الأندلس) .

8 - إيماض البرق في شعراء الشرق .

9 - برنامج رواياته .

10 - كتاب التاريخ ، وكان سبب قتله وإحراق كتبه لما وجد فيه من أمور تسيء إلى المستنصر حسب رواية المقري .

1) الدكتور صالح الأشتر مقدمة إعتاب الكتاب ص 25.

11 – تحفة القادم – عارض به زاد المسافر لأبي بحر صفوان بن إدريس، كذا قال ابن عبد الملك المراكشي. ولعله جمع مادته بالأندلس وأظهره بتونس. والعنوان يدل على الغرض وظرفه. وهو «كتاب في تراجم الشعراء يضم مائة من الشعراء وأربع من الشاعرات من أهل الأندلس من رجال القرنين الخامس والسادس مع قطع مختارة من أشعارهم[1]».

وقد اختصره أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البلفيقي باسم «المقتضب من تحفة القادم» طبع في القاهرة سنة 1957 بتحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري. وهو مختصر سيء الصنيع استغنى البلفيقي فيه عن معظم النثر ولم يبق منه إلا هيكلاً جافاً يتكون من أسماء وبضعة أشعار[2].

12 – التكملة لكتاب الصلة، ألّف ابن الأبّار هذا الكتاب قبل «معجم أصحاب أبي علي الصدفي» كما يفهم من الإحالة عليه في «المعجم» في مواضع متفرقة. ألّفه بإشارة من شيخه أبي الربيع الكلاعي.

قال الدكتور حسين مؤنس «والراجح – على حسب ما استبان لي – أن كتاب «التكملة» كتب على فترات، ففيه مواد يبدو بوضوح أنها كتبت قبل سنة 1232/630-1233، وأخرى كتبت بعد هذا التاريخ، وقبل هجرة ابن الأبّار إلى المغرب، وثالثة كتبت وهو في بجاية وهذا معقول بالنسبة لكتاب كبير مثل «التكملة». صحيح أنه يفهم من فاتحة الكتاب كما نشرها محمد بن شنب في «المجلة الافريقية» (سنة 1918) ص 317 إن الفراغ من كتاب «التكملة» كان في أوائل المحرّم سنة 1233/631-34 – لكن في الكتاب مواد كتبت وابن الأبّار في تونس أو بجاية مما يدل على أن الأبّار فرغ من صورة أولى للكتاب أول محرّم سنة 631 ثم عاد إلى الكتاب ووضعه في الصورة التي وصلت إلينا وهو في بجاية للمرة الثانية[3].

وانتهى من تأليفه سنة 646 وهو مطبوع نشر القسم الكبير[4] فرانشيسكو كوديرا من حرف (ح) إلى نهاية الكتاب في مجلدين في مدريد بين عامي 1888-1889 ونشر القسم الأول الباقي منه محمد بن أبي شنب والفريد بال في الجزائر سنة 1920 ونشره عزت العطار الحسيني في القاهرة سنة 1955 وصدر منه جزءان وفي أثناء طبع الجزء الثاني مات الناشر، ولم يتم طبع البقية.

والكتاب في تراجم علماء الأندلس مرتب على حروف المعجم حسب الطريقة المغربية، على خلاف كتاب ابن الفرضي، و «الصلة» لابن بشكوال، كما سار على الطريقة المغربية في

---

1) مقدمة الحلة السيراء لمحقق الكتاب ص 47.

2) نفس المرجع ص 49.

3) مقدمة الحلة السيراء ص 49.

4) مقدمة «إعتاب الكتاب» ص 21.

الترتيب أبو العباس بن فرتون في كتابه «الذيل على الصلة» ومكمله أبو جعفر بن الزبير في كتابه «صلة الصلة» والطريقة المغربية تتفق مع الطريقة المشرقية إلى الزاي وبعده عند أهل المغرب والأندلس: ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ي[1].

وإذا كان كتاب «التكملة» مرتباً على الحروف فإنه قد روعي في هذا الترتيب الطبقات بأن يذكر المتقدمَ وفاة عَلى سابقه ولو كان في ذلك إخلال بالترتيب المعجمي الدقيق في مراعاة أسماء الآباء والأجداد مع الإسم اي ما يسمى بمراعاة الثواني والثوالث ، ولولا الفهارس المسهلة للمراجعة لأضاع الباحث وقتاً كثيراً في البحث عن ترجمة اسم في حرف من الحروف بتتبع الأسماء المشتركة ولم يوف ابن الأبّار ومن سبقه بشرط الترتيب على الطبقات «وقد كان من الاتقان في العمل أن بنوا كتبهم على ترتيب الطبقات أن يعمدوا إلى أقدم من باسم أوله حرف الباب موتاً فيصدرون به ويتبعونه مشاركيه في الإسم كما يفعلون في المفاريد ، ثم يفعلون ذلك في الأسماء اسماً اسماً، فلم يفعلوا ذلك بل نجد أول مذكور في الترجمة السابقة متأخر الوفاة عن أول مذكور في الترجمة الثانية بل في الثالثة فصاعداً ، وذلك موجود كثيراً لمن يلتمسه في كتبهم[2].

واعتبر ابن الأبّار في الترتيب زمن رواية الرواي عن شيوخه مع وفاة من قبله ومن بعده فيذكره بينهما ، وفيه من الخلل في الترتيب ما فيه لأن الراوي قد يكون زمن الرواية صغير السن ثم يعمر ما شاء الله أن يعمر فلا يكون من ذلك طبقة حسب ترتيب الوفيات. قال ابن عبد الملك المراكشي : «ومما وجدت أبا عبد الله بن الأبّار يعتبر في التطبيق زمن رواية الراوي عن شيوخه بعد وفاة من قبله ومن بعده فيوسطه بينهما فيجعل الراوي سنة عشرين وخمسمائة مثلاً بين من توفي سنة تسع عشرة وبين من توفي سنة إحدى وعشرين ولعل الراوي سنة عشرين كان طفلاً صغيراً أو ابن خمس عشرة أو عشرين ثم يعمر بعدما شاء الله ويبلغ الثمانين أو التسعين وخمسمائة وستمائة وكيف يسوغ الحكم بأنه من تلك الطبقة على مراعاة ترتيب الوفيات[3].

وسار ابن الأبّار ومن سبقه على ذكر الأسماء النادرة في المفاريد وذلك في كل حرف وعلى ذكر الغرباء في كل حرف بعد الفراغ من ذكر الأندلسيين ، والغرباء - في اصطلاحهم - وهم الطارئون على الأندلس من غيرها سواء كان أصلهم منها أو من غيرها[4].

ولاحظ الناقد المتلمح ابن عبد الملك المراكشي بأن مصطلحهم في الغرباء خارج عن عرف المحدّثين والمؤرّخين فإن نسبة الراوي إلى بلد والديه ونشأ وقرأ وروى عنه أو فارقه ثم عاد

1) الذيل والتكملة 9/1 مقدمة الكتاب .
2) المصدر السالف .
3) المصدر السالف .
4) المصدر السالف .

إليه نسبة صادقة بكل اعتبار من هذه الاعتبارات التي ذكرها العلماء، وقد اشترك في آستعمالها المتقدمون والمتأخرون فأما إن كان ناقلة بعد مولده فما بعده على تدريج الأحوال إلى غيره فإن المتقدمين راعوا موضع استقراره فهم إنما ينسبونه إلى البلد الذي صار مستقره[1] إلى أن قال: «فعلى هذا كان عمل المتقدمين أئمة المحدثين وتبعهم في ذلك المتأخرون ما عدا أبا الوليد بن الفرضي وتابعيه وهلم جرا».

واضطرب ابن الأبّار في خصوص الغرباء فقد عدّ بعضهم أندلسياً استكثاراً أو تعصباً وذكر في الغرباء من لم يدخل الأندلس، قال ابن عبد الملك المراكشي: «وقد اضطرب عمل أبي عبد الله بن الأبّار في هذا اضطراباً ينافي شهير نبله ومعروف تيقظه وتحفظه من متعلقات النقد وأسبابه فجرى في معظم كتابه على اصطلاح أبي الوليد بن الفرضي ومن تبعه وخالفهم في بعضه فذكر في الأندلسيين جماعة من الناقلة إليها عمل المتقدمين المفروغ من تقريره تشبعاً واستكثاراً وإفراطاً في التعصب الذي كان الغالب عليه حتى غلا فيه ويكفيك ما ختم به رسم أبي عبد الله بن عيسى بن المناصف - رحمه الله - بعد أن ذكره في الأندلسيين وذكر من أحواله ما رأى أن يذكره به قال: «مولده بتونس وقيل بالمهدية وهو أصح». ثم قال: وذكره في الغرباء لا يصلح ضناً به على العدوة[2] وحسبك ما احتمل هذا القول من الشهادة على قائله بما لا يليق بأهل الإنصاف من العلماء واستحكام الحسد المذموم، واحتقار طائفة كبيرة من الجلة العدويين[3]».

ومن تشبّع ابن الأبّار واستكثاره في الغرباء من لم يعرف دخولهم الأندلس كأبي المعالي الخراساني. «وكم من شاهد على أبي عبد الله بن الأبّار بفاضح التشبّع في كتابه كذكره أبا المعالي الخراساني ورواية أبي زيد الفزاري عنه وقوله إنه لا يدري أين لقيه، فما الذي يسوغ له أفراده برسم في كتابه[4].»

وذكر ابن الأبّار في «التكملة» كثيراً من العباد غير معروفين بالعلم استكثاراً وهم ليسوا من شرط كتابه ولا كتابي سلفيه «ابن الفرضي وابن بشكوال» وكذلك ذكر طائفة كبيرة ليست من شرط كتابه ولا «كتابي الشيخين أبي الوليد بن الفرضي وأبي القاسم بن بشكوال لأنهم لم يرسموا بفن من فنون العلم، وإن ذكروا بصلاح وخير واجتهاد في العبادة وانقطاع إلى أعمال

---

1) الذيل والتكملة 9/1 مقدمة الكتاب.

2) انظر التكملة لكتاب الصلة 12/2 (ط مصر) والعدوة في اصطلاح الأندلسيين هي أقطار المغرب، المغرب الأقصى والجزائر وتونس.

3) الذيل والتكملة ج 1 المقدمة.

4) ترجمة أبي المعالي الخراساني في السفر الثامن من «الذيل والتكملة»ص 368 رقم 157 وفيما يلي نص كلامه «قال المصنف - عفا الله عنه - هكذا ذكر ابن الأبّار هذا الرسم في الغرباء من غير زيادة ولا نقص ولا وجه لذكره فيهم لأنه لم يدخل الأندلس...وإنّما ذكره تشبعاً على مألوف عادته واستكثاراً بما لا يصح له تعليق (1) لمحقق الكتاب الأستاذ محمد بن شريفة.

البر فلذكرهم مجموع آخر يشملهم مع من كان على مثل أحوالهم [1].

وفي «التكملة» أحياناً التكرار وقلب النسب، ومما أخل به أي إخلال أن ذكر ابن أحمد ابن سعيد بن مطرف التجيبي من أهل قلعة أيوب، نزيل مدينة فاس، ويعرف بابن البيراقي، ويكنى أبا عبد الله، روى عن أبي محمد بن عتّاب، وكان من أهل العلم صاحب دفاتر ودواوين نفيسة، حدّث عنه أبو حفص عمر بن محمد، وتوفي في حدود الأربعين وخمسمائة عن بعض أصحابنا انتهى إليهم» [2] ثم قال بعد مائة وتسعة وستين اسماً واثر من توفي بعد أربع وثمانين ما نصه: «محمد بن أحمد بن مطرّف بن سعيد التجيبي يكنى أبا عبد الله، وروى عن ابن عتّاب، أخذ عنه ابنه عمر بن محمد انتهى إليهم» [3] وهذا هو المذكور قبل لا محالة [4].

هذه بعض الانتقادات والمآخذ على كتاب «التكملة» التي لاحظها الناقد كاتب التراجم ذي المنهج الدقيق ابن عبد الملك المراكشي.

وقد ألمّ ابن الأبّار في مقدمة «التكملة» بما زاده واستدركه على ابن الفرضي وابن بشكوال ومخالفته لهما على الحروف حسب الطريقة المغربية لا المشرقية فقال: «ولم أقتصر على الابتداء من حيث انتهى ابن بشكوال، بل تجاوزته إلى الفرضي، أتولى التقصي وأتوخى الإكمال، وربما أعدت من تخيفا ذكره وما تعرفا أمره، وخالفتهما في نسق الحروف فجريت على النهج المعروف».

وكتاب التكملة استتمام لما بدأ به أبو الوليد عبد الله بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي (351-403/962-1012) من التراجم لعلماء الأندلسيين، وواصل العمل أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الأنصاري (494-578/1100-1182) ثم استتم ما فاته في كتاب لم يصل إلينا هو كتاب «ذيل الصلة» ذكره ابن الأبّار في «معجم أصحاب أبي علي الصدفي» ثم جاء ابن الأبّار فتصدى لاستكمال ما فات سابقيه ومواصلة التراجم إلى أيامه [5].

ثم واصل العمل أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد المعروف بابن فرتون السلمي الفاسي ثم السبتي (580-660/1184-1262) في كتابه «الذيل على صلة ابن بشكوال» وهو مفقود. ثم واصل هذا العمل الجليل أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المعروف بابن الزب

1) الذيل والتكملة ج 1.
2) التكملة 451/1.
3) المصدر السالف.
4) الذيل والتكملة ج 1 المقدمة.
5) مقدمة الحلة السيراء لمحقق الكتاب ص 50.

(627-709/ 1229-1308) في كتابه «صلة الصلة» ثم واصله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي[1]، (634-703/1237-1303) في كتابه «الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة» وهو أسدها منهجاً وأغزرها مادة، وختمه ابن الخطيب بكتابه «عائد الصلة»[2].

وهذه الكتب كلها ما عدا الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي تتبع منهجاً واحداً في الترجمة فتذكر الرجل باسمه الكامل وكنيته ونسبته وبلده الذي ولد فيه أو الذي منه أصله والبلد الذي سكنه إن كان قد نزل بلداً آخر ثم شيوخه وما قرأ عليهم، ثم تلامذته ومن أخذ عنه وتختم الترجمة بتاريخ الوفاة ومكانها وتاريخ الميلاد ومكانه إذا تيسّر.

وهذه في الحقيقة ليست تراجم بالمعنى المعروف وإنما هي سجلات بالأسماء وتواريخ الميلاد والوفيات والشيوخ فلا تعطي فكرة واضحة عن المترجم له إلا فيما ندر فليس فيها إلا القليل جداً من إشارات إلى حياة الرجل وما وقع له أو صفاته وخصائصه كرجل له صفات وخصائص بل ليس فيها إلا في القليل أيضاً تلك الطرائف والحكايات الصغيرة التي تجد نماذج منها في «تاريخ القضاة» للخشني أو في «رياض النفوس» أو «الإحاطة» لابن الخطيب أو سلسلة الوفيات المشرقية التي بدأت بابن خلكان، ومن ثم فإن قيمتها للتاريخ السياسي والاجتماعي للأندلس بل فائدتها في التعريف بالرجال أنفسهم قليلة، ولكنها على أي حال أكثر فائدة من المواد التي يتضمنها الكثير من كتب علي بن سعيد وكتاب «الخريدة» للعماد الأصفهاني أو «الكتيبة الكامنة» لابن الخطيب، فهذه مجموعة مختارات وليست بتراجم أو مواد ذات قيمة تاريخية وفي هذه الحدود تتساوى كتب ابن الفرضي وابن بشكوال وابن الأبّار وابن الزبير في الدقة والاتقان وربما شف ابن بكشوال على صاحبيه في تراجمه بسبب ملكته التاريخية الواضحة، وابن الأبّار على هذا الاعتبار واحد من أعلام مؤرخي العلم بالأندلس ومرجع من المراجع التي لا يستغني عنها مؤرخ خلال القرنين السادس والسابع الهجريين بصفة خاصة[3].

13 - كتاب الحلة السيراء ابتدأ ابن الأبّار تأليف هذا الكتاب في تونس عقب استقراره بها فهو في فاتحته يتحدث عن شعر السلطان أبي زكريا يحيى وولي عهده أبي يحيى، وكانا يقرضان الأبيات منه بين الحين والحين وقد صنفه ابن الأبّار تمجيداً لشاعرية السلطان وابنه وتدليلاً على أن قول الشعر من خصال كبار الخلفاء والسلاطين والأمراء، فهذا الكتاب مثل كتاب «إعتاب الكتّاب» كتاب مناسبة ولكنها كانت مناسبة سعيدة لأنها أتاحت الفرصة لهذا الحافظ الواعي أن يسجل شيئاً من محفوظه الغزير.

---

1) ابن عبد الملك المراكشي وإن تقدمت وفاته على شيخه أبي جعفر بن الزبير لكنه استدرك على كتاب شيخه (صلة الصلة؛ ونقده في مواضع من كتابه «الذيل والتكملة» وبهذا الاعتبار ساغ ذكره بعد شيخه.

2) مقدمة الحلة السيراء ص 50.

3) مقدمة الحلة السيراء ص 50-51.

وفي الكتاب إشارة إلى أنه كان ما زال مشتغلاً بكتابته سنة 646/1249-49 وهي السنة التي توفي فيها ولي العهد أبو يحيى ، وربما يكون قد أتمه قبل وفاة أبي زكريا ولكن العجلة التي تبدو في الباب الأخير من الكتاب تدل على أنه أتمه بعد هذه السنة بمدة قصيرة ، وفي الغالب أيام إقامته الثانية ببجاية [1].

وهو بدون شك أحسن كتب ابن الأبّار وأعظمها فائدة بل هو من عيون ما ألف أهل الأندلس قاطبة ومن المراجع التي لا يستغني عنها من يؤرخ له أو يكتب من أي ناحية من نواحي الحياة فيه .

وقد ذهب بعض المحدثين إلى أن عنوان الكتاب الكامل «الحلة السيراء في شعر الأمراء» ولم نجد هذا في المخطوط ولا عند الموثوق فيهم[2] ممن كتبوا عنه ، ولهذا جعلنا عنوان الكتاب «الحلة السيراء» فحسب ، ولو أن إكماله بعبارة «في شعر الأمراء» معقول .

وجدير بالملاحظة أن شعر الكتاب ليس كله لأمراء بل فيه الكثير من شعر الوزراء والكتّاب وأصحاب الجاه والعلماء وهذا الشعر كله جيد مما يدل على ملكة ابن الأبّار كناقد للشعر عارف بالجيد منه وغير الجيد ولكن أهم من الشعر في الكتاب نثره ، فهو تراجم غاية في الفائدة لعدد كبير من الشخصيات التاريخية في المغرب والأندلس من القرن الأول الهجري إلى القرن السابع مع مادة تاريخية لا بأس بها عن أعلام مشارقة من أهل القرن الأول كان لهم صيت في فتوح المغرب والأندلس .

وفي كل هذه المواد يبدو لنا ابن الأبّار مؤرخاً فحلاً واسع الاطلاع نافذ النظر صادق الحكم وإذا استثنينا بعض المواد الأولى التي ينسب فيها ابن الأبّار شعراً إلى عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الملك بن مروان ، وبعض أجزاء الباب الأخير الخاص بمن لم يؤثر عنه شعر ، تبينا أن مادة التراجم كلها متعادلة من حيث القيمة والغزارة والأصالة، غنية بكل ما ينفع المؤرخ ولا أذكر أني قرأت لغير ابن الأبّار في الأندلس شيئاً يدل على سعة النظر على هذه الصورة ، فهو متمكن غزير المادة سواء كتب عن خلفاء بني العباس أم أمراء الأندلس وخلفائها أو أمراء الطوائف ومن عاصرهم ، وهو ليس غزير المادة فحسب ، بل ناقداً لا يمر بخطاءٍ في تاريخ أو اسم إلا استدرك عليه ، وتبدو منه بدوات هنا وهناك تدل على أنه كان بالفعل من أعلم الناس بتاريخ المسلمين السياسي والعلمي والأدبي .

ومن حسن الحظ أن ابن الأبّار تخلص من السجع بعد فراغه من فاتحة الكتاب فجاء

1) مقدمة الحلة السيراء ص 43.

2) لكن يلاحظ أن ابن عبد الملك المراكشي ذكره في الذيل والتكملة باسم «الحلة السيراء في شعر الأمراء» وهو متقدم الزمان ثقة ثبت .

أسلوبه قوياً رصيناً بليغاً يرتفع إلى أعلى مستويات أساليب العربية الصافية وأسلوبه هذا أشبه أسلوبه في «إعتاب الكتّاب» [1].

حقق الكتاب وقدم له معرّفاً بابن الأبّار وعصره وتآليفه الدكتور حسين مؤنس الباحث المؤرخ المشهور، وطبع بالقاهرة سنة 1963 في جزئين.

14 - خضراء السندس في شعراء الأندلس من أول فتحها إلى آخر عمره.

15 - درر السمط في خبر السبط على طريقة أبي الفرج بن الجوزي (كذا في الذيل والتكملة) قال ابن الأحمر [2]. لكنه تشتم (منه) رائحة التشيع، وتستطلع منه أنباء الشقاوة إذ تمنعه عن الطعن والتضبيّع ط. بتحقيق محسن جمال الدين عمارة، مط. المعارف بغداد 1974، 14ص مستل من مجلة البلاغ ع 5 س 4 و 5 (مجلة المورد العراقية ج 2 مجلد 10، ص451 1981).

ولعل ابن الأبّار في كتابيه «درر السمط» و «معدن اللجين في مراثي الحسين» أبدى عطفاً لما أصاب أهل البيت من ظلم وتنكيل لذلك قال من قال: إنهما تشتم منهما رائحة التشيع وابن الأبّار لم يكن شيعياً بالمعنى الاصطلاحي المعروف، ولا دائناً بمذهب من مذاهب الشيعة من النص الجلي على إمامة علي، والقول بالرجعة، ولو كان شيعياً دائناً بما سبق ذكره لاستغلّ الفرصة خصومه وأضداده للطعن عليه والحط منه والازدراء به ولكان سبباً في تبرير قتله.

وصلتنا من هذا الكتاب نسخة خطية وحيدة تعود إلى القرن الثاني عشر الهجري، وكان السيد عامر غديرة قد حققها وترجمها للفرنسية وأعدها للطبع وقدمها لنيل ديبلوم الدراسات العليا بباريس [3].

16 - ديوان شعر على الحروف.

17 - شرح صحيح البخاري -قال ابن عبد الملك المراكشي: «كان قد شرع فيه فعاقه عن إتمامه ما ختم به محتوم حمامه».

18 - الشفاء في تمييز الثقات من الضعفاء، مقصور على أهل الأندلس.

19 - فُضالة العُباب ونُفاضة العيّاب - في أرجوزة ابن سيدة ومن نحا منحاه في ما أسمك على حروف المعجم.

20 - قصد السبيل في ورد السلسبيل، في المواعظ والزهد - أربعة مجلدات.

---

1) مقدمة الحلة السيراء ص 51.
2) في مستودع العلامة ص 28.
3) مقدمة «إعتاب الكتّاب» ص 23.

21 – قطع الرياض في بديع الأغراض، مجلدان ضخمان.

22 – المأخذ الصالح في حديث معاوية بن صالح في أخباره ورواياته، وربما كان من أوائل مؤلفاته (ينظر المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي ص 186).

23 – مجموع رسائله.

24 – مختصر أحكام ابن أبي زمنين.

25 – مظاهرة السعي الجميل ومحاذرة المرعى الوبيل في معارضة ملقى السبيل[1] لأبي العلاء المعري. قال ابن عبد الملك المراكشي «على حروف المعجم نظم ما ينثر بعد نثر ما ينظم» نشره الدكتور صلاح الدين المنجد ضمن سلسلة «رسائل ونصوص» رقم 3 ط دار الكتاب الجديد بيروت 1963.

26 – معجم أصحاب أبي داود الهاشمي.

27 – معجم أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي.

وهو كتاب في تراجم الرواة عن القاضي الشهيد أبي علي الحسين بن محمد بن فيرة الصدفي يعرف بابن سكرة وابن دراج السرقسطي، فقد في حرب كتندة سنة 1121/514 رتّب ابن الأبّار الأسماء فيه على حروف المعجم على طريقة الأندلسيين والمغاربة. وقد سبقه القاضي عياض إلى جمع معجم في شيوخ شيخه أبي علي الصدفي فتممه وزاد عليه، قال ابن الأبّار في مقدمة هذا الكتاب «وبعد فهؤلاء الرواة عن القاضي أبي علي بن سكرة الصدفي السرقسطي ويعرف بابن دراج، سموت إلى جمع أسمائهم وأبيات من مكانهم مما أمكن ذكره من أنبائهم مباهياً بهم وبعصرهم، ومناغياً أبا الفضل عياض في جمع شيوخه وحصرهم، ولا غرو فنحوه في المعجم الذي صنع نحوت، وفوز قدمي بإخلاص كرمي رجوت، ليكون هذا لذلك تتمة وليهون الوقوف عليهم مؤتمن وأيمة، وهم بين صاحب في الأخذ عنه راغب، وتلميذ على السماع منه راتب، ومن شيوخه من شذّ، واعتقده في وقته الفذ، فكتب من روايته، وخصه بحظ من عنايته، ذلك لاختصاصه بقربة هي ما هي، ورتبة في العدالة بلغت التناهي».

«وابن الأبّار في «المعجم» دقيق الدقة كلها دقيق في رسم الأسماء وتواريخ الميلاد وتعدد الشيوخ، ودقيق أيضاً في المنهج الذي اتبعه فهو يرتب أسماء المترجم لهم على حروف المعجم مع بعض اختلاف قليل مقصود كإيراد اسم أحمد قبل إبراهيم، وهو بعد أن يفرغ من حرف يحصي عدد من ذكرهم فيه وإذا أهمل حرفاً ينبّه إلى أنه لم يجد فيه «معروفاً من هؤلاء الرواة

1) وسبقه إلى معارضة كتاب المعري «ملقى السبيل» شيخه أبو الربيع الكلاعي بتأليف آسمه «مفاوضة القلب العليل ومنابذة الأمل الطويل في معارضة ملقى السبيل» ولعبد الله بن هارون الطائي القرطبي نزيل تونس معارضة لكتاب أبي الربيع الكلاعي اسمه «مقارضة الأجر الجزيل ومراوضة الصبر الجميل».

ولا مكثراً» أو «ليس في هؤلاء الرواة من أول اسمه دال أو ذال» وعدة المذكورين في الحروف الثلاثة : الجيم والحاء والخاء ثلاثة عشر منهم في «التكملة» تسعة رجال «وعدد التراجم التي في هذا المعجم 315[1].

وترجم لبعض الغرباء الوافدين على الأندلس كأبي القاسم عبدالرحمان بن محمد بن أحمد النفطي ويعرف بابن الصائغ ، دخل الأندلس وله رحلة إلى المشرق ، وعمر بن أحمد بن عبد الله بن أحمد التوزري نزيل بجاية ، وعلي بن عبد الله بن داود اللمائي المعروف بالمالطي نزيل المهدية .

ويذكر أحياناً عقب الترجمة حديثاً يرويه عن شيخه أبي علي الصدفي بالإسناد المتصل إلى رسول الله ﷺ، ويبين أبو علي أحياناً ما فيه من علو . ويذكر في الترجمة من روى عن المترجم له والتراجم تختلف طولاً وقصراً ، فبعضها لا يتجاوز بضعة أسطر وبعضها في نحو الصفحة والنصف هذا إلى ضبط في الألقاب والأنساب وتفسير معناها إن كان أصلها غير عربي وتحديد مكان البلد الذي ينتمي إليه المترجم له ، ولا يهمل ذكر مؤلفات المترجم له .

والكتاب ألّفه ببلنسية ، وربما زاد فيه زيادات بعد خروجه منها على ما يستفاد من ترجمة يعقوب بن حماد الأغماتي من أهل تلمسان وذلك عند الكلام عن سند حديث كأن يقول:« وقد حدثني القاضي أبو الخطاب بن واجب بجامع بلنسية جبرها الله[2] » وهذه الجملة ربما توحي بأنها سقطت بأيدي العدو .

والمعجم نشره فرانشيسكو كوديرا وطبع بمدريد سنة 1886 وأعادت طبعه بالأوفسيت مكتبة المثنى ببغداد بدون تاريخ .

27 – معجم أصحاب أبي علي الغساني .

28 – معجم أصحاب أبي عمر بن عبد الله .

29 – معجم أصحاب أبي عمرو المقري .

30 – معجم شيوخ أبي الحسين أحمد بن محمد بن السراج .

31 – معجم شيوخه .

32 – معدن اللجين في مراثي الحسين قال الغبريني[3] «ولو لم يكن له من التآليف إلا الكتاب المسمى بكتاب اللجين في مراثي الحسين لكفاه» .

---

1) مقدمة الحلة السيراء ص 49.

2) المعجم ص 322.

3) عنوان الدراية 261.

33 – المورد المسلسل في حديث الرحمة المسلسل[1].

«وهذا الحديث قد رويته مسلسلاً من طرق مذكورة في غير هذا الموضع، وكلفني من أوجب حقه وأوثر وفقه تخريج أسانيده فيه وجمع طرقه المتصلة فاجتمع لي من ذلك جزء رسمته بالمورد المسلسل في حديث الرحمة المسلسل[2]. ولعله من أوائل مؤلفاته.

34 – هداية المتعسف في المؤتلف والمختلف، مقصور على أهل الأندلس.

35 – الوشي القيسي في اختصار الفيح القسي والأصل للعماد الكاتب الأصبهان.

وقد خصّ ابن الأبّار بتأليف الدكتور المرحوم عبد العزيز عبد المجيد:آ بن الأبّار حياته وكتبه في 384ص ط بتطوان 1951.

المصادر والمراجع:

- اتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف 161/1.
- أزهار الرياض للمقري 205/3.
- الأعلام للزركلي 110/7، 209/10.
- اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلّى لابن سعيد الأندلسي اختصره محمد بن عبد الله بن خليل تحقيق إبراهيم الأبياري (ط القاهرة 1959) ص 191، 197.
- إيضاح المكنون97/1، 107، 148، 419؛ 205/2، 235، 236.
- كشف الظنون 372.
- بلاد البربر الشرقية في عصر الحفصيين لروبير برانشفيك (بالفرنسية) 184/2.
- تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان 84/3، 177.
- تاريخ ابن خلدون 283/6، 285.
- تاريخ الدولتين للزركشي (ط تونس 1289) ص 20، 21، 27.
- تاريخ الفكر الأندلسي تأليف جنثالث بلنثيا، نقله عن الاسبانية حسين مؤنس (ط مصر 1955) ص 274، 280.
- تذكرة الحفاظ للذهبي 1461/4.
- الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي 253/6، 275 (أورد القصيدة السينية كاملة وقطعاً من شعره ونثره وقائمة بأسماء مؤلفاته).
- ذيل مرآة الزمان للقطب اليونيني 173/2.

1) حديث الرحمة المسلسل هو «الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» وهو مسلسل بالأولية لأنه أول حديث يسمعه التلميذ من شيخه والشيخ من شيخه وهكذا إلى آخر السند. وللمحدثين غرض تربوي رفيع في البدء بإسماع هذا الحديث.

2) المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي ص 298 أواخر ترجمة القاضي عياض.

- شجرة النور الزكية 195، 196.
- شذرات الذهب 295/5.
- العبر للذهبي 245/5.
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأحمد الغبريني تحقيق رابح بونار (ط الجزائر 1970) ص 207.
- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن القنفذ القسنطيني تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي (ط تونس 1966) ص 116، 126، 127 تعليقات المحققين في آخر الكتاب ص 232، 233.
- فهرس الفهارس والإثبات لعبد الحي الكتاني 99/1.
- فهرس معجم شيوخ الدمياطي لجورج فاجدا (بالفرنسية) ص 109.
- فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (ط محمد محيي الدين عبد الحميد) 450/2، 452.
- كشف الظنون 286/1، 372.
- مستودع العلامة ومستبدع العلامة لأبي الوليد بن الأحمر (المط المهدية بتطوان المغرب الأقصى سنة 1964/1384) ص 128.
- معجم المطبوعات 26/1، 27.
- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة 204/10.
- مقدمة إعتاب الكتّاب للدكتور صالح الأشتر.
- مقدمة الحلة السيراء للدكتور حسين مؤنس.
- مقدمة المقتضب من تحفة القادم للأستاذ إبراهيم الأبياري.
- نفح الطيب تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد 348/3، 350.
- هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي 27/2.
- الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي 355/1، 358.
- الوفيات لابن قنفذ ص 50.
- دائرة المعارف الإسلامية (ط جديدة بالفرنسية) 694/2-695.

* * *

3 - الإبيّاني [1](252 - 352 هـ[2]) (865 - 964 م)

عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن إسحاق التميمي الأبيّاني التونسي، أبو العباس. تفقه

---

1) بكسر الهمزة وتشديد الباء ويقال صوابه تخفيفها وبكسر الباء وفتحها، وفي الضبط شيء من التغيير لأجل النسب، وهو نسبة إلى أبيّانه كلمة مركبة من أبة بضم الهمزة وفتح الباء وتشديدها، ويانة وهي قرية صغيرة كانت موجودة بفحص مرناق حذو تونس في الجنوب منها على مسافة عشر كيلومترات تقريباً.
وفي مصر أبيانه التابعة لمركز قسوة وهي مسقط رأس الزعيم المصري سعد زغلول.

2) وقيل سنة 361.

بيحيى بن عمر، وأحمد بن أبي سليمان المعروف بابن الصواف، وحمديس القطان، ويحيى بن عبد العزيز، وحماس بن مروان، وغيرهم، وصحب لقمان بن يوسف، وذاكر أبا بكر بن اللبّاد وروى عنه الأصيلي، وأبو الحسن اللواتي، وسعيد بن ميمون، وأبو الحسن القابسي، وابن أبي زيد وغيرهم.

كان من شيوخ أهل العلم وحفاظ مذهب مالك من أهل الخير يميل إلى مذهب الشافعي وكان صالحاً ثقة مأموناً عاقلاً حليماً نبيلاً فصيحاً، جيد الاستنباط. كان أبو محمد عبد الله آبن أبي زيد إذا نزلت به نازلة مشكلة كتب بها يبينها إليه، كان يدرس الواضحة لابن حبيب ولما وصل إلى مصر تلقاه نحو من أربعين فقيهاً لم يكن فيهم أفقه منه.

قال ابن شعبان: ما يزال بالمغرب علم ما دام فيه أبو العباس وقال: من أراد أن ينظر إلى فقيه فلينظر إليه وقال: ما يزال أهل المغرب بخير ما دام بين أظهرهم. وما عدا النيل منذ خمسين سنة أعلم منه.

وكان أبو الحسن القابسي يقول: ما رأيت بالمشرق ولا بالمغرب مثل أبي العباس، كان يفصل المسائل كما يفصل الجزار الحاذق اللحم.

وكان يحب المذاكرة في العلم ويقول: دعونا من السماع، ألقوا المسائل!

وكان قليل الفتوى كثير التواضع، وله فراسة لا تكاد تخطئ ويذكر أنه قال لأبي الحسن القابسي وهو يطلب عليه: والله لتضربنّ إليك آباط الإبل من أقصى المغرب. فكان كما قال.

كتب إليه أبو العباس أبو الفضل فضل بن نصر الباهي المعروف بابن الرايس [كامل]:

ماذا تريك حوادث الأزمان	وصروفها وطوارق الحدثان
وأشد ما ألقى وأنضج للحشا	عدم الوفاء وجفوة الإخوان
هذا أبو العباس واحد عصره	وفقيهه والفائت الأقران
أنفت به أخلاقه عن وصلنا	وسلامنا في السر والإعلان
إني أتيتك شاكياً ومخبراً	أشكو إليك حوادث الأزمان

فكتب إليه الأبياني:

دهرك - يا أبا الفضل - ذو تقلاب	بريد العجائب والعجاب
فكن جليس بيتك مستوحشاً	من الناس والأهل حتى الإياب

له ترتيب السماسرة - مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس. نشره مع التعاليق اللازمة في مجلة (العرب) عثمان الكعاك (ينظر تأليفه العلاقات بين تونس وإيران ص 41 (تونس 1974) وطبع بمطبعة العساني ببغداد 1965 ص 3-22 مستلّ من مجلة كلية الشريعة 1965/11 بأسم

رسالة في السمسرة والسمسار وأحكامه (مجلة المورد م 10 ج 2، 1981 ص 267) [وطبع بدار الغرب الإسلاميّ، بيروت 1992 بتحقيق محمد العروسي المطوي] .

المصادر والمراجع :

- ترتيب المدارك للقاضي عياض، تحقيق أحمد بكير محمود (ط بيروت 1967/1387) 347/3-352.
- الديباج المذهب لابن فرحون 136.
- شجرة النور الزكية 85.
- طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي، تحقيق الدكتور إحسان عباس (دار الرائد العربي بيروت 1970) ص 160.
- بلاد البربر الشرقية في عهد الزيريين لهادي روجي إدريس (بالفرنسية) 715/2-716.
- الأعلام 166/4 (ط/5) .

* * *

4 - الأبّي (. . . 827 أو 828 هـ) (1425 أو 1424 م)

محمد بن خلفة[1] بن عمر الوشتاتي[2] الأبّي [3]، من نبغاء تلاميذ الإمام ابن عرفة ، ليم ابن عرفة على كثرة اجتهاده وإتعابه لنفسه في النظر والمراجعة لإعداد درسه في الفقه فقال : «كيف أنام الليل وأنا بين أسدين ، الأبّي بفهمه وعقله ، والبرزلي بنقله» ويستفاد من هذا أنه ذو عقل تحليلي ناقد ، وذو ملكة جيدة في الاستنباط .

سكن مدة طلبه للعلم بتونس في المدرسة الشماعية ، والمدرسة التوفيقية المسماة أيضاً بمدرسة الهواء كما يستفاد من كتابته في شرح صحيح مسلم (إكمال إكمال المعلم) 33/6 - 67/7,34 حيث جاء فيه ما نصه : «قلت : كان من حلقة الشيخ (أي ابن عرفة) وأصحابنا الطلبة رجل يسمى عرفة ، وكان متطلباً ناسكاً وهو حينئذ كهل ، وأنا في سن ما بعد البلوغ بيسير ساكن بمدرسة التوفيق» .

---

1) بكسر المعجمة وفتحها ثم لام ساكنة بعدها فاء (نيل الابتهاج نقلاً عن الحافظ ابن حجر) البدر الطالع 169/2.
2) نسبة إلى قبيلة وشتاتة البربرية الأصل .
3) نسبة إلى أبة (بضم الهمزة وفتح الباء المشددة) ومعناها السوق في القرطاجنية . قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» 99/1-100: «اسم مدينة بافريقية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام وهي من ناحية الأربس موصوفة بكثرة الفواكه ونبات الزعفران» وورد ذكرها في «مراصد الاطلاع» 21/1 وفي «تبصير المنتبه» للحافظ ابن حجر «الأبي - بالضم - منسوب إلى أبة من قرى تونس» 21/1 وتعرف الآن بأبة قصور بولاية الكاف .

وبعد استكمال تحصيله بقي مقيماً بتونس ودرس بها وأخذ عنه جماعة من الأعلام كالقاضي عمر القلشاني، وابن ناجي، وعبد الرحمان الثعالبي الجزائري.

وكان فقيهاً نظاراً مشاركاً في عدة علوم، قال عنه معاصره الحافظ ابن حجر: «عصرينا بالمغرب محمد بن خلف (كذا) الأُبّي الأصولي، عالم المغرب بالمعقول».

وكان مع وفور عقله وجودة فهمه يحكى عنه من سلامة الفطرة ما يخرجه إلى حد الغفلة.

تولى التدريس مدة بتونس، ثم ولي قضاء الجزيرة القبلية سنة 1406/808 في عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أحمد الحفصي.

مؤلفاته:

1 - إكمال الإكمال، وإكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض، والمعلم بفوائد مسلم للإمام المازري، والأُبّي جعل كتابه تكملة لما فات القاضي عياض في شرحه «إكمال المعلم» ولهذا سمى الأُبّي شرحه «إكمال إكمال المعلم» وهو شرح نفيس على صحيح مسلم، ضمنه كثيراً من الفوائد والتحقيقات مع زيادات على الشروح المتقدمة عليه وذكر في خطبته أنه ضمنه كتب شراحه الأربعة المازري وعياض والقرطبي والنووي مع زيادات مكملة وتنبيهات ورمز «بالميم» للمازري و «العين» لعياض و «الطاء» للقرطبي و «الدال» لمحيي الدين النووي ولورود أسماء هؤلاء الشارحين كثيراً في شرحه وأشار بلفظ الشيخ لشيخه الإمام ابن عرفة، ونقل عن شيخه ابن عرفة أنه قال: «ما يشق عليّ شيء في الفهم كما يشق عليّ كلام عياض في بعض مواضع من الإكمال» فأزال تلك الصعوبات.

قال الشيخ صالح بن مهنا القسنطيني [1]: «وشرحه يغني عن شروحهم الأربعة ولا تغني عن شرحه لما فيه من الأبحاث الرائقة، والتحقيقات الفائقة، يعلم ذلك من أطّلع عليه وكان من أهله وهو خزانة علم ينفق منه الفقير كيف يشاء من نحو وتصريف وأصول وفروع وكلام ومصطلح وميزان (منطق) وتاريخ ومعان وبيان وحقائق وإشارات ومناقب ورقائق ومواعظ وقواعد إلى غير ذلك».

وقد أهمل الأُبّي شرح مقدمة صحيح مسلم حتى قال الشيخ محمد بن محمد بن يوسف السنوسي في شرحه المكمل لشرح الأُبّي المسمى «مكمل إكمال الإكمال»: «رحم الله الشيخ الأُبّي ونفع به لقد كان من حقه أن يعتني بشرح المقدمة التي احتوت على علوم ومشكل أسماء ولغات تحتاج إلى ضبط وشرح أكثر من اعتنائه بشرح التراجم لأنها ليست من وضع مسلم

1) في طرره على رحلة الوتيلاني (ط حجرية، تونس 1321 هـ) 217-216/3.

ولأنها في غنية عن الشرح غالباً، فتكميل الفائدة بشرح المقدمة كان أولى».

ومقدمة صحيح مسلم من أقدم ما كتب في علم مصطلح الحديث، وللأبّي عناية بالفقه والعقائد في شرحه مع إهمال الكلام غالباً عن رجال الإسناد، على ما في هذا الأمر من جليل النفع في الصناعة الحديثية، قال العلاّمة المرحوم محمد زاهد الكوثري: «ولهذا لم يكن شرحه وافياً بالمرام ولا مطفِئاً من غلة الباحثين الأوام، إلى أن قام أحمد شبير العثماني الهندي بشرحه في كتاب سماه «فتح الملهم في شرح صحيح مسلم» صدر منه ثلاثة أجزاء من خمسة، وحالت منيته دون إتمام طبعه وهو أحسن شرح لصحيح مسلم».

والأبّي يتعرض - عندما تعن له المناسبة - إلى أحوال طائفة من العلماء التونسيين، ويجلب أحياناً آراءهم وفتاواهم في بعض المسائل، وما يروى عنهم من حكايات ونكت، كما يتعرض أحياناً لتواريخ بعض النظم كالقضاء والسكة ولذا لا يستغني عنه الدارس للتاريخ التونسي وبالخصوص العصر الحفصي. وقد كنت تتبعت مجلداته السبعة وأخذت منها ما له صلة بالتاريخ، وفي أثناء مذاكرة مع صديق ألّف كتاباً في تاريخ تونس العام تحدثنا عن شرح الأبّي على مسلم، وبينت له فائدته للمعتني بالتاريخ وما جردته منه، فاشتاقت نفسه للاطلاع عليه فأعرته إياه، وقد أعاد كتابة العصر الحفصي على ضوء ما أمددته به وبغيره من الوثائق، وحلى هوامش كتابه بالنقل عن الأبّي، ولم يشر أدنى إشارة إلى صاحب الفضل، ولما صدر كتابه لم يتكرم بإهداء نسخة، فعجبت من لؤم الرجل وقلة أمانته ونكرانه للجميل فقطعت كل صلة به قبل وفاته بنحو ثلاث سنوات.

طبع الكتاب في 7 م بمطبعة السعادة بمصر سنة 1327 وعلى نفقة السلطان عبد الحفيظ.

2 - تفسير القرآن العظيم، دوّن فيه ما سمعه من دروس شيخه ابن عرفة الذي اعتمد على ابن عطية والزمخشري وبقية المفسرين، واعتمد على علماء اللغة والأصول والمنطق مع إبداء رأيه.

منه نسخ عديدة بالمكتبة الوطنية بتونس:

1) نسخة رقم 10110 أصلها من المكتبة الأحمدية الزيتونية. وهي نسخة تامة على غاية من الجمال والاتقان والضبط. وهي وإن لم تكن مؤرخة جديرة بكل ثقة، نسخها فيما يبدو الشيخ القاضي المفتي محمد بن سلامة (ت 1850) للوزير حسين خوجة (ت 1857/1274). وهي نسخة كاملة في 239 ورقة

2) نسخة برقم 10771 أصلها من المكتبة الاحمدية نهايتها: «تم الجزء الأول من تفسير الإمام أبي عبد الله محمد الأبّي». وهي مؤرخة بآخر شوال 1128/ سبتمبر - أكتوبر 1716 في 236 ورقة.

3) نسخة برقم 21269 غير تامة .

4) نسخة مصورة برقم 93453.

ثلاث نسخ في المكتبة العامة بالرباط رقم 2030 مبتورة الآخر ، رقم 2028 مبتورة الأول . وهذه النسخ الثلاث أصلها من مكتبة الشيخ عبد الحي الكتاني .

وتوجد منه نسخة مصورة في معهد جامعة الدول العربية ، القاهرة رقم 116.

3 - شرح المدونة .

المصادر والمراجع :

- الأعلام 349/6.
- البدر الطالع للشوكاني 169/2.
- برنامج المكتبة العبدلية 33/2-34.
- تاريخ الدولتين للزركشي 107.
- تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد لمحمد بن الخوجة ، ص 66، 77، 171.
- تبصير المنتبه 21/1.
- الحلل السندسية 686/3/1-687.
- درة الحجال 285/2.
- شجرة النور الزكية ص 244.
- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية 181/1 (نقل عن تبصير المنتبه للحافظ ابن حجر ، وفيه كما في المطبوع من تبصير المنتبه محمد بن خلف وسبق النقل عن نيل الابتهاج «خلفة» وضبطها نقلاً عن ابن حجر) .
- الضوء اللامع للسخاوي 133/11 (قسم الأنساب) .
- عنوان الأريب 114/1-115.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي 86/4.
- فهرسة الكتب المخطوطة المحفوظة في خانة الجامع الأعظم بالجزائر لمحمد بن أبي شنب ، ص 1-38.
- كشف الظنون 557، 1256.
- معجم المطبوعات 363.
- معجم المؤلفين 287/9.
- مقالات الكوثري 82-83.
- ملتقى ابن عرفة (ط تونس 1977) ص 68، 388-396 (بحث للأستاذ سعد غراب عنوانه : تفسير ابن عرفة ورواياته أو مدخل لدراسة تفسير ابن عرفة الورغمي) .
- نزهة الأنظار لمحمود بن سعيد مقديش 239/1-240.
- نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي بهامش الديباج المذهب ص 287.
- هدية العارفين 184/2 (وفيها تخليط غريب ، محمد بن خلف الألبيري القرطبي ، وقيل خليفة الوشتاتي ،

أبو عبد الله الأُبّي المالكي ، أين الأُبّي من القرطبي ؟ وليس هناك أندلسي واحد ينسب إلى وشتاتة) .
- أبو عبد الله الأُبّي وكتابه الإكمال ، تأليف د . عبد الرحمن عون 512ص (الدار العربية للكتاب ، تونس 1984) وفيه ترجمة مستفيضة للمؤلف .
- توشيح الديباج لبدر الدين القرافي ص 204-250 (دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1983) .
- بلاد البربر الشرقية في عصر الحفصيين (بالفرنسية) لروبير برانشفيك 375/2. ويلاحظ أنه ألّف الإكمال في سنة 823 كما ذكره في 360/2 (إكمال الإكمال) .

* * *

5 - الأجدابي[1] (. . . 412 هـ) (... 1040 م)

الحسين بن أبي العباس عبد الله بن عبد الرحمان الأجدابي القيرواني ، الفقيه كاتب مناقب جماعة من العلماء الصلحاء .

أخذ ببلده القيروان عن ابن أبي عقبة ، وتميم بن أبي العرب التميمي ، وهو من طبقة ابن أبي زيد ، والقابسي ، وجبلة بن حمود .

رحل إلى مصر ، والحجاز ، وأخذ عن علمائها .

وممن أخذ عنه بالقيروان ابن سعدون ، وأبو بكر المالكي ، وأبو محمد عبد الحق ، ووالده كان عالماً فاضلاً عارفاً بالتاريخ ، وكان في كل فن واحد وقته مع صحبة الصالحين ، وكان ثقة وتوفي في جمادي الأولى سنة 924/384، ودفن بباب سلم[2].

وللمترجم له تأليف في مناقب ربيع القطان ، وإبراهيم السبائي ، وأحمد بن نصر بن زياد الهوّاري ، وأبي الفضل عباس بن عيسى الممسي .

المصادر والمراجع :
- ترتيب المدارك 621/4-622.
- شجرة النور الزكية 98.

---

1) اجداية بفتح الهمزة وسكون الجيم وكسر الباء الموحدة وتخفيف الياء المثناة من تحت . مدينة كثيرة النخل والتمور بليبيا (أصل سلفة منها) ومن غربيها وجنوبيها مدينة أوجلة وهي من أعمالها. ينظر معجم البلدان 122/1-123.

2) معالم الإيمان (ط/1) 132/3.

- معالم الإيمان 212/3.
- وينظر أيضاً عن ترجمة الوالد وابنه بلاد البربر الشرقية في عهد الزيريين (بالفرنسية) 725/2.

* * *

6 - إدريس[1] (كان حياً بعد سنة 1177 هـ) (1764 م)

محمد شهر حمودة بن محمد إدريس الحسني الشريف التونسي ، أبو عبد الله من علماء القراءات .

أخذ عن الشيخ محمد الحرقافي المقرئ الصفاقسي نزيل تونس وتلميذ الشيخ علي النوري وأخذ عن غيره .

وكان مواظباً على القراءة في يومي العطلة الأسبوعية : الخميس والجمعة .

وعنه أخذ القراءات أحمد بن أحمد الشرفي الصفاقسي .

له نظم في أوجه الآن ، ولا سيّما إن ركبت مع آمنتم أو آمنت ، وذلك على رواية الأزرق عن ورش ، اعتماداً على ما ذكره الشيخ علي النوري في كتابه «غيث النفع» وجعل لهذه الأوجه جدولاً تستخرج منه . وهذا النظم شرحه تلميذه أحمد بن أحمد الشرفي في رسالة «تحفة الأخوان بشرح أوجه الآن» وهذا النظم والجدول المصاحب له في ورقتين صغيرتين منفصلتين عن الشرح المذكور وكلاهما في المكتبة الوطنية بتونس .

* * *

7 - الأَذري (423[2] هـ) (1032 م)

الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذري ، أبو عبد الله ، نزيل القيروان، المتكلم الأشعري وتلميذ القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني .

---

1) لم أجد له ترجمة ، وأخذت المعلومات الخاصة به من رسالة «تحفة الأخوان» .

2) ياقوت الحموي معجم البلدان (ط . مصر) 159/1، مارة أذربيجان ، مرتضى الزبيدي ، تاج العروس 119/9، وانظر عن أذربيجان ، أمين واصف : معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية (ط . مصر 1334) ص 8-6، دائرة المعارف الإسلامية (بالفرنسية الطبعة الجديدة 194/1 وما بعدها) .

والأَذري بفتح الهمزة في أوله وفتح الذال المعجمة، نسبة إلى أذربيجان وهو إقليم واسع من مدنه المشهورة تبريز، وقيل في النسبة إليه أذري (بسكون الذال) لأنه عند النحويين مركب من أذر وبيجان، فالنسبة إلى الشطر الأول وقيل في النسبة إليه أذربي (فتح الهمزة والذال وسكون الراء) وكل قد جاء.

وقد تحرفت نسبته إلى «الأزدي» لدى الكتاب قديماً وحديثاً. ورد ذكره ثلاث مرات في كتاب «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري» تأليف حافظ دمشق ومؤرخها أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت سنة 1176/571) المرة الأولى جاء نسبه محرفاً إلى «الأزدي». «وقرأت فيما رواه الشيخ الزاهد أبو محمد عبد القادر بن محمد الصدفي القيرواني المعروف بابن الخياط قال: «أنا الشيخ الفقيه أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي القيرواني قال: أنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن حاتم الأزدي (كذا) صاحب القاضي الجليل أبي بكر بن الباقلاني[1]».

وفي المرة الثانية جاء نسبه على الوجه الصحيح «الأذري» ونقل المؤلف ترجمته بالإسنادالمتصل عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن موسى بن عمار الميورقي[2] «إلا أنه (أي الباقلاني) خلف من بعده من تلاميذه جماعة كثيرة تفرقوا في البلاد، أكثرهم بالعراق وخراسان، ونزل منهم إلى المغرب رجلان أحدهما أبو عبد الله الأذري - رضي الله عنه - وبه انتفع أهل القيروان، وترك بها من تلاميذه مبرزين مشاهير جماعة أدركت أكثرهم. وكان رجلاً ذا علم وأدب، أخبرني بعض شيوخنا عنه - رحمه الله - أنه قال: لي خمسون عاماً متغرباً عن أهلي ووطني، ولم أكن فيها إلا على كور جمل أو بيت فندق أطلب العلم آخذاً له أو مأخوذاً عني.

وقال لي غيره من شيوخنا: ما قدر أحد من تلاميذه أن يعطيه على تعليمه شيئاً من عرض الدنيا وكان يقول تعليم هذا العلم أوثق أعمالي عندي، وأخاف أن تدخله داخلة إن أخذت عليه أجراً، ولا أحتسب أجري إلا على الله. ولقد كان يتركنا في بيته ونحن جماعة، ثم يذهب إلى السوق فيشتري غداءه أو عشاءه، ثم ينصرف به في يده فكنا نقول له: «يا سيدنا الشيخ نحن شباب جماعة كلنا نرغب في قضاء حاجتك، نسألك بالله العظيم إلا ما تركتنا وقضاء حاجتك في المهم العظيم فكيف في هذا الأمر اليسير؟! نسألك بالله العظيم ألا تركتنا وقضاء حوائجك فإن هذا من العار العظيم علينا».

فكان يقول لنا: «بارك الله فيكم! ما يخفى عليّ أنكم تسارعون لهذا الأمر، ولكن قد علمتم عذري، وأخاف أن يكون هذا من بعض أجري على تعليمي».

---

1) تبيين كذب المفتري (ط دمشق 1347 هـ) ص 41-42.
2) في الأصل المايرقي.

وتوفي بالقيروان غريباً، رحمة الله تعالى عليه ورضوانه.

والمرة الثالثة ورد ذكره في أواخر ترجمة أبي الحسن علي بن داود الداراني الدمشقي المقرئ (ت سنة 1011/402) «وسمعت الشيخ الفقيه الإمام أبا الحسن علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح السلمي يحكي عن بعض شيوخه أن أبا الحسن بن داود لما كان يصلي بجامع دمشق تكلم فيه بعض الحشوية (1)، فكتب إلى القاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني إلى بغداد يعرفه بذلك ويسأله أن يرسل إلى دمشق من أصحابه من يوضح لهم الحق بالحجة، فبعث القاضي تلميذه أبا عبد الله الحسينَ بن حاتم الأذري، فعقد مجلس التذكير في جامع دمشق في حلقة أبي الحسن بن داود، فذكر التوحيد، ونزه المعبود، ونفى عنه التشبيه والتحديد، فخرج أهل دمشق من مجلسه وهم يقولون: «أحد أحد!». هذا معنى ما ذكره لي رحمه الله».

وأقام أبو عبد الله الأذري بدمشق، ثم توجه إلى المغرب فنشر العلم بتلك الناحية، واستوطن القيروان إلى أن مات رحمه الله (2).

ونستفيد من هذا النص أن الأذري كان داعية من الذين يعتمد عليهم القاضي أبو بكر الباقلاني في نشر مذهب الأشعري في العقائد في فترة حاسمة من الصراع النهائي بين المعتزلة والأشعرية وبين غيرها من الفرق المخالفة للأشعرية، وظروف قدوم الأذري إلى القيروان غامضة غير واضحة، هل كان بطلب من أهل القيروان أم أنه جاء تطوعاً بإيعاز من شيخه الباقلاني؟

أسئلة لا نجد عنها جواباً مع العلم بأن مذهب الأشعري كان موجوداً بالقيروان قبل قدوم الأذري، ومن ممثليه أعلام بارزون كأبي الحسن القابسي، وأبي عمران الفاسي (ولهما رحلة إلى الشرق اتصلا فيها بأبي ذر الهروي تلميذ القاضي الباقلاني، نزيل مكة) وابن أبي زيد القيرواني.

وقد وقفت على مخطوطة من كتاب «تبيين كذب المفتري» ترجع إلى القرن الثامن الهجري من مكتبة الشيخ علي النوري بصفاقس (نقلت إلى المكتبة الوطنية بتونس في صائفة عام 1969) وأصلها من أوقاف المدرسة القليجية بدمشق(3) جاء بهامشها بخط ومداد مغايرين للنسخة معلومات مفيدة عن «الأذري» آثرت نقلها بنصها:

---

1) الحشوية هم المجسمة كما يستفاد من سياق الكلام.

2) تبيين كذب المفتري، ص 216-217.

3) المدرسة القليجية نسبة لواقفها الأمير سيف الدين أحمد بن علي بن قليج المتوفى سنة 1245/643، وكانت من مدارس الحنفية بدمشق، راجع الدارس في تاريخ المدارس 569/1.

«حاشية: قال أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن خلف الرّشاطي اللخمي في كتابه «اقتباس الأنوار في معرفة أنساب الصحابة ورواة الآثار»[1]: الأذري منسوب إلى أذربيجان أبو عبد الله الحسين بن حاتم»[2]: مؤلف كتاب «اللامع»[3] في أصول الفقه، وهو مختصر مفيد في معناه. وكان - رحمه الله - حسن الأخلاق، مليح الدعابة، وكان مولعاً بالحلواء، وكان أصحابه قد علموا ذلك منه فمتى حضر عندهم قدّموا له في آخر الطعام الحلواء، وإن أحدهم أغفل ذلك في بعض الأحيان، فلما أخذوا في الانصراف قال الأذري: «أفطر[4] عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار وصلّت عليكم نصف الملائكة» فقيل له: إنما هو: وصلت عليكم الملائكة! «فقال: بقي النصف الثاني مع الحلواء!».

مات - رحمه الله - بالقيروان سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة»[5].

ومن تآليفه كتاب في مناقب القاضي أبي بكر الباقلاني ذكره أبو علي السكوني في «عيون المناظرات» تحقيق الأستاذ سعد غراب (ط تونس) ص 246-247، 236-244.

وكان أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي القيرواني تلميذ الأذري ممن أخذ عنه كتاب «اللامع» في أصول الفقه. جاء في «ذيل اللباب» نصه: «علي بن عثمان بن الحسن الربعي الصقلي قدم قرطبة تاجراً روى عنه أبو علي الغساني كتاب «اللمع» (كذا) في أصول الفقه لأبي عبد الله الحسين بن حاتم الأذري، حدّثه عن أبي بكر عبد الله بن محمد القرشي المالكي عن الأذري مؤلفه»[6].

وكلمة الأذري الواردة في هذا النص قرأها الأستاذ هادي روجي إدريس «الأذرى» هكذا بالألف المقصورة غافلاً عن أنها ياء النسبة، وتصحح في نظره إلى الأزدي[7]. وكلمة

---

1) المعروف في اسم الكتاب «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار» يوجد منه أكثر المجلد الخامس وبعض الرابع مخطوطين في خزانة القرويين بفاس رقم 3031 (الزركلي: الأعلام 134/10) ويوجد الجزء الثالث في المكتبة الوطنية بتونس وأصله من المكتبة الأحمدية الزيتونية ومن الواضح أن نقل ترجمة الأذري من الجزء الأول.

2) أسقط إسم والده اختصاراً.

3) هذا هو الصوابُ في اسم تأليفه لا «اللمع» الذي هو من تأليف الأشعري وعنوان تأليف لأبي إسحاق الشيرازي في أصول الفقه، وورد ذكر هذا الكتاب في «كشف الظنون» 153/2 مع تحريف في اسم المؤلف وإسم والده، وعدم معرفة تاريخ وفاته، ونسبته فيه «الأذري» ونص ما فيه «اللامع في أصول الفقه» لأبي عبد الله حسن بن جابر الأذري المتوفى سنة...

4) هذا نص حديث صحيح قاله رسول الله (ملعم) عندما أفطر عند سعد بن معاذ أو سعد بن عبادة، وهو مروي عن عبد الله بن الزبير أخرجه ابن ماجة في سننه، وابن حبان في صحيحه.
أنظر: فيض التقدير شرح الجامع الصغير لمحمد عبد الرؤوف المناوي 54/2.

5) الورقة 24أ من المخطوطة المشار إليها.

6) نقلاً عن ملحق المكتبة الصقلية، لميكال أماري ص 47.

7) في أطروحته «بلاد البربر الشرقية في عهد الزيريين» (بالفرنسية) 703/2 هامش رقم 82.

«الأذري» بياء النسبة صحيحة لا تحتاج إلى تصحيح هو عين التصحيف والتحريف.

وممن روى عن الأذري كتابه «اللامع» عبد الجليل الديباجي القيرواني (كما في الغنية للقاضي عياض ص 143).

وتحرّف «الأذري» إلى الأزدي عند ياقوت الحموي[1] في أواخر كلامه عن القيروان «فمن جملة من ينسب إليها... محمد بن أبي بكر عتيق (بن) أبي نصر هبّة الله بن علي بن مالك أبو عبد الله التميمي، المتكلم الأشعري[2] المعروف بابن أبي كدية التميمي القيرواني» درس علوم الأصول بالقيروان على أبي عبد الله الحسين بن حاتم الأزدي (كذا) صاحب القاضي أبي بكر الباقلاني وعلى غيره... «وكان مقرئ الكلام في النظامية ببغداد وأقام بالعراق إلى أن مات، وكان صلباً في الاعتقاد، ومات ببغداد في ثامن عشر ذي الحجة سنة 512، ودفن مع أبي الحسن الأشعري في تربته بمشرعة الروايا خارج الكرخ».

وورد نسبة «الأذري» صحيحاً في كتاب «الغنية» للقاضي عِياض ص 143 في ترجمة القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن علي بن شيرين.

وفي ترجمة القاضي أبي بكر الباقلاني في «ترتيب المدارك» للقاضي عِياض جاء ذكر «الأذري مرتين محرّفاً إلى «الأدري[3]» (هكذا بالدال المهملة) ومرة محرّفاً إلى الأزدي»[4].

وفي المقدمة التي كتبها د. أحمد بكير محمود محقق كتاب «ترتيب المدارك» تحرّف الأذري إلى «الأزدي»... «فكان من كبار الأشاعرة النازحين إلى المغرب أبو عبد الله الحسين بن حاتم الأزدي (كذا) تلميذ القاضي الباقلاني[5]».

وجاء في كتاب «المختار من شعر بشار» ص 153 محرّفاً إلى «الأزدي» ويستفاد منه أنه كان يروي ديوان المتنبي عن ابن جنّي.

ولعل من أسباب التحريف شيوع نسبة «الأزدي» في كتب الطبقات والتراجم وندرة نسبة الأذري وما هناك من تقارب واشتباه بين الذال والزاي يأتي جهلة النساخ فلا يميزون بينهما.

* * *

1) معجم البلدان 195/7 مادة القيروان. ولابن أبي كدية هذا ترجمة في «معرفة القراء الكبار» للذهبي 379/1 وتحرّف فيه إسم شيخه «الأذري» إلى الأزدي وله ترجمة في غاية النهاية لابن الجزري 195/2-196.

2) في الأصل «الثغري» وهو تحريف.

3) القاضي عياض: ترتيب المدارك، منشورات مكتبة الحياة، بيروت 1967/1387، تحقيق د. أحمد بكير محمود ج 4 أواخر ص 586.

4) المصدر السالف ص 589.

5) ص 15.

8 - الأسدي (481 هـ[1]) (1088 م)

محمد بن نعمة الأسدي القيرواني، أبو بكر، العابر. من شيوخه أبو عمران الفاسي وعبد الحق الصقلي وتتلمذ زمناً طويلاً على علي بن أبي طالب العابر، ومروان بن علي البوني.

هاجر إلى المريّة بالأندلس، وبها توفي. قال ابن بشكوال: «. . .وسمع الناس منه وأخذ عنه جماعة من شيوخنا وسمعت بعضهم يضعّفه».

ألّف عدة كتب في تعبير المنامات.

المصادر والمراجع:

- الصلة: نشر عزت العطار الحسيني، القاهرة 1955/1374، 571/2.
- بلاد البربر الشرقية في عهد الزيريين (بالفرنسية) 726/2.

* * *

9 - الإسرائيلي (. . . نحو 320 هـ)(933 م).

إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، أبو يعقوب، من أهل مصر استوطن القيروان، ولازم إسحاق بن عمران الطبيب البغدادي المسلم النحلة وتتلمذ له.

وكان في مبدأ أمره كحّالاً وخدم بطبه عبيد الله المهدي مؤسس الدولة العبيدية، ولم يتزوج، وعاش مائة سنة ونيفاً، وكان طبيباً لسناً عالماً بتقاسيم الكلام، وتفريع المعاني.

بعث في طلبه من مصر زيادة الله الأغلبي آخر أمراء الدولة الأغلبية وأرسل له بخمسمائة دينار يتقوى بها على السفر، ولما قدم من مصر وجد زيادة الله بجيوشه في الأربس (قرب الكاف) وذلك سنة 905/293 فرحل إليه، فلما بلغ زيادة الله قدومه أمر بإدخاله عليه، فسلّم عليه بالإمرة وفعل ما يجب أن يفعل من الرسوم مع الملوك فرأى زيادة الله قليل الوقار والغالب عليه اللهو وما يثير الضحك وابتدأه بالكلام ابن خنيس[2] اليوناني فقال له:

- تقول إن الملوحة تجلو.

---

1) وقيل سنة 482.

2) في إسمه اضطراب فهو هكذا في بعض المصادر وفي بعضها جنيس وجيش وخنبس.

– قال : نعم !

– وتقول إن الحلاوة تجلو .

– قال نعم !

– قال له : فالحلاوة هي الملوحة ، والملوحة هي الحلاوة .

– قال إسحاق : إن الحلاوة تجلو بلطف وملاءمة والملوحة تجلو بعنف .

فتمادى ابن خنيس على المكابرة ، وأحب المغالطة ، فلما رأى ذلك منه عدل على مجادلته بنفس أسلوبه لإفحامه وتخجيله .

– فقال له : تقول أنت حي !

– قال : نعم .

– قال إسحاق : والكلب حي .

– قال : نعم .

– قال : فأنت الكلب والكلب أنت .

فضحك زيادة الله ضحكاً شديداً ، وعلم إسحاق بن سليمان أن رغبة زيادة الله في الهزل أكثر من رغبته في الجد

ولما وصل أبو عبد الله الصنعاني داعي عبيد الله المهدي إلى رقادة أدناه وقرّب منزلته وكانت به حصاة في الكلى وكان يعالجه بدواء فيه العقارب المحرقة ، فجلس ذات يوم مع جماعة من كتامة فسألوه عن صنوف من العلل ، فكلما أجابهم لم يفهموا قوله لأنهم من البربر لا يفهمون العربية جيداً ، فقال لهم إسحاق أنتم بقر ! وليس معكم من الإنسانية إلا الاسم ! فبلغ الخبر إلى أبي عبد الله ، فلما دخل عليه إسحاق قال له : أتقابل إخواننا المؤمنين من كتامة بما لا يجب ؟ والله الكريم لولا أن عذرك أنك جاهل بحقهم وبقدر ما صار إليهم من معرفة الحق وأهل الحق لأضربنّ عنقك .

قال إسحاق : فرأيت رجلاً شأنه الجد فيما قصد إليه وليس للهزل عنده شيء .

وكان إسحاق طبيباً فاضلاً بليغاً عالماً مشهوراً بالحذق والمعرفة ، جيد التصنيف ، عالي الهمة .

وكان معاصروه من يهود افريقية ، يجلّونه إجلالاً عظيماً حتى أنهم أسندوا إليه رئاستهم الدينية ، وقد ألّف لهم كثيراً من الكتب في تفسير شريعتهم ، كما سنّ لهم تقاليد دينية .

وقد أخذ عنه الطب والفلسفة جماعة من أبناء البلاد منهم الطبيب الشهير أحمد بن الجزار

القيرواني، وهو يروي عنه حكايات طريفة في تاريخه.

وقد ترجمت الكثير من مؤلفاته الطبية إلى اللغة اللاتينية ونقل كثير من مؤلفاته إلى اللغة العبرية . . . وعند وفاته دفن بمقبرة اليهود بمدينة المهدية.

مؤلفاته :

1 - كتاب الاستقسات.

2 - الأوائل.

3 - الأقاويل.

4 - كتاب بستان الحكيم، في الفلسفة وفيه مسائل من العلم الإلهي.

5 - كتاب البول، قال عنه ابن جلجل الطبيب الأندلسي : «فإنه أشبع كتاب ألّفه مؤلف بذّ فيه جميع المتقدمين». توجد منه نسخة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية رقم 311 طب.

6 - اختصار لكتابه في البول.

7 - كتاب الترياق.

8 - كتاب الحدود والرسوم في المنطق والفلسفة.

9 - كتاب في الحكمة.

10 - كتاب الحميات، خمس مقالات، قال عنه ابن أبي أصيبعة : «ولم يوجد في هذا المعنى كتاب أجود منه».

وقال الطبيب المصري علي بن رضوان : «إن هذا الكتاب جامع وجمع رجل فاضل وقد عملت بكثير مما فيه فوجدته لا مزيد عليه، وبالله التوفيق والمعونة». توجد منه نسخة مخطوطة مكتوبة سنة 1242/639 بمكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم 2109 في 225 ورقة.

11 - كتاب في الأدوية المفردة والأغذية، ويقال في الغذاء والدواء. توجد منه نسخة في مجلدين مكتوبة سنة 1310/709 في مكتبة السلطان محمد الفاتح باستانبول رقم 3604 وعنوانها : «أقاويل الأوائل في طبائع الأغذية وقواها».

12 - كتاب المدخل إلى صناعة الطب.

13 - كتاب المدخل إلى المنطق.

المصادر والمراجع:

- إيضاح المكنون 275/2، 289، 454.
- البيان المغرب لابن عذاري 141/1.
- طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل الأندلسي، تحقيق فؤاد سيد (القاهرة 1955) ص 86.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة 58/3-59.
- الكامل لابن الأثير 165/8.
- كشف الظنون 243/1-1390/2، 1394، 1404، 1411، 1413، 1414، 1464 (كذا أحصاها في معجم المؤلفين).
- معجم المؤلفين 234/2.
- ورقات... 237/1، 239.
- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لإدوارد كرنيليوس فانديك (القاهرة 1897) ص 217.
- هدية العارفين 199/1.

* * *

10 - ابن أبي الأسود (... - حوالى 256 هـ[1]) (... - 870 م)

أحمد بن أبي الأسود القيرواني من كبار علماء النحو واللغة ومن الشعراء المجيدين تخرج بأبي الوليد عبد الملك بن قطن المهري.

له تآليف في النحو وغريب اللغة لم تصلنا أسماؤها أشار إليها الزبيدي بقوله: «وله أوضاع في النحو والغريب ومؤلفات حسان».

المصادر والمراجع:

- إنباه الرواة للقفطي 31/1-32.
- بغية الوعاة للسيوطي 297/1.
- البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروز آبادي (صاحب القاموس) 254-255.
- معجم الأدباء لياقوت الحموي 230/2.
- ورقات عن الحضارة... 163/1-164.

* * *

1) لم يذكر الذين ترجموا له تاريخ ميلاده ووفاته واعتمدت على أنه كان حياً بعد سنة 256 على وفاة شيخه المهري في هذا التاريخ.

11 - الأصرم (. . .- حوالى 1172 هـ) (. . . - 1756 م)

أحمد الأصرم ، الأديب الشاعر ، والفقيه المشارك في علوم ، رئيس كتاب ديوان الإنشاء .

ولد بالقيروان ، ونشأ بها ، وأخذ عن الشيخ عبد الله السوسي السكتاني المغربي أيام إقامته بالقيروان ، ونسبهم في قبائل الفتح من اليمنية (إتحاف أهل الزمان) ، قال محمد بيرم الرابع «صحب الأمير محمد باي أيام مقامه ببلدته عند تأجّج نار الفتنة الشهيرة ، وذهب معه إلى الجزائر وأقام بها ، وتصدّر للإشهاد ، وقضى هناك أياماً بالنيابة ، ولما فرّ الأمير محمد الرشيد إلى الجزائر هو وإخوانه كان في صحبتهم» .

قال في «عنوان الأريب» : «حتى كان يحمل الأمير محمد الرشيد على كاهله إذا أعياه المشي ، حتى بلغ منجاته من الجزائر ، فحفظوا ذلك العهد ، وأولوه خير جزاء من بعد ، فاقتعد دست الكتابة . . .» إلى أن قال : «ولا يزال الأمراء الحسينيون يرعون لآله عهد أبيهم ، حتى جعلوا رئاسة الكتابة فيهم ، فتداولها خلفهم عن سلفهم» .

توفي في دولة علي باي .

له حاشية على شرح المحلي لجمع الجوامع في أصول الفقه .

المصادر والمراجع :

- إتحاف أهل الزمان عرضاً في ترجمة أخيه محمد ، ولم يذكر تاريخ وفاته .
- الجواهر السنيّة في شعراء الدولة الحسينية لمحمد بيرم الرابع ص257-285.
- عنوان الأريب 30/2-32، ولم يذكر تاريخ وفاته وإنما اقتصر صاحب الجواهر السنيّة على أنه مات في أيام علي باي.

* * *

12 - الأصولي (كان حياً سنة 693 هـ) (1293 م)

عبد الرحمان بن محمد الأصولي ، أديب شاعر ، وعالم جليل ، انتفع الناس بعمله إقراء وتأليفاً .

كان موجوداً في عصر السلطان أبي زكريا يحيى الثاني الحفصي .

له تبكيت الناقد[1] ولعله ألّفه رداً على من انتقد القصيدة السينية لابن الأبّار .

المصادر والمراجع :

- رحلة التيجاني 269-378.
- عنوان الأريب 66/1-67.

* * *

13 - أعين بن أعين (. . . 385 هـ) (. . .995 م)

أعين بن أعين ، كحّال عاش في عصر المعز لدين الله الفاطمي بالقيروان ، وانتقل معه إلى مصر .

كان ماهراً في معالجة الرمد المزمن ، وشفي على يديه خلق كثير من المصابين به مثل الشريف أحمد بن عوانة ، وشيخ المالكية عبد الله بن أبي زيد .

قال ابن أبي أصيبعة : «كان طبيباً متميزاً ، وله ذكر جميل ، وحسن معالجة» .

مؤلفاته :

1 - كتاب أمراض العين ومداواتها .

2 - كناش في الطب .

المصادر والمراجع :

- الأعلام 399/1 (نقلاً عن طبقات الأطباء) .
- طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة 143/3 (ط بيروت) .
- معالم الايمان (ط/1) 83/3، 191.
- هدية العارفين 25/1.
- ورقات . . . 305/1.

* * *

1) لم نجد له ترجمة مفصلة ، وفي سنة 693 مدح السلطان أبا زكريا يحيى الحفصي ، ووصف واقعة يعقوب الهرغي الذي ثار بطرابلس بدعوى المهدوية فقبض عليه مع أتباعه وقتلوا جميعاً .

14 – ابن الأغلب (. . .283 هـ) (. . .896 م)

محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب التميمي أبو العباس، من بيت إمارة بني الأغلب، أمراء القيروان، وكان أبوه زيادة الله قد ولي إمارة افريقية بعد أخيه أبي إبراهيم أحمد بن محمد، وكان محمود السيرة، ذا رأي ونجدة. قال عن هذا الأمير الأب القاضي سليمان بن عمران: «ما ولي لبني الأغلب أعقل من زيادة الله الأصغر». سمّاه الأصغر لأنه سمي باسم عم أبيه زيادة الله بن إبراهيم.

وورث عنه ابنه محمد خلال الخير وحسن السلوك، ولاه ابن عمه إبراهيم الثاني بن أحمد بن محمد بن الأغلب طرابلس، فكان يشق عليه حسن سيرته ويكره ذلك لأن إبراهيم الثاني كان سكيراً ماجناً جريئاً على سفك الدماء، ولم يزل إبراهيم الثاني يحقد على محمد هذا ما يؤثر عنه من جميل إلى أن قتله. والسبب الذي دعاه إلى قتله، مع قدم حسده له، ثناء الخليفة المعتضد العباسي عليه، وترشيحه للإمارة بدلاً من إبراهيم. فقد روي أن إبراهيم الثاني وجّه رسولاً إلى بغداد، فكتب إليه يخبره أن بعض من سار إلى بغداد من أهل مدينة تونس شكوا إلى المعتضد صنع إبراهيم، فقال المعتضد: «عجباً من إبراهيم ما يبلغنا عنه إلا سوء الثناء عليه، وعامله على طرابلس يبلغنا عنه خلاف ذلك من رفق بمن ولي عليه وإحسان».

ونقل عن إبراهيم الرقيق أن المعتضد كتب إلى إبراهيم: «إن لم تترك أخلاقك في سفك الدماء فأسلم البلاد إلى ابن عمك محمد بن زيادة الله صاحب طرابلس».

فثار إبراهيم وهاج وفكر في التخلص منه فخرج إلى طرابلس خفية وتظاهر بأنه يريد الخروج إلى مصر حيلة منه إلى أن ظفر به فقتله وصلبه بغياً وحسداً، وقتل أولاده، وعاث في أصاغره عيثه المشهور حتى أنه شق جوف بعض نسائه عن جنينها وكان بين خروجه ورجوعه خمسة عشر يوماً.

والمترجم له كان عالماً خطيباً أديباً ظريفاً شاعراً حسن السيرة، مع عشرة لإخوانه، ولين جانب لأخدانه، لا ينادم إلا أهل الأدب.

ومن شعره [طويل]:

ومما شجا قلبي بتوزر أنني ... تناءيت عن دار الأحبة والقصر
غريباً، فليت الله لم يخلق النوى ... ولم يجر بين بيننا آخر الدهر

مؤلفاته:

1 – تاريخ بني الأغلب.

2 – راحة القلب .

3 – كتاب الزهر .

المصادر والمراجع :

- الأعلام 366/6.
- البيان المغرب 129/1 (سنة 283). .
- الحلة السيراء لابن الأبار ، تحقيق د . حسين مؤنس (ط القاهرة سنة 1963) 179/1-181.
- دراسة عبد الله الطباع عن الحلة السيراء ص 420.
- معجم المؤلفين 12/10.

* * *

الإمام الزغواني = برتقيز يوسف بن محمد

15 – الإمام المنزلي (. . . 1248 هـ) (. . . 1832م)

محمد بن مَحمد (بفتح الميم) بن فرج ، المعروف بالإمام المنزلي ، نسبة إلى بلدة منزل بوزلفة ، وعقبه موجود بها إلى الآن .

أصل جده من قبيلة بمصر تسمى الحمر (بضم الحاء المهملة وسكون الميم) قدم جده الأعلى من مصر إلى البلاد التونسية ، وجاء إلى منزل بوزلفة آخر المائة السادسة ، فوجد الناس قد فرغوا من بناء البلدة ولما رأوا في هذا الزائر الغريب آثار الفقه والصلاح ولّوه الإمامة والخطابة بجامع البلدة وبقيت إمامة الجامع في عقبه يتوارثونها خلفاً عن سلف حتى أن أسرته اشتهرت بعائلة الإمام ، وهي أسرة معروفة إلى الآن بهذا اللقب في منزل بوزلفة ، وهي من أقدم الأسر العربية هناك .

وكان الشيخ محمد الإمام المنزلي عالماً فاضلاً ، فقيهاً مدرّساً متفنناً في علوم شتى ورعاً زاهداً وهو شيخ الطريقة القادرية وناشرها بالقطر التونسي في القرن الثالث عشر الهجري . وقد أجازه بالطريقة القادرية ابن بلدته الشيخ علي الشايب بن عمر المنزلي بإجازتين وسندين لأنه تلقى الطريقة عن الشيخ محمد بن عبد الكريم السمّان بالمدينة المنورة ، وأجازه بإسناده فيها ، ثم سافر إلى بغداد وزار مقام الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وأجازه بعض أحفاد الشيخ عبد القادر بإسناده في الطريقة ثم رجع الشيخ علي الشايب إلى منزل بوزلفة ، وبنى زاوية للقادرية ، وأجاز الشيخ محمد الإمام بإسناديه المذكورين .

ولما توفي شيخه علي الشايب بن عمر تصدر لنشر الطريقة القادرية وجعل له أمير وقته طابعاً يطبع به الإجازات، وكان يجيز من يأتيه من سائر الآفاق.

ومن المعلوم أن الطريقة القادرية تسربت إلى تونس مع الأتراك لاعتقادهم في الشيخ عبد القادر الجيلاني، ولمؤسس الدولة الحسينية اعتقاد فيه كبير، وهذه الدولة من بقايا سلالة الأتراك وكان الأمراء الأوّلون منها ينتسبون إلى الطريقة القادرية، وانتسب أخلافهم إلى الطريقة التيجانية، وبقي لها احترام وقداسة ومكانة في القصر وحاشيته حتى بعد الاحتلال الفرنسي بزمان. ولذا كان المتزلفون إلى القصر وحاشيته ينتسبون إلى الطريقة التيجانية وبعضهم يؤلف في مناقب مؤسسها الشيخ أحمد التيجاني، ومنهم المحدث الأديب أحمد أديب المكي نزيل تونس.

ومن تلامذته في العلم والطريقة أحمد الحربي، ومحمد صالح عيسى الكناني، القيروانيان.

مؤلفاته:

1 - تخاميس على قصائد عديدة.

2 - تخميس على رائية البوصيري في الصلاة على رسول الله ﷺ.

ومطلع رائية البوصيري:

يا رب صل على من سبح الحجر   في وسط كفيه وانشق له القمر

3 - سعادة الدارين في الصلاة والسلام على سيد الثقلين، تبع فيه الشيخ محمد الجزولي. وهو قدر ثلثي «دلائل الخيرات» قال فيه - بعد الخطبة - «هذا الكتاب جمعت فيه ما فتح الله على قلبي من كيفيات الصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين».

4 - منظومة آداب المريدين شرحها الشيخ عبد القادر بن عبد الله المجاوي[1] الجزائري، ط تونس 1314 هـ في 100ص.

5 - منظومة في أحكام الجمعة. ضمن فيها ما حكاه الشيخ خليل في «مختصره».

6 - منظومات في مدح رسول الله ﷺ.

7 - منظومات في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني.

1) في معجم المطبوعات 1291/2 «المجادي» والتصحيح من كتاب «تعريف الخلف برجال السلف» 449/2-450.

المصادر والمراجع:

- تكميل الصلحاء والأعيان لمحمد بن صالح عيسى الكناني، تحقيق محمد العنابي (ط تونس 1970) ص281-291 وهو آخر المترجم لهم في هذا الكتاب.

* * *

16 – ابن اندراس (674 هـ[1]) (1275 م)

محمد بن أحمد بن محمد الأموي، المعروف بابن اندراس، أبو القاسم أبو يعقوب، المرسي الأندلسي، نزيل تونس. كان متقدماً في علم الطب، عارفاً بالعربية وأصول الدين، مشاركاً في غيرها من العلوم وكان حاضر الذهن ومن عادته إذا سئل عن مسألة من الطب لا يجيب فيها إلا بعد إمعان النظر على طريقة الحذاق وأرباب الدين.

بارح بلده مرسية ومر بالمغرب الأقصى فأقام بطنجة ثم أقام ببجاية في حدود سنة 1262/660 ودرس بها أرجوزة ابن سينا في الطب، وقانون أبي موسى الجزولي في النحو. وممن قرأ عليه ببجاية أحمد الغبريني صاحب «عنوان الدراية» وأبو بكر بن الفلاس الفقيه الطبيب، وحضر مجالس من القراءة عليه القاضي الجليل عبد الله بن يعقوب وغيرهم، قراءة بحث واتقان، وجودة بيان، كما قرأ عليه الغبريني جملة من كليات «القانون» لابن سينا بعد قراءة الأرجوزة، وكانت الأبحاث في كل ذلك جارية على القوانين النظرية والاستدلالات الجلية.

وفي مدة إقامته ببجاية تولى تطبيب الولاة مع بعض خواص الأطباء، وسمع به السلطان محمد المستنصر الحفصي فاستدعاه إلى تونس، فكان من جملة أطبائه وجلسائه.

وفي «الفارسية» عند الكلام عن السلطان أبي يحيى بن أبي زكريا بن إسحاق الحفصي حكاية تدل على صلته بالبيت المالك الحفصي واعتراف سلطان وقته بمهارته في الطب، مع تحرزه منه لميله إلى ابن اللحياني، وما هي إلا وساوس ملوك الإطلاق فإن المترجم له كان معروفاً بالديانة «حكى الفقيه الطبيب أبو علي الحسن المراكشي الحكيم ببلدنا (قسنطينة) قال: دخلنا عليه بالدكان وهو رياضُه الذي بظاهر قسنطينة فوجدته بجراحات فاحشة أصابته في قتاله مع رياضُه الذي الواديين، قال: وبإزائه الفقيه الطبيب العالم أبو يعقوب بن اندراس، وفي المجلس الطبيب

---

1) هذا هو الصحيح في تاريخ وفاته كما هو مذكور في مصادر ومراجع ترجمته وهو مضبوط بلسان القلم في «عنوان الدراية» وفي هامش «الذيل والتكملة» وفاته سنة 694 مضبوطة بلسان القلم.

ابن حمزة والد القائد أبي عبد الله بن الحكيم وقد أفزعهم ما رأوا به من الجراحة ، فقال لهم السلطان الأمر قريب فيها فإن سيدي يعقوب بن عمران[1] وعدني أني أموت على فراش العافية . . .

قال الحكيم: فلما افترق المجلس وجه إليّ وحدي وقال لي بلا شك إن ابن اندراس هو ابن سينا زمانه وابن حمزة أمين دارنا ، فإذا أشار ابن اندراس بشيء فتأمله ، فإني اتهمه بموالاته ابن اللحياني وكان ابن اندراس هذا إذا دخل على السلطان - رحمه الله - قرب له بيده مخدة من مخاد سريره إكراماً للعلم.

مؤلفاته :

1 - رجز في الطب نظّم فيه بعض الأدوية أتمه ببجاية .

2 - نظم في الأدوية المفردة من القانون لابن سينا وكلف تلميذه الغبريني نظم بعض الأدوية على سبيل التعاون فنظم له بعضها ، قال الغبريني : «وما علمت هل استكملها بعد أم لا ؟» .

المصادر والمراجع :

- الأعلام 218/6.
- الذيل والتكملة 64/6.
- عنوان الدراية 101-102.
- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن القنفذ القسنطيني ص 163.
- معجم المؤلفين 318/8-319.

* * *

17 - الأندلسي (كان حياً سنة 1047 هـ[2]) (1637 م)

أحمد بن محمد بن عبد العزيز الأندلسي التونسي الحنفي مفتي الحنفية بتونس من رجال القرن الحادي عشر / السابع عشر .

---

1) هو البويوسفي الملاري القسنطيني كان من الصلحاء وتروى له كرامات. وفي هذا العصر وقبله بمدة طويلة بدأ الانحطاط الفكري والعلمي وعلا شأن الصلحاء والمتصولحين ورجال التصوف وشاعت الخرافات وصدقت بها العقول.

2) برنامج المكتبة الصادقية (العبدلية) 85/3 - 263/4

مؤلفاته :

1 - رسالة في تكفير جاهل الإيمان أولها : «حمداً لمن شرع لعباده الشرائع والأحكام. وقال في الديباجة «قد التمس مني بعض الطلاب تحرير بعض الأدلة في تكفير جاهل صفة الإيمان ليعم بها الانتفاع فأجبته لذلك» . وختمها بعشر تنبيهات مهمة ، قال : «دعاني إليها عموم البلوى بتونس وإن لم يكن لها كبير مناسبة فيما نجن فيه» .

فرغ من تأليفها يوم الجمعة في شوّال سنة 1047 في 71 ورقة من القطع المتوسط توجد ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية بتونس .

2 - نهاية المنجلي ودرّة المبتدي ، في حل ألفاظ منية المصلي وغنية المهتدي وهو شرح مبسوط على غنية المصلي للكاشغري وافق الفراغ من تعليقه صبيحة يوم الجمعة في 8 جمادى الأول سنة 1043 وهو مجزأ إلى جزءين في مجلد واحد مشتمل على 226 ورقة من القطع المتوسط يوجد بالمكتبة الوطنية بتونس .

المرجع :

- برنامج المكتبة الصادقية (العبدلية) 263/4-85/3.

* * *

18 - الأندلسي (960 هـ) (1552 م)

علي بن إبراهيم بن أحمد بن غانم الأندلسي ، المعروف بآرباش وهو اسم أطلق عليه بالاسبانية ويسمى أيضاً بالمعجام ، نزيل تونس .

ولد بقرب غرناطة بعد خروج المسلمين من إسبانيا ، ثم خرج منها وتعاطى الجهاد في البحر ضد الاسبان وهو ما يعبّر عنه تعبيراً غير صادق بالقرصنة. وتعاطيه للجهاد في البحر كان شأن كثير من الأندلسيين المهاجرين في ذلك العصر وما قاربه بعد خروج المسلمين من الأندلس .

دعي إلى تونس وعهد إليه بالدفاع عنها .

لـه :

العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمدافع، وهو في وصف آلات الحرب على اختلاف أشكالها مع إيضاح ذلك بالرسوم . منه نسخة في دار الكتب المصرية وفي

الجزائر وفي فيينا .

المراجع :

- تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان 364/3.
- المنجد في الأدب والعلوم.
- إيضاح المكنون 273/2، 424، 73/1 (في ترجمة الأندلسي علي بن إبراهيم بن أحمد). وكتابه العزّ والمنافع منه نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس رقم 440، وحقّق الجزء الأول منه سعيد بن عثمان سنة 1974 لنيل درجة الكفاءة في البحث العلمي من قسم اللغة العربية في كلية الآداب بالجامعة التونسية (لم ينشر) .
- إيضاح المكنون 147/2.
- هدية العارفين 21/1 وفيه أنه فرغ منه سنة 1048 وأنه موجود بدار الكتب كوبرلي . المؤرخون التونسيون ص 33 هامش (1).
- وثائق عن الهجرة الأندلسية الأخيرة إلى تونس بقلم عبد المجيد التركي ، حوليات الجامعة التونسية ع 4، 1967، ص 64-67.

* * *

19 - الأوسي (662 هـ) (1264 م)

محمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي العاصي الأنصاري الأوسي البسطي الأندلسي، أبو الجيش ، نزيل تونس .

روى بالأندلس عن جماعة ، وأخذ بالاسكندرية ومصر ومكة عن أعلام ، ثم رجع من رحلته المشرقية فاستوطن تونس إلى أن مات بها يوم الثلاثاء في 21 صفر .

وكان مقدماً في علم النحو حافظاً للآداب ، حسن المشاركة في فنون من العلم .

مؤلفاته :

1 - رجز في الطب .

2 - رجز في القراءات .

3 - مصنف في الآداب .

4 - مصنف في الوثائق .

المصدر :

- الذيل والتكملة 83-82/6.

* * *

20 - الأومي[1] (1036 هـ) (1646 م)

عبد الله المشهور بعبيد (مصغراً) ابن المنتصر بن أحمد بن عبد الواحد الأومي الصفاقسي العالم بالقراءات، الفقيه المحقق وهو من شيوخ الشيخ أبي الحسن الكراي الوفائي نسباً وطريقة، والشيخ المفتي أحمد الحكموني (ت سنة 1753/1083) المدفون بروضة أبي زمعة البلوي من الجهة الغربية بمدينة القيروان.

كان ديّناً صلباً في الحق عالي الهمة حليماً صبوراً وتروى عنه حكايات في ذلك، منها أنه كان مرة راكباً على حمار بطيء السير ولما ضجر منه قال: لولا الخوف من يوم القصاص لضربتك بهذا القرطاس، وشى به بعض الحساد فنفي إلى المهدية، ثم نفي مرة أخرة إلى الحامة وتوفي ببلده صفاقس.

مؤلفاته :

1 - أبحاث مع محمد بن حسين الفاسي شارح الشاطبية في أوراق يسيرة.

2 - ترتيب أجوبة محمد بن سحنون على أسئلة محمد بن سالم على أبواب الفقه، مع التنبيه في بعض المواضع على أرجح الأقوال في مواطن الخلاف بتشهير أو نحوه بحسب الاستطاعة لا عن كل مسألة. به نقص بعد الخطبة ونقص في آخره وفي عدة مواضع، توجد نسخة منه بخطه الجميل ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية بتونس (من مكتبة الشيخ علي النوري).

3 - فتاوى فقهية، غير مرتبة بها نقص كثير في أوراقها توجد بالمكتبة الوطنية.

4 - فرائد الفوائد في نظم جملة من العقائد نظم من بحر الرجز في 129 بيتاً فرغ منه في

1) نسبة إلى أومة الكائنة شمالي قرية نقطة غربي صفاقس آثارها باقية إلى الآن والشائع الآن على الألسنة «اللومي» وهذا النسب يوجد أيضاً في أولاد فضة (من بطون قبيلة المثاليث) القاطنين بضاحية سيدي منصور الغلام شرقي صفاقس وقد رأيت في رسوم (وثائق) الملكية الراجع تاريخها إلى القرن الماضي وبداية القرن الحالي أن العدول الموثقين يذكرون الأومي الصفاقسي والأومي الفضي.

المحرّم سنة 1023هـ كما أفصح عن ذلك في آخره :

وافق الختم لذا النظام بفاتح الأشهر للأعوام
بعد ثلاثة مضت للهجرة من بعد ألف ثم ضعف العشرة

توجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس ، والغالب على الظن أنه بخط قريبه الشيخ علي الأومي ، وعليه تعليقات وجيزة لتوضيح معاني بعض الألفاظ .

المصادر والمراجع :

- نزهة الأنظار لمحمود بن سعيد مقديش (طبعة حجرية بتونس 1321هـ) 158/2.
- مذكرات خاصة عن مكتبة الشيخ علي النوري لكاتبه (مخطوطة) .

* * *

21 - الأومي (1204 هـ) (1789 م)

علي بن علي بن محمد الأومي الصفاقسي ، حسبما وقفت عليه بخط يده في إجازة الشيخ عبد الله السوسي السكتاني المغربي له ، ووجدت بخط حفيده للبنت الشيخ محمود السيالة ما يلي : إن نسبه متصل بالشيخ عبيد الأومي ، وإن أصلهم الأول من رقود الأومة المجاهدين المدفونين بأرض المسعودة وهي جوفي[1] (شمالي) بلد نقطة[2] غربي صفاقس وهم المدفون معهم سيدي أبو عكازين الرقيق[3] الذي من ذريته رقود الحاجب ، ثم سكنوا صفاقس

1) الجوف بمعنى الشمال ، لفظة متداولة الاستعمال لدى المغاربة والأندلسيين .

2) نقطة بفتح النون والقاف المشددة والطاء قرية على ساحل البحر غربي صفاقس على بعد بضع كيلومترات من قرية الشفار والمصطاف ذي الشاطىء الجميل . قامت بدور هام أثناء الحرب الإيطالية الليبية إذ كانت الإعلانات ترسل منها عن طريق البحر إلى طرابلس والمسافة بين صفاقس وطرابلس عن طريق البحر هي أقصر مسافة من طريق البر وصفاقس من هذا الطريق (البحري) أقرب إلى طرابلس من تونس وفي هذه الفترة كان الضباط الأتراك المرسلون إلى ليبيا ينزلون أولاً بصفاقس ثم يتوجهون من نقطة بحراً إلى طرابلس ومنهم أنور باشا ومصطفى كمال وغيرهما ، وكان رياس السفن من أبناء جزيرة قرقنة يحضرون في الموعد المحدد ويؤدون مهمتهم بنجاح ولا يبوحون بالسر بعد أدائها ، وفي هذه الفترة لم تبدأ إيطاليا في حصارها لطرابلس بحراً واختيرت نقطة لهذا الغرض لأنها بعيدة عن رقابة السلط الاستعمارية وفضول جواسيسها .

3) هو محمد الرقيق الأدريسي الحسني الملقب بأبي عكازين من الصالحين من رجال القرن السابع. أنظر نزهة الأنظار لمحمود مقديش 156/2-158.

بأهلهم واستوطنوها وأخذوا العلوم من علمائها واستحكموها، ثم من علماء تونس ومصر، ثم شاخوا[1] بدروسها في جامع صفاقس والقصر[2].

قرأ ببلده صفاقس ثم رحل إلى القيروان وأخذ عن الشيخ عبد الله السوسي السكتاني المغربي قبل انتقاله إلى مدينة تونس، الفقه والتوحيد والفرائض والحديث والأصول والتفسير والحساب والمنطق وأجاز إجازة مؤرخة بأوائل شهر ذي الحجة سنة 1730/1143 برواية الصحاح الستة عن شيخه خاتمة المحدثين بالحجاز أبي محمد عبد الله بن سالم البصري المكي الشافعي عام مجاورته بمكة سنة 1715/1127 عن محمد بن علاء الدين البابلي المصري إلى أن ينتهي إلى طريق الحافظ ابن حجر العسقلاني، كما أجازه برواية «رياض الصالحين» و «الأربعين النووية» و «الموطأ» و «الشفا» للقاضي عياض و «الجامع الكبير» و «الصغير» للسيوطي و «سيرة ابن إسحاق تهذيب ابن هشام و «الروض الأنف» للسهيلي، و «شرح النخبة» للحافظ ابن حجر، وتفسير البغوي المعروف بـ «معالم التنزيل» و «الوسيط» للواحدي وسائر تصانيفه، وتفسير فخر الدين الرازي وتفسير القاضي البيضاوي، وتفسير «البحر المحيط» لأبي حيّان الأندلسي وتفسير الجلالين و الإحياء للغزالي و التذكرة للقرطبي و الحكم لابن عطاء الله.

وإجازة الشيخ عبد الله بن سالم البصري للشيخ عبد الله السوسي السكتاني مؤرخة بالرابع والعشرين من ذي القعدة عام 1710/1122.

كما أجازه الشيخ عبد الله السوسي السكتاني بما تضمنه ثبته في رواية «مختصر» خليل ابن إسحاق، عن الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومي المنشاوي المتوفى سنة 1725/1131 عن شيخه محمد الخرشي بالسند المتصل إلى الشيخ خليل ثم ذكر عقب ذلك سنده في رواية فقه مذهب مالك إلى أن ينتهي إلى الأندلسيين والمغاربة.

وإجازة الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومي مؤرخة في ربيع الأول سنة 1719/1131 وفي هذا الثبت إجازة عامة من الشيخ منصور المنوفي الشافعي.

ثم ارتحل علي الأومي إلى تونس وأخذ عن علماء الزيتونة، ثم ارتحل إلى مصر وجاور بالأزهر خمس سنوات واقرأ فيه بعض الدروس ومدحه بعض تلامذته المصريين [وافر]:

له ذهن يغوص ببحر علم ... فيأتي منه بالدر النظيم
معانيه الضيا ولأجل هذا ... سرت ألفاظه مثل النسيم

وقال في بلده صفاقس [طويل]:

---

1) تعبير عامي معناه، صاروا شيوخاً مدرسين.
2) جامع قصر الرباط بالناحية الغربية من صفاقس وتلك الجهة كان بها قصر الرباط، انظر تاريخ صفاقس لأبي بكر عبد الكافي في ج 2 ص 21-24 (ط صفاقس سنة 1980).

تزيد على مر الزمان حلاوة صفاقس من راقت بحلو المشارب
لها في أقاليم البلاد شوارق منزهة أقمارها عن مغارب

وقال الشيخ محمد البنداري المصري مادحاً له ومثنياً على مجلسه بالأزهر ومتشوقاً إليه بعد مبارحته للأزهر [كامل]:

لم أنس أياماً لنا ولياليا سلفت وعيناً بالصريم تصرما
إذ نحن لم نخش الرقيب ولم نخف صرم الزمان ولا نبالي اللوما
والعيش غض والحواسد نوم عنا وعين البين قد كحلت عمى
ومناهل عذبت بحسن لوامع وبحافتيها الأنس جمع منعما
والجالسون بها شموع أزاهر يبدون في أشباح ليل أنجما
كنا بهم في صفو عيش وافر حتى رمت أيدي التشتت أسهما
وتذبلت ورد الغصون وسلكه من بعد ما بالأنس كان منظما
والدمع منشور على منشورها والنوم من مر التجافي سيما
وغدا الكئيب محمد البنداري في لقيا علي الأومي صبا مغرما

وبعث له مع الشعر رسالة نثرية طويلة.

وللمترجم له ثبت[1] جمع فيه إجازات شيوخ الأزهر له بإمضاءاتهم وأختامهم وبعضها مؤرخ بعام (1756/1167) وأخذ الإجازات مؤذن بانتهاء مدة الدراسة وإذا كانت مدة مجاورته بالأزهر خمس سنوات فإننا نستنبط أنه التحق به حوالي سنة (1751/1154).

وهذه أسماء شيوخه الأزهريين وما قرأه عليهم وما أجازوه به وتاريخ الإجازة ان ذكرها المجيز :

1 - قرأ علي الشيخ محمد بن أحمد الرشيدي المالكي المنظومة الجزرية في التجويد وشرحها لشيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري مرتين، ومن الشاطبية وقف حمزة وهشام على الهمز، وشرحه للعلامة المرادي المعروف بابن أم قاسم، وكذلك رسالة لشيخه الرشيدي المذكور في نفس الموضوع وقرأ عليه أيضاً ضبط الخراز «في رسم القرآن» ورسالة محمد بن قاسم بن إسماعيل البقري[2] في أصول القراءات السبع[3]، كل ذلك

1) الثبت (بفتح الثاء المثلثة وبفتح الباء الموحدة المسفولة من بعدها) الفهرس الذي يجمع فيه المحدث مروياته وأشياخه كأنما أخذ من الحجة لأن أسانيده وشيوخه حجة، وقد ذكره كثير من المحدثين وقيل أنه من اصطلاحات المحدثين. مرتضى الزبيدي، تاج العروس 534/1.

2) هو الشناوي الشافعي الأزهري المقرئ الصوفي (1108-1111/1609-1699) معجم المؤلفين 136/1.

3) اسمها «القواعد المقررة والفوائد المحررة» وتعرف بالفوائد البقرية في بيان مذهب كل واحد من القراء السبعة على انفراده.

بضبط وإتقان وأجازه في القراءات بالسند المتصل عن شيخه أحمد البقري إلى أن ينتهي إلى أبي عمرو عثمان الداني الأندلسي صاحب «التيسير» من طريق ابن الجزري وتاريخ الإجازة بيوم الاثنين الخامس من شعبان سنة 1167 وفي آخرها مصادقة المجيز بخطه وبدون ختم.

2 - وقرأ على الشيخ محمد البليدي الحسني الأندلسي، التونسي ثم المصري[1] (المتوفى سنة 1763/1176) ما تيسر من صحيح البخاري والجامع الصغير للسيوطي والشمائل للترمذي والأربعين النووية والهمزية للبوصيري، ومختصر البخاري لابن أبي حمزة، ومختصر خليل، وشرح كبري السنوسي وأجازه إجازة وجيزة بخطه وبختمه. وأجازه مرة ثانية برواية العقيدة الكبرى للسنوسي وشرحها بالسند المتصل إلى تلامذة المؤلف عن شيخه عبد القادر بن عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن يعقوب وهي إجازة عامة له ولغيره جاء فيها النص على إبتداء قراءة الكتاب وختمه «هذا وقد من علينا بقراءة العقيدة الكبرى وشرحها قراءة وتحقيق يؤمها الطالبون . . . وذلك بشهر شوّال في ثلاث وستين ومائة وألف ثم الامتنان بالختم فكان ربيعاً في ربيع الثاني عام أربع وستين»[2]. وصادق على الإجازة بخطه وختمه.

3 - وأجازه إجازة مطلقة الشيخ سالم بن محمد النفراوي[3] المالكي الضرير المتوفى سنة 1755/1168.

4 - ولازم مدة الشيخ محمد بن سالم الحفناوي[4] الشافعي الخلوتي (المتوفى سنة 1767/1181) وقرأ عليه ما تيسر من العلوم وأجازه بما تضمنه كتاب «الجواهر الغوالي في ذكر الأسانيد العوالي» من الكتب النقلية والعقلية على ما أجازه به مؤلفه الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد البديري الدمياطي المعروف بابن الميت وبالبرهان الشامي[5] والمتوفى سنة 1728/1140، كما أجازه في أثناء ذلك إجازة عامة بسائر ما يجوز له روايته من

---

1) كان عالماً بالعربية والتفسير والقراءات والفقه المالكي وله فيها مؤلفات.

2) (كذا) والصواب عام أربعة وستين.

3) كان مشهوراً بمعرفة فروع المذهب مع استحضار غريب ترجمته في شجرة النور الزكية 338، معجم المؤلفين 202/4 (سالم بن أحمد).

4) كذا بخطه في هذه الإجازة ويقال الحفني نسبة إلى حفنى بفتح الحاء كسكرى من أعمال بلبيس شرقي مصر وهو شيخ مرتضى الزبيدي الذي قال عند كلامه عن الحفني «ومنها شيخنا بل شيخ الدنيا جميعاً وهو الشيخ الإمام المحدث الولي العالم أبو عبد الله محمد بن سالم الشريف القرشي رئيس الجامع الأزهر والمحل المبارك الزاهي الأنور، وشيخ العلماء بعد شيخنا الشيخ عبد الله العالم الشبراوي الشافعي، رحمه الله تعالى». تاج العروس 182/6

5) كان محدثاً مسنداً صوفياً له مؤلفات في الحديث. ترجمته في الأعلام 295/7، فهرس الفهارس 154/1-155، معجم المؤلفين 164/11-165.

معقول ومنقول والإجازة بخط المجيز وختمه ومؤرخة بالتاسع والعشرين من شعبان سنة 1167 وهي موجودة في أول كتاب «الجواهر الغوالي في ذكر الأسانيد العوالي» في وجه الورقة التي بها عنوان الكتاب وهو مدرج ضمن ثبت الإجازات وهذا الكتاب يشتمل على ثلاث وأربعين ورقة[1] قياس كل ورقة 20,5 x 15,2 مسطرتها 25 سطراً فرغ منه مؤلفه في شهر ربيع الأول سنة 1137 والنسخة بخط مشرقي نسخي أتمها الناسخ في شعبان 1167.

5 - وقرأ على الشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي[2] (المتوفى سنة 1175/1189) العقائد النسفية بشرح سعد الدين النفتازاني وأجازه برواية صحيح البخاري بسنده كما أجازه بأسانيده في الفقه وببقية الصحاح وغيرها والأصول والمعاني وغير ذلك من العلوم. والأجازة بخط الشيخ علي الصعيدي العدوي من غير ختم ولا تاريخ.

6 - وسمع من الشيخ حسن بن علي بن أحمد المدابغي[3] الشافعي (المتوفى سنة 1764/ 1177) صحيح البخاري وغيره بالسند المتصل كما أجازه عامة في التفسير والحديث والأصول.

والإجازة بخط المجيز وختمه مؤرخة بيوم الثلاثاء 20 شعبان 1167.

7 - وأخذ عن الشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري الملقب بالمذاهبي لعلمه بالمذاهب الأربعة والعالم الرياضي وشيخ الأزهر فيما بعد[4] (والمتوفى سنة 1778/1192) شرحه على منظومة درة التوحيد وشرحه على السمرقندية في الاستعارات وشرحه على السلم في المنطق، وشرح عبد السلام اللقاني على جوهرة التوحيد، وشرح الخبيصي على التهذيب في المنطق وسلم المنار في علم الزيج ورقائق الحقائق في حساب الدرج والدقائق في علم حساب الزيج، والبداية في الحكمة وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك وشرح دلائل الخيرات، وغير ذلك من الكتب.

وأجازه بها وبغيرها من الكتب إجازة عامة بخطه وختمه في 21 شعبان 1167.

8 - وقرأ على الشيخ حسين بن محمد المحلي الشافعي (المتوفى سنة 1757/1170) الفرائض

---

1) قال عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس 154/1 «في نحو ستة كراريس وهو عندي بآخره إجازة مؤلفه للشمس محمد بن سالم الحفني».

2) كان عالماً محققاً له هوامش عديدة عامة كتب في مصطلح الحديث والفقه والمنطق ترجمته في الاعلام /15 5، سلك الدرر 206/3، شجرة النور الزكية 341-342، معجم المؤلفين 29/7-30.

3) عرف بالمدابغي لسكناه بحارة المدابغ بمصر، وكان أحد المعمرين المشهورين بعلو الإسناد له مؤلفات في القراءات والحديث والفقه. والاعلام 223/2، تاج العروس 8/2، 8/6، معجم المؤلفين 248.

4) ترجمته في الأعلام 158/1، معجم المؤلفين 303/1.

والحساب والجبر والمقابلة، ولازمه في دراسة الكتب في هذه العلوم كشرح منية الحساب لابن غازي ومقدمة القلصادي وبعض كتب ابن الهائم كالنزهة، والوسيلة، وبعض مؤلفات المجيز، كشرح الجدول وشرح المنظومة الشناوية.

وأجازه بجميع ما تلقاه منه وبغيره وبجميع ما رواه وقرأه رواية ودراية، وما تلقاه عن أشياخه مشافهة وإجازة، والإجازة بخط المجيز وختمه بتاريخ عام 1167.

وقبل الإجازة، كتب له شيخه المحلي رسالته المسماة «بالدر اللطيف في بيان أقسام الحديث الضعيف» التي فرغ من كتابتها في شعبان 1167 وهي رسالة صغيرة في ست ورقات تندرج ضمن الإجازة العامة.

9 - وأجازه برواية صحيح البخاري سليمان العزيزي الشافعي الشهير بالزيّات بأسانيده عن مشايخه وببقية مروياته من السنن وغيرها إجازة عامة مصادقاً عليها بختمه من غير تاريخ وهي آخر ما وجد بهذا الثبت من الإجازات، وحبذا لو يتوفق بعض الباحثين لنشره مصوراً مع تعليقات لأن له قيمة فنية لوجود خطوط العلماء به، وبعض هذه الخطوط نادر الوجود، ولما له من قيمة في تاريخ العلم والدراسات أواخر القرن الثاني عشر الهجري.

ويبدو أن بعض مشايخه لم يجزه ولم يدرج إجازتهم في هذا الثبت لأن تلميذه الشيخ محمود مقديش[1] ذكر من بين مشايخه الأزهريين علي بن الخضر العمروسي[2] شارح مختصر خليل والعالم الرياضي حسن الجبرتي والد المؤرخ عبد الرحمان.

ولما امتلأ وطابه وأشبع نهمه من المعرفة رجع إلى بلده مصحوباً بمكتبة نفيسة استعان بها على بث العلوم وتحقيقها فكان في دروسه الفقهية واللغوية وغيرها يستحضر ما يمكن استحضاره من المصادر المهمة بحيث أنه كان لا يقرئ إلا بتحقيق واطلاع ولما رجع لبلده انتصب للتدريس بجامعها الكبير وأقرأ العلوم الشرعية واللغوية والرياضية وتخرّج به جماعة كالشيخ محمود بن سعيد مقديش الذي شاركه في شيوخه التونسيين والمصريين، والطيب الشرفي، وعبد الرحمان بكار، ومحمد الزواري ومحمد المصمودي، والشعراء الثلاثة: إبراهيم الخراط وعلي ديب وعلي الغراب وابنه أحمد.

وقد أثنى محمود مقديش على مكانته العلمية، وتنوع معارفه بقوله: «كان - رحمه الله - إماماً، في المعمول والمنقول، حاملاً من العلوم الشرعية الأصول وفروعها، والأحاديث وعلومها والتفاسير وفنونها، وطرق القراءات والتجويد ووجوهها والعلوم الأدبية العربية ظاهرها ومكتونها، ومن علوم الرياضة منطقاً وحساباً وهندسة ومساحة وهيئة وميقات بكنوزها ومن

1) نزهة الأنظار 2/197-198.

2) (ت سنة 1760/1173) كان فقيهاً متكلماً، له مؤلفات أخرى عدا شرحه لمختصر خليل.

دقائق الحكمة* مفتاح كنوزها[1].

واستمر مثابراً بجد على التدريس والإفادة إلى أن لحق بربه في جمادى الأولى سنة 1789/1204.

وكان - رحمه الله - عفيفاً ديّناً بعيداً عن مواطن الشبهات، مائلاً إلى العزلة، غير راغب في تولي المناصب مثل القضاء، قال الشيخ محمود مقديش: «وكان - رحمه الله - ذا همة وعفة وصيانة قد سدّ أبواب الطمع عن جميع الخلق في متاع الدنيا وارتفع عن المناصب كلها، طلبه أهل بلده في تولي القضاء فأبى، فكتبوا فيه وثيقة بأنه اللائق بنا فأبطل جميع ما عملوه فولّوا الشيخ كمون.

ولما احتمى من القضاء ألزموه التدريس في الجامع الأعظم فأسعفهم وجعلوا له مرتباً يستعين به من المجابي المخزنية فأبى أن يقبله فلقيه شيخنا بوعصيدة[2] وقال «مالك امتنعت من المرتب وهو إعانة؟» . فقال: «هو من المجابي وأكثرها ظلم، وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به» [3]. فباسطه وقال له: «خذه فحماً واجعله تحت القدر» فقال: «هو استعانة والاستعانة لا تكون إلا بالله وما أذن الله فيه» فجعلوا له من الجزية فرضيه، وكذا جعل له شيء من زكاة الحبوب يقتاته هو وعياله وكان صابراً على الشدائد حتى وسّع الله عليه بالكفاف، وكان مائلاً إلى الخمول جداً ولا يصلي إماماً إلاّ في مسجد مهجور احتساباً فسألناه عن ذلك فقال: «لإحياءِ بيت من بيوت الله هجره الناس لقلة ما يعود عليهم فيه من الدنيا» . ولا يعرف للأمراء باباً ولو للشفاعة لأن الزمان قد فسد، وبطل عند أهله شفاعة الشافعين فوقوف[4] العالم على أبوابهم لا فائدة فيه فلذا نبذهم ظهرياً، وجعلهم نسياً منسياً، والتحدث بهم شيئاً فرياً.

وكان أولاً قد تحمل بعض الشهادات، فلما كثر[5] طغيان العامة على بعض المنتصبين لعمل الشهادة أعرض عن ذلك تعففاً وتكرماً . . . وكان ممن سلم[6] المسلمون من لسانه ويده، كثير الانجماع في بيته لا يخرج إلا لدرس يقرؤه أو لزيارة الصالحين والأقربين[7].

---

1) نزهة الأنظار 197/2 198.

2) هو رمضان بوعصيدة من تلامذة الشيخ علي النوري (ت بعد سنة 1757/1170) كان مقرئاً مفسراً واعظاً أديباً شاعراً كفيف البصر. أنظر نزهة الأنظار 169/2-170، شجرة النور الزكية 346-347.

3) يشير إلى الحديث الشريف: كل لحم -وفي رواية كل جسد- نبت من سحت فالنار أولى به. رواه أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء» 31/1 عن أبي بكر الصديق، والطبراني في الكبير، وفي سند الحديث عبد الواحد بن واصل، أورده الذهبي في «الضعفاء» وقال: ضعفه الأزدي، وعبد الرحمان بن زيد، قال البخاري والنسائي: متروك، انظر فيض القدير للمناوي 17/5-18.

4) في الأصل بوقوف.

5) في الأصل طغى.

6) في الأصل من أسلم.

7) نزهة الأنظار 198/2.

ولما ختم كتاب تلخيص المفتاح في البلاغة لجلال الدين القزويني بشرح السعد التفتازاني نظم بهذه المناسبة تلميذه علي الغراب قصيدة - حسب العادة المتبعة في ذلك العصر وبعده - أثنى فيها على مواهبه العلمية وعلى خصاله وأخلاقه فقال :[كامل] .

خذ من فنون العلم كل عويص فالعلم يعلي قدر كل رخيص[1]
سيما البيان فإنه لأجلها قدراً وأشرفها على التخصيص
إذ كان إيضاحاً لها وملخصاً مفتاح باب السعد في التلخيص

ومنها :

لكن إذا ما كنت آخذه على تاج الأيمة كامل التخويص[2]
أعني أبا الحسن علي من غدا يعزى إلى الأومي[3] لدى التخصيص
هو من بمضمار البلاغة قد حوى خلب السباق لدى ذوي التفريص
أما العلوم فإنه لرميمها أحيا، ومنها حل كل عويص
وملخص المعنى إذا أبدى الخفا منها يلخص أيما تلخيص
ومتى أراد الوصل معنى معرضٌ أفكارُه وصلت بلا تربيص
جمع الفضائل كلها فاكرم به من طود علم نال كل قنيص
ما عيب شيء منه إلاّ أنه عند السؤال مشتت التنقيص
فذَوُو الفضائل حين يذكر فضله تكسى من الارداء كل قميص
لا خير فيمن راح ينكر فضله لكنه من معشر التنقيص
بيت العفاف منزه ذو همة عليا، وصلب الدين غير شكيص
لا زال من بحر الجزالة والهدى خِلاً لزائره وعذب قريص[4]
وفي علوم الدين والدنيا اغتدى نوراً مبيناً ساطع التمحيص[5]
وكفاه في الدارين ما من شأنه أن يُهتدَى بالعلم كل حريص

مؤلفاته :

له مؤلفات انفرد بذكرها حفيده للبنت الشيخ محمود السيالة وهي :

---

1) القصيدة في ديوان علي الغراب، تحقيق محمد الهادي المطوي وعمر بن سالم (ط الدار التونسية للنشر (1973) 153-156 والأبيات الخاصة بمدح الشيخ علي الأومي في ص154-155 وقد اعتمدت على الديوان في رواية الأبيات، وفي تفسير بعض الألفاظ من صنع المحققين في الهامش؛ والقصيدة مثبتة أيضاً في نزهة الأنظار 2/199-200.

2) تزيين التاج بصفائح الذهب.

3) في الديوان ص154 «اللومي» وفي نزهة الأنظار 2/199 «الأومي».

4) التقريص: التنكيت بالكلام والقرص باللسان.

5) هو التقريس قلب الشاعر سينها صاداً للقافية.

1 - تقييد وجيز على مقامات الحريري ينتهي بشرح المقامة الرابعة والعشرين، وهو بخطه على الراجح عندي بعد المقارنة بنماذج من خطه في 12 ورقة من القطع الربعي، والنسخة خالية من ذكر اسم المؤلف. وتوجد نسخة أخرى في 10 ورقات ناقصة من آخرها والنسختان موجودتان بالمكتبة الوطنية في تونس.

2 - رسائل في التجويد.

3 - رسائل في التوحيد.

4 - رسائل في الفقه.

5 - رسائل في الحساب والهيئة.

6 - حاشية على رجز أبي مقرع[1] في الفلك.

7 - شرح على فرائد الفوائد في نظم جملة من العقائد من نظم قريبه عبيد بن المنتصر الأومي، بخط يده، وهو عبارة عن تعليقات وجيزة لتوضيح معاني بعض الألفاظ، يوجد بالمكتبة الوطنية.

المصادر والمراجع:

- ثبت الشيخ عبد الله السوسي السكتاني وفيه إجازته بخطه للشيخ علي الأومي، وهو بخط الشيخ علي الأومي مخطوط في المكتبة الوطنية بتونس.
- ثبت في إجازات الشيوخ الأزهريين لعلي الأوميّ، مخطوط في المكتبة الوطنية.
- شجرة النور الزكية 634.
- نزهة الأنظار [2/423-429 من طبعة دار الغرب الإسلاميّ تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ. بيروت 1988]. ورقة مسودة بخط الشيخ محمود السيالة محفوظة الآن في المكتبة الوطنية في تراث محمود السيالة.
- مذكرات خاصة عن مكتبة الشيخ علي النوري لكاتبه (مخطوطة).

* * *

1) أبو مقرع هو أبو محمد عبد الحق بن علي البطيوي، وسمي أبا مقرع لأنه لا يفارق المقرع في أسفاره غالباً كما جرت به عادة أهل البوادي بذلك ولا شك أن نظمه - رحمه الله - طويلاً جداً مع قلة مسائله وكثرة التكرار فيه (مقدمة الممتع في شرح المقنع نظم أبي مقرع)، تأليف محمد بن سعيد الميرغتي السوسي المتوفى سنة 1090/1679 وهو شرحه الكبير على نظمه المقنع المختصر من رجز أبي مقرع.

حرف الباء

22 – الباجي (... 1024 هـ) (... 1605 م)

محمد التواتي الباجي أبو عبد الله .

له : الخبر عن معرفة عجائب البشر وهو مجموعة حكايات توجد في المتحف البريطاني .

المرجع :

- تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان 304/3.

* * *

23 – الباجي (حوالي 1105[1] – حوالي 1184 هـ) (1693 - 1771 م)

محمد الصغير بن يوسف الباجي كاورغلي[2] أقام بباجة معظم حياته ، وعاصر أربعة من البايات الأولين وكان صبايحيا .

حضر ثورة علي باشا الأول عن عمه حسين بن علي باي مؤسس دولة البايات واستيلاءه على مقاليد السلطة ، التي انتهت بقتله . وشاهد دخول الجيش الجزائري إلى تونس وقد وصف كل ذلك في كتابه المشرع الملكي ، ولما عادت السلم ، واستقرت الأوضاع قفل راجعاً إلى باجة فانقطع للدرس وتخلى عن وظيفته ، وكان عالماً. تحريراً موقراً عند الأمراء والعامة .

تآليفه :

1 – التكميل المشفي للغليل ، يوجد بالمكتبة الوطنية بتونس .

---

1) قلّدت في تاريخ المولد والوفاة الأستاذ أحمد عبد السلام .

2) من كان أبوه تركياً وأمه من أبناء البلاد .

2 – المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي. دون في هذا الكتاب ما شاهده من أحداث، وتناول الكتاب تاريخ الفترة الممتدة من سنة 1705 إلى سنة 1771، وقد عاصر المؤلف أحداثاً مليئة بالاضطرابات والانتفاضات. إذ إن الفترة التي عاشها وقعت فيها ثورة علي باشا على عمه و[تمّ] استيلاؤه على الحكم، وحكى تفاصيل الثورة وتقلب علي باشا بين الهزيمة والنصر، وما ارتكبه من مظالم ونهب وتنكر لمن عاونه في ساعة الحرج من رؤساء القبائل، ثم القضاء على دولة علي باشا باستيلاء ابني علي بن حسين باي على الملك بمعاونة جيش الجزائريين.

وهذا الكتاب نقله إلى الفرنسية محمد الأصرم (ت سنة 1925/1343) وفيكتور سار (Victor Serres) طبع بتونس سنة 1900 ولم يتحر المترجمان في ترجمتها غاية التحري. ومن غرائب الأشياء إثر نقل الكتاب قل وجود نسخ من الأصل العربي، ويقال إن جميع نسخه أبيدت عمداً.

والكتاب في مجلد من القطع الكبير، 3 نسخ بالمكتبة الوطنية بتونس.

المراجع:

- فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية لعبد الحفيظ منصور (ط بيروت) ص400-401.
- محمد البشروش مجلة المباحث عدد 4 السلسلة الجديدة، رجب 1363 جويلية 1944 ص6.
- مصطفى زبيس مجلة المباحث عدد 88 السلسلة الجديدة، رجب 1366 ماي 1947.
- المؤرخون التونسيون . . . (بالفرنسية) الأستاذ أحمد عبد السلام ص243-251.

* * *

24 – ابن باديس (398 - 454 هـ) (1008 - 1062 م)

المعز بن باديس بن منصور الزيري الصنهاجي، من أشهر أمراء الدولة الزيرية الصنهاجية بافريقية. ولد بالمنصورية (قرب القيروان) وتولى الإمارة بعد وفاة أبيه سنة 1016/406 ونشأ نشأة علمية صالحة بين علماء المالكية فانطبع في ذهنه منذ صغره نعض مذهب الفاطميين الباطني الإسماعيلي إلى أن جرفه التيار الشعبي للإيقاع بصنائع الفاطميين وأتباع مذهبهم وإعلان الانفصال عن الخلافة الفاطمية وإعلان التبعية للخلافة العباسية، فدبرت الدولة الفاطمية الوسيلة المجرمة لتأديبه بإرسال فلتاء أعراب الصعيد من بني هلال وسليم الذين أتوا على الأخضر واليابس، وخرّبوا معالم الحضارة والعمران، وارتكبوا من الفظائع ما تكفلت كتب التاريخ بتفصيله، ولا مزية لهؤلاء الأعراب إلا أنهم أشاعوا اللسان العربي على نطاق

واسع بالبلاد حتى أن القبائل البربرية تعربت . يعزى للمعز بن باديس تأليف «عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب» نسبه له بروكلمان [1]، وهو تأليف في صفة الحبر والأقلام والخط ، يوجد بدار الكتب المصرية ومكتبة غوطا بألمانيا .

ونسب له البغدادي[2] منظومة سينية تسمى «النفحات القدسية في تراجم مشايخ الصوفية» ويرد هذا أن المعز لم يعرف بعطفه على الصوفية ، والصحيح أن النفحات القدسية من نظم أبي علي حسن بن أبي القاسم بن باديس القسنطيني[3] (ت سنة 1385/787) نظّمها بعد اتصاله بالحافظ صلاح الدين العلائي في القدس وإعارته له كتاب «روض المناظر في مناقب الشيخ عبد القادر» كما صرح بذلك في خطبة «النفحات الأنسية» ولمح له في «النفحات القدسية» ونظم القصيدة بعد مبارحته للقدس الشريف ورحلته إلى مصر .

المراجع :

- الأعلام 186/6.
- جرجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية 133/3.
- مرآة التاريخ التونسي ، فصل بقلم عثمان الكعاك منشور «بتقويم تونس» تونس 1946 مطبعة الإرادة ص 54.
- معجم المؤلفين 308/12.
- تاريخ آداب اللغة العربية 33/4.

* * *

25 - البارودي (نحو 1199 هـ[4]) (1784 م)

حسين البارودي الحنفي التونسي أبو عبد الله ، تولى خطة الإفتاء ، له رسالة رد بها على رسالة لطف الله الأزميري فيمن أفسد الركعتين الأخيرتين ، ورد عليه لطف الله برسالة ، وأعاد البارودي الرد عليه برسالة أخرى . وهذه الرسالة توجد ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية - ولطف الله الأزميري من علماء تركيا ، زار تونس وأقام بها مدة ، واتصل بعلمائها وكانت له معهم مجالس

1) الملحق 473/1.
2) هدية العارفين 165/2.
3) تولى قضاء الجماعة بتونس في سنة 778 هـ بعد وفاة أبي العباس أحمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن حيدرة (تاريخ الدولتين ص94) وقسنطينة كانت تابعة للبلاد التونسية في العصر الحفصي وجعل وفاته في هذه السنة ابن قنفذ في «الوفيات» وهو شيخه وابن بلدته وفي تاريخ الدولتين ص96 وفاته سنة 781 وابن قنفذ أعرف بهذا من غيره .
4) في هذا التاريخ توفي الشيخ عبد اللطيف الطوير ، شاعر القيروان وباش مفتيها والمترجم له معاصر له ، أنظر عنوان الأريب 41/2.

مذاكرة ومناظرة، واقترح على بعضهم تأليف رسائل، وألف هو رسائل وردوداً على غيره.

المراجع:

- برنامج المكتبة الصادقية (العبدلية) 136/4.
- الأعلام 269/7-70 (ط/5)- هدية- العارفين 465/2.

* * *

26 - البارودي (1304 هـ) (1887 م)

محمد بن أحمد البارودي الحنفي التونسي، كان الإمام الأول بجامع باردو (حيث يوجد قصر البايات بضواحي تونس وهو مقر مجلس الأمة الآن)، من علماء القراءات فقيه.

توفي في 27 شعبان / 22 ماي.

له «تعليم القاري» كتاب في قواعد التجويد، فرغ منه يوم السبت على الساعة الحادية عشرة في 25[1] جمادى الأولى 19/1293 جوان 1876 ثم طبعه بالمطبعة التونسية الرسمية في آخر رجب سنة 1294/ أوت 1878 في 48ص من القطع الصغير. قال في أوله: «قد وجدت أحكام التجويد متفرقة في كتب عديدة فأردت جمع ما تفرق منها في كتاب رتبته على مقدمة وخمسة عشر باباً وخاتمة، فالمقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه، والخاتمة في تحسين الصوت بالقرآن». وهو كتاب مفيد للمبتدئين. وعلى ظهر نسخة مخطوطة منه تقريظ لكبير أهل الشورى المالكية الشيخ محمد الشاذلي بن صالح (ت 1890/1308).

المراجع:

- برنامج المكتبة العبدلية 138/1-139، 263/2.
- معجم المطبوعات 513.
- معجم المؤلفين 243/8.
- هدية العارفين 385/2.
- محمد بن الخوجة: المجلة الزيتونية، م 4، فيفري 41 رقم 49.
- J. Quemeneur, Publications de l'Imprimerie Officielle tunisienne, in revue Ibla, No. 98, p. 164, No. 55.

* * *

1) في برنامج المكتبة العبدلية: 15 جمادى الأولى.

27 – البارودي (. . . - 1216 هـ) (. . . - 1801 م)

محمد ابن الشيخ المفتي حسين البارودي، الفقيه المجوّد. أخذ العلم عن والده وحمودة بن محمود، ومحمد الدرناوي، وأحمد السويسي إمام النحو في عصره، وأتقن التجويد عن والده وحمودة إدريس.

درس بالشمّاعية نيابة عن والده في حياته، واستقلالا بعد وفاته، وولي خطة الإفتاء.

توفي ضحى يوم الثلاثاء 16 ربيع الأول 28/1216 جويلية 1881.

له رسالة في مسائل الحيطان قرظها له محمد بيرم الثاني.

المصدر:

- إتحاف أهل الزمان 40/7.

* * *

28 – الباروني (من رجال القرن العاشر هـ) (16 م)

محمد بن زكريا الباروني[1] الجربي الأباضي.

مؤلفاته:

1 - نسبة الدين طبعة حجرية بقسنطينة سنة 1301 هـ.

2 - طبقات الأباضية.

3 - رسالة في حملة النصارى على جربة سنة 1574/916 ملحقة بكتاب «مؤنس الأحبة».

المرجع:

- نظام العزابة عند الأباضية الوهبية في جربة، للأستاذ فرحات الجعبيري (ط تونس 1975) ص 345.

* * *

1) أسرة الباروني أصلها من جبل نفوسة (بليبيا) وهي موجودة به إلى الآن، ومنها العالم الزعيم سليمان باشا الباروني، وهاجر فرع منها إلى جربة. ومن الملاحظ أن كثيراً من أسر جبل نفوسة هاجرت إلى جربة كالباروني والشماخي، والجادوي ومثل هذه الأسر موجودة إلى الآن في المكانين. ويمكن للملاحظ معرفة الأصل بتتبع القسمات البشرية فالأنموذج الجربي يميل غالباً إلى القصر مثل أنموذج وادي ميزاب، والجبالية يميلون إلى الطول وقوة البنية، وبعض الأسر الجربية هاجرت إلى نفوسة.

29 - البجائي (. . . نحو 689 هـ) (1282 - 1291 م)

عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر البجائي أبو محمد، نزيل تونس، الفقيه المتفنن، له علم بأصول الفقه، وأصول الدين (علم الكلام) ومعرفة بالحكمة (الفلسفة) وبراعة في المنطق خصوصاً على طريقة المتأخرين، ولم يكن في وقته أعلم منه «بكشف الأسرار» الذي وضعه الخونجي في علم المنطق، وهو أعلم به من واضعه.

رحل إلى بلاد المشرق وأخذ عن أعلام، وسمع جملة من كتب الحديث سمع عليه ابن رشيد كتاب «التلقين» في الفقه المالكي للقاضي عبد الوهاب و «معالم أصول الفقه» للفخر الرازي، و «الموطأ» برواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي وكانت له معه محاورات.

تولى قضاء عدة بلدان بتونس كتوزر وقفصة وغيرهما. قال الغبريني: «وكان مع هذا غير موفي الحظ، وإنما حظه أن يكون له التقدم على أكابر وقته وأفاضل أهل عصره ولكن الحظوظ لا تجري على العقول».

له اختصار شرح ابن التلمساني لمعالم فخر الدين الرازي في أصول الفقه.

المصادر والمراجع:

- عنوان الدراية ص204.
- محمد الحبيب بن الخوجة: الحياة الثقافية بأفريقية صدر الدولة الحفصية النشرة العلمية للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين السنة الرابعة العدد 4، 1976-77 ص65-66.

* * *

30 - البجائي (كان حياً حوالى 848هـ) (1442 م)

علي ابن الشيخ الفقيه الصوفي عبد الرحمان البجائي، من أعلام الصوفية، اتصل بالشيخ الصوفي أبي المواهب فتح الله الخوارزمي الشهير بالعجمي نزيل تونس[1].

له شرح لرسالة الشيخ عبد العزيز المهدوي المسماة «محجة القاصدين وحجة الوافدين المقيدة عن الشيخ عبد العزيز المهدوي».

1) توفي بتونس في شوّال 1442/847 ودفن بزاويته التي توفي بها قرب جبل الجلود. إتحاف أهل الزمان 88/1، تاريخ الدولتين 125، الضوء اللامع 127/6. وربما كان تأليف هذا الشرح قبل وفاة فتح الله العجمي بنحو عامين.

شرح هذه الرسالة ورتّبها بأمر من شيخه فتح الله العجمي وأتم الشرح في حياة شيخه المذكور.

بخزانتي نسخة من هذا الشرح نسخها عبد العزيز بن أبي بكر بن محمد بن يّس المغربي المصمودي الجزولي، وتمت مقابلتها في محرّم 1154هـ وأفادني صديقنا الشيخ الأستاذ محمد الصادق بسيس – رحمه الله – أن بمكتبة العلاّمة الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور نسخة منه وقد استعار النسختين وقابل بينهما، وقد حدثني أنه يعدّ دراسة مطولة عن الشيخ عبد العزيز المهدوي وقد بقيت نسختي عنده ما يقرب من خمس سنوات، وأرجعها قبل وفاته بنحو أربعة أشهر.

* * *

31 – البجائي (كان حياً سنة 1025 هـ) (1616 م)

أبو القاسم[1] بن محمد البجائي التونسي، من فقهاء الحنفية ومحدثيهم بتونس. كان خطيباً بجامع الخطبة خارج باب الجزيرة، ولما بعثت السلطة العثمانية[2] عليا الجزائري قاضياً بتونس طلب فقيهين لمصاحبته ومذاكرته، فأرسل إليه صاحب الترجمة والشيخ محمد براو[3] فكان يفضل المترجم له على رفيقه، وكان من جملة الآخذين على الشيخ أحمد أفندي التركي عند وروده إلى تونس.

---

1) بخط يده بلقاسم، وهو الشائع على الألسنة إلى الآن (بالقاف المعقدة) وهو سائغ في العربية كما في بلحارث عوضاً عن ابن الحارث.

2) لما فتح الأتراك تونس كانوا يرسلون من بلادهم قاضياً حنفياً إلى تونس يقع تبديله في كل ثلاث سنوات بقاض تركي جديد، واتبعت الدولة العثمانية هذا الأسلوب في أقطار العالم العربي الأخرى التي فتحتها. وأول قاض تركي بتونس هو حسين أفندي، عيّنه سنان باشا بعد الفتح، ولما تولى القضاء علي أفندي الجزائري من أبناء الترك بالجزائر طلب نائباً مالكياً، ووقع اختياره على الشيخ ساسي نوبنة ومن ذلك التاريخ أحدثت خطة نائب مالكي وأول من تولى خطة قاض حنفي بالحاضرة الشيخ محمد قارة خوجة المعروف ببرناز المنحدر من أصل تركي والمقتول سنة 1663/1084 على أنهم لم يجعلوها قاعدة مطردة إلا ابتداء من عهد علي باشا الأول فإنه أنف أن تكون ولاية قاضي الحاضرة بغير اختياره وتعلل بأن أغلب سكان البلاد من العرب ولا يحسنون اللغة التركية فهم لا يفهمون ما يقوله القاضي التركي ولا هو بدوره يفهم ما يقولون ولا هو عليم بأخلاقهم وأحوالهم، ومعرفة ذلك من شروط القاضي فعند ذلك فوّض له الباب العالي اختيار القاضي من علماء الحنفيّة بتونس، فكان أول قاضي حنفي تولى القضاء باختيار الباي هو الشيخ أحمد الطرودي سنة 1647/1157 ثم الحق به قاضي على المذهب المالكي وأول من تولى قضاء المذهب المالكي بالاستقلال هو الشيخ محمد سعادة المنستيري.

– محمد بن الخوجة: المجلة الزيتونية م 3 ج 5 ماي 1939 ص 34-35.

– ذيل بشائر أهل الإيمان (ط/1) 74-75-78.

3) كان إمام النحو في زمانه وكان موجوداً في أيام يوسف داي، ذيل بشائر أهل الإيمان 91 [ص 167 من طبعة الدار العربيّة للكتاب بتحقيق الطاهر المعموري تونس د.ت.]..

مؤلفاته :

1 - شرح على الخزرجية في العروض.

2 - شرح مختصر على شواهد شذور الذهب لابن هشام.

3 - شرح مطول على شواهد[1] شذور الذهب منه نسختان بالمكتبة الوطنية بتونس.

4 - شرح شواهد القطر. منه نسخة بالمكتبة الوطنية.

المصادر والمراجع :

- ذيل بشائر أهل الإيمان لحسين خوجة [ص 197 رقم 69 من طبعة الطاهر المعموري].
- فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية ص 287-288.

* * *

ابن البراء = التنوخي

32 - البراذعي (... نحو 400 هـ[2]) (1010 م)

خلف بن أبي القاسم الأزدي، المعروف بالبراذعي، أبو سعيد وأبو القاسم، من كبار فقهاء المالكية بالقيروان.

أخذ عن ابن أبي زيد، والقابسي، وأبي بكر هبة الله بن أبي عقبة، وعنه صحح المدونة وهو صححها عن جبلة بن حمود الصدفي عن الإمام سحنون.

وقد نقم عليه فقهاء القيروان صلته بملوك العبيديين، وكانت تأتيه هداياهم، وألّف كتاباً في تصحيح نسبهم، وزادت النقمة عليه امتداداً عندما وجدوا بخطه الثناء على بني عبيد متمثلاً ببيت الحطيئة[3].

---

1) وجدت في آخر مجموع في النحو بخط الشيخ أبي الحسن الكراي، ما نصه: «يقول عبد الله أقل عبيده بلقاسم بن محمد البجائي، هذا آخر هذا الشرح المبارك، وهو ثاني شرح لي على الشواهد، وهذا أطول من الأول وأكثر إبحاثاً وقد فرغت من تأليفه أوائل شوّال عام خمسة وعشرين وألف».
بعده بسطور «انتهى من كتاب نسخ بخط مؤلفه وجامعه... وكان الفراغ منه يوم الجمعة أواخر صفر عام ستة وثلاثين بعد الألف».

2) تاريخ وفاته غير معروف كما أنه لا يعرف هل مات بصقلية أو بالقيروان، قال القاضي عياض: «ولم يبلغني وقت وفاته» وذكره بعد اللبيدي وطبقته فهو من رجال الطبقة الثامنة.

3) ديوانه ص 30.

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البِّنا وإن عاهدوا أوْفَوْا وإن عقدوا شدّوا

وأفتى فقهاء القيروان بطرح كتبه وعدم قراءتها ورخصوا في «التهذيب» لاشتهار مسائله وإزاء هذه المضايقة والمقاومة من فقهاء القيروان ، وسقوط منزلته اضطر إلى الهجرة إلى صقلية وحصلت له حظوة عند أميرها وهناك ألّف بعض كتبه وانكب الناس في صقلية على دراسة كتابه «التهذيب» .

ومن الطبيعي أن يتصدى فقهاء القيروان إلى مقاومة البراذعي لصلته بالعبيديين وقبوله عطاياهم وثنائه عليهم وتأليفه كتاباً في تصحيح نسبهم ، إذ أن العبيديين اضطهدوا فقهاء المالكية محاولين حملهم على اعتناق مذهبهم الخبيث بالسجن والضرب والقتل وسدّ أبواب الرزق ، وآل الأمر إلى اشتباك دموي ومساهمة في حمل السلاح في عهد ثورة أبي يزيد الخارجي ، اضطر بعدها العبيديون إلى التخفيف من اضطهادهم وظلمهم وغطرستهم .

مؤلفاته :

1 - اختصار الواضحة . أصل الكتاب لعبد الملك بن حبيب الأندلسي ت سنة 846/232 وكتابه يعتبر من أمهات المذهب .

2 - التمهيد لمسائل المدونة ، أغار فيه على اختصار ابن أبي زيد وزياداته ، وقيل أنه لم يزد فيه أكثر من الصدر .

3 - التهذيب في اختصار المدونة ، اتبع فيه طريقة اختصار ابن أبي زيد إلا أنه ساقه على نسق المدونة ، وحذف زيادات ابن أبي زيد .

وفي نسخة عتيقة من التهذيب من أحباس خزانة قسنطينة أو الجزائر ذكر البراذعي في أولها أنه روى المدونة عن أبي بكر محمد بن أبي عقبة ، عن جبلة بن حمود ، عن سحنون ، وأنه فرغ من تأليفه سنة 372 اثنتين وسبعين وثلاثمائة .

وألّف عبد الحق محمد بن هارون الصقلي[1] كتاباً انتقد فيه أشياء على البراذعي من أجل عدم اتباع ألفاظ المدونة ، وما تسبب فيه الاختصار من إحالة الألفاظ عن معناها الأصلي ، ودافع عنه القاضي عياض بأنه كان متبعاً لنقل ابن أبي زيد .

وكان على هذا الكتاب المعول عند المغاربة والأندلسيين . قال الشيخ الحجوي[2]: «وقد حصل الإقبال عليه شرقاً وغرباً دراسة وشرحاً وتعليقاً واختصاراً من أيمة المالكية بالأندلس

---

1) توفي بالاسكندرية سنة 1074/466.

2) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي 45/4.

والمغرب وتركوا به المدونة ومختصراتها وشغل دوراً مهماً قبل ظهور مختصر ابن الحاجب الفرعي» .

واشتهر هذا التأليف في حياته وقدّره حتى أعداؤه توجد منه ثلاث نسخ بالمكتبة الوطنية ، ويوجد بمكتبة القرويين بفاس وهو مطبوع باسم المدونة .

4 – كتاب الشرح والتمامات لمسائل المدونة جلب في كلام المتأخرين من الشيوخ .

5 – كتاب تصحيح نسب بني عبيد [1].

المصادر والمراجع :

- الأعلام 2/359-360، وفيه : «ثم رحل إلى أصبهان فكان يدرس فيها الأدب إلى أن توفي ، نقلاً عن معالم الإيمان 3/184.والصحيح أن الذي رحل إلى أصبهان ودرس فيها الأدب إلى أن توفي هناك هو الذكي المازري محمد بن أبي الفرج في حكاية وردت عرضاً في ترجمة البراذعي (معالم الإيمان 3/187) .
- الأعلام 10/84.
- برنامج العبدلية 4/285-286.
- ترتيب المدارك 4/708/709.
- الديباج 112-113.
- شجرة النور الزكية 105.(رقم 270) .
- الفكر السامي 4/44-45.
- معالم الإيمان 3/184-189.
- معجم المؤلفين 4/102 (ذكر أنه قدم من دمشق وهو غير صحيح) .
- بروكلمان 1/178.والملحق 1/302.
- بلاد البربر الشرقية في عهد الزيريين (بالفرنسية) 2/722.
- هدية العارفين 1/347-8.

* * *

1) دون إثبات نسب بني عبيد بالبيت النبوي خرط القتاد لأن العارفين بهم طعنوا في هذا النسب الدعي اللصيق من أول يوم ، ولأن السرية والغموض اللتين عاش فيها أيمتهم قبل الظهور وتأسيس الدولة تلقي ظلاً كثيفاً مظلماً على صحة هذا الانتساب مهما حاول المتحمسون الناعون على أهل السنة السير في ركاب هوى السلطة الحاكمة ، وفي أهل السنة من يردعه دينه وعقله عن مداهنة السلطة وتزييف الحق ، والعداوة المذهبية لا تحمل ذوي الدين والعقل على الطعن في النسب بدون حجة معقولة مقبولة . وكلام ابن خلدون في إثبات نسبهم لا يثبت أمام الفحص والامتحان ، ومن أجل ذلك اتهم بما اتهم مما لا نوافق عليه . والكلام طويل الذيل له مقام آخر .

33 – البرادي (كان حياً حوالى 810 هـ) (1407 م)

أبو الفضل وأبو القاسم بن إبراهيم البرادي (بالباء الموحدة المسفولة والراء المشددة) الدمري (بفتح الدال المهملة والميم المشددة) العالم الإباضي.

ولد بدمّر من الجنوب التونسي المعروف اليوم بجبل الحواية، وهناك نشأ وتلقّى على مشايخ بلده مبادئ العلوم، ثم انتقل إلى جزيرة جربة ولازم علاّمة زمانه الشيخ أبا البقاء يعيش بن موسى الزواغي الجربي مدة، ثم ارتحل إلى يفرن بجبل نفوسة وتتلمذ على الإمام الكبير أبي ساكن عامر بن علي الشماخي (ت سنة 1390/792) وواصل هناك دراسته حتى أصبح علماً من الأعلام وإماماً من الأيمة ثم رجع إلى جبل دمّر، ولم يستقر به طويلاً وانتقل إلى جربة وفيها تصدى للتدريس والتأليف والفتوى والفصل في مشاكل الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطاب له المقام بجربة وتزوج هناك، وأنجب أولاداً عاش بعضهم بجربة، وانتقل آخرون إلى جبل نفوسة، وأشهر أولاده هو أبو محمد عبد الله الذي اشتهر بجربة واشتهر بالخصوص في علم الأصول على قول الشماخي، ويظهر أن المترجم له كان شديد التعلق بشيخه يعيش الزواغي الجربي فلم يطق الابتعاد عنه فانتصب للتدريس قريباً منه لذلك نلاحظ أن الجامع الذي يحمل اسمه الموجود بحومة (حارة) جعبيرة قرب وادي الزبيب لا تفصل بينه وبين جامع الشيخ يعيش مسافة كبيرة بل هما في حومة (حارة) واحدة.

تخرّج عليه جماعة منهم أبو زكريا يحيى بن أفلح الجربي، وأبناؤه منهم أبو محمد عبد الله الذي أصبح من أعلام عصره. قال الشماخي في «السير»: «حدثني بعض طلبته قال كنت بتونس أقرأ بحضرة مجلس الحسين فوقعت مسألة فتكلمت فيها بما حضرني وكان الشيخ يتوقف فيها فقال: من أين أخذتها؟

فقلت: من الشيخ أبي محمد البرادي.

فقال لأهل المجلس: ما رأيت أعلم من البرادي.

وكان المترجم له يشارك في حل المشاكل الاجتماعية لأنه كان يحضر الاجتماعات يشرف عليها أسن الجماعة وهو الشيخ علي بن يامون فيكون المترجم – حينئذ – عضواً من أعضاء مجلس العزابة.

وأدى فريضة الحج في سنة 1373/775 ولقي إباضية عمان بمكة المكرمة وطلب منهم أن يرسلوا له كتاب «كشف الغمة» في التاريخ، كما ذكر ذلك في المقدمة التي وضعها لهذا الكتاب إذ جاء فيها «ثم إن هذا الكتاب الذي هو كشف الغمة من تأليف المتأخرين من أصحابنا من أهل عمان، بعثنا فيه إليهم من مكة – شرّفها الله تعالى – سنة 775 وقد تعلقت به قلوبنا».

مؤلفاته :

1 - الجواهر المنتقاة فيما أخلّ به صاحب الطبقات . وهو استدراك وتكملة لكتاب «طبقات المشايخ» للدرجيني تناول تاريخ إباضية الشمال الافريقي طبع بالقاهرة سنة 1885/1302 طبعة حجرية كثيرة التحريف في 329ص من القطع المتوسط .

بعد المقدمة يأتي فصل في السيرة النبوية ، ثم تأتي الطبقة الأولى ، والكتاب مقسّم إلى طبقتين ، الطبقة الأولى في تاريخ صدر الإسلام من وجهة النظر الإباضية ، وفيها تراجم أشخاص مشهورين أهمل ذكرهم الدرجيني والطبقة الثانية زاد فيها معلومات عن كتاب الدرجيني (تراجم مختصرة) وينتهي الكتاب بذكر قائمة في أسماء كتب الإباضية .

يصوّب ذكر في الكتاب بعض مجالس المناظرات الدائرة بين الإباضية وغيرهم مثل مناظرة عبد الله اللمطي مع المعتزلة وبسط رأيه في قضية خلق القرآن ، واهتم في آخر الكتاب بنشأة الدولة الرستمية الإباضية وترجمة أيمتها (رؤساء الدولة) .

وهناك بعض الفصول يظهر أنها ليست من أصل الكتاب ، وإنما أضافها من تولى نشر الكتاب فجاءت كذيل له ، كالفصل الذي عنوانه «ذكر لمعة من سيرة الحلقة» وهو بحث يتعلق بكيفية تنظيم حلقة التعليم لتربية النشء . (وهي من التنظيمات التي يشرف عليها مجلس العزّابة) .

والخاتمة في ذكر الموت وأحواله .

توجد من الكتاب نسخ مخطوطة في جربة ، وحبذا لو يتوفق بعض الباحثين لنشره نشراً علمياً محققاً لأن طبعته ، زيادة عن سقمها وخلوها من التحقيق العلمي - قد مضى عليها زمان طويل وأصبح الكتاب في حكم المخطوط .

2 - قائمة في أسماء كتب الإباضية إلى عصره وهي مثبتة في آخر كتابه «الجواهر المنتقاة» كذيل له . وعدّها بعض المستشرقين تأليفاً مستقلاً وقد اهتم بها المستشرق أ . دي موتيلنسكي (A. de Motylinski) وترجمها إلى الفرنسية اعتماداً على نسخة خطية يرجع تأريخها إلى سنة 1774/1188 ونشر هذه الترجمة سنة 1885 (أي في عام طبع كتاب الجواهر المنتقاة) .

3 - البحث الصادق والاستكشاف عن حقائق أسرار معاني كتاب العدل والإنصاف . وهو شرح لكتاب العدل والإنصاف تأليف أبي يعقوب بن إبراهيم الوارجلاني[1] من رجال القرن 12/6 وهذا الشرح لم يتم .

---

1) نسبة إلى وارجلان ويقال واركلان وتعرف الآن بورقلة (بالقاف المعقدة) واصطلح الأقدمون على كتابة مثل هذه القاف بالقاف تارة وبالجيم أخرى وهي واحة بجنوبي الجزائر .

يوجد الجزء الأول منه مخطوطاً ناقصاً من أوله بمكتبة الشيخ أطفيّش بابن يزقن (بالقاف المعقدة) بوادي ميزاب، نسخ في 22 محرّم 1/1220 ديسمبر 1785.

4 - جواب لأهل الخلاف - والظاهر من اسمه أنه رد على من هاجم المذهب الإباضي.

ذكر المستشرق البولوني لويكي نقلاً عن المستشرق شاخت (ت 1969) أنه توجد منه نسخة مخطوطة في ابن يزقن بوادي ميزاب (الجزائر).

5 - رسالة أثبت فيها كيفية إنفاق أوقاف المساجد، وهي جواب عن سؤال وجّهه شخص اكتفى بذكر اسمه عمنا[1] سليمان، قال فيها «والعمدة في تغميت (أي أوقاف جربة) أولاد الشيخ أبي زكريا (فصيل بن أبي مسور) وهو القطب في تفسير أمرها وإصلاح أمورها وترتيبها وابتدائها وانتهائها» ويظهر من كلامه أن التصرف في الأوقاف بيد أولاد ابن أبي مسور يسنده إليهم مجلس العزابة وبيدهم تكون جميع الوثائق.

6 - رسالة الحقائق ذكر فيها أكثر مسائل العلم وحدودها وحلّ بعض المشاكل خصوصاً ما يتعلق منها بالعقيدة ووحدة الله، أجاب بها الشيخ محمد بن أحمد الصدغياني الجربي، توجد بمكتبة الشيخ أطفيّش بابن يزقن بوادي ميزاب في ست ورقات.

7 - شفاء الحائم على بعض الدعائم، وصل فيه إلى الطهارات ثم جمع تلاميذُه بعد وفاته مسودة الباقي فبلغت إلى الزكاة، ولم يتم الكتاب، وذهب البعض إلى أن البرادي لم يقصد شرح جميع «الدعائم» بل اقتصر على بعض الأبواب منه، ولربما اهتم بما يحتاج إليه تلاميذه. وعنوان الكتاب يصدق هذين الافتراضين إن كان من وضع المؤلف ابتداء لا من وضع تلاميذه بعد وفاته وجمعهم الموجود من مسودة الشرح.

والدعائم متن منظوم لأبي النظر العُماني، وطبع معه متنين لأبي نصر الملوشاني النفوسي.

8 - فتاوى وأجوبة.

المصادر والمراجع:

- الأباضية في موكب التاريخ، الأباضية في تونس لعلي يحيى معمر ص 151-156.
- نظام العزابة عند الأباضية الوهبية في جزيرة جربة لفرحات الجعبيري ص 236، 268، 269، 8، 12، 209، 235.
- معجم المؤلفين 92/8.
- دائرة المعارف الإسلامية (بالفرنسية ط 2) روبنتشي (Rubinacci) 1085/1.
- بروكلمان الملحق 339/2.

1) كلمة «عم» مستعملة إلى الآن في اللهجة التونسية وتطلق على من كان أكبر سناً من المخاطب.

- الصادق بن مرزوق جريدة الصباح 1967/4/6 عدد 4572، 1967/5/4 عدد 4595.
- محمد بورقعة : سندات لتاريخ أباضية الشمال الأفريقي ، مجلة «الثريا» سنة 2 عدد 12. محرّم 1365، ديسمبر 1945 ص 14.
- الأعلام 171/5 (ط/5) وفيه النفوسي (كذا) الدمّاري (صوابه الدمّري) .
- دائرة المعارف الإسلامية (ط/1) الترجمة العربية 7/40-43 بقلم روني باسي وروبنتشي (René Basset et Rubinacci).

* * *

34 - البختري (1317 هـ) (1903 م)

إبراهيم بن محمد البختري (بفتح الباء الموحدة المسفولة وسكون الخاء المعجمة وفتح التاء المثناة الفوقية) التوزري ، الفقيه المشارك في علوم ، الشاعر . والبختري نسبة إلى البخاترة في توزر . حفظ القرآن في بلده وأخذ عن شيوخ توزر قسطاً من العلوم ، ثم التحق بالأزهر وأخذ عن أعلامه ومنهم الشيخ إبراهيم الدسوقي وبعد إنهاء تعلمه بالأزهر أدّى فريضة الحج ، وتجول في مدن الحجاز وقراه ، واتصل بعلمائه ثم كرّ راجعاً إلى بلده توزر ، وانتصب فيه للتدريس ، ثم عيّن قاضياً ببلده فاستمر على التدريس .

مؤلفاته :

1 - اختصار نظم الرحبية في الفرائض مع زيادة الحساب به .
2 - شرح على الأجرومية في النحو .
3 - شرح على السمرقندية في الاستعارات .
4 - شرح صغير على نظم المرشد المعين لابن عاشر ، في التوحيد وفقه العبادات والتصوف .
5 - شرح كبير على المرشد المعين المذكور .
6 - اختصار تحفة الحكام لابن عاصم ، في ثلاثمائة بيت .
7 - النفائس البخترية ، وهو شرح مختصر على اختصاره لنظم الرحبية .

المرجع :

- الجديد في أدب الجريد لأحمد البختري (ط تونس سنة 1973) ص 109-117.

* * *

35 - برتقيز (1682/1092 - كان حياً سنة 1748/1147)

يوسف بن محمد بن سليمان بن عبد الله برتقيز[1] (بضم الباء الموحدة المسفولة والتاء المثناة الفوقية وكسر القاف). جدُّه عبد الله هو أول من أسلم. والمترجم له يعرف بالإمام الزغواني، ولادته ببلد زغوان، وربما اقتصر على لقب الإمام في التعريف به فقيل يوسف الإمام[2]. وعرف بهذا اللقب لأنه كن إماماً لحسين بن علي باي مؤسس دولة البايات الحسينية. وهو أول من اشتهر في هذا البيت بطلب العلم.

حفظ القرآن وجوده بزاوية الشيخ علي عزوز بزغوان، وقرأ النحو، وشرح السعد التفتازاني على العقائد النسفية في البلدة المذكورة على الشيخ أحمد الهرميلو الأندلسي الأصل، ثم سافر إلى باجة، وقرأ على مشايخها النحو والفقه والتوحيد ثم رحل إلى الأزهر وأخذ عن علمائه فقه المذهب الحنفي والأصول، والعربية وغير ذلك من العلوم المتداولة الدراسة فيه «وحصل نبذة من المعقول والمنقول» كما قال حسين خوجة في ترجمته، ثم في سنة 1713/1124 أدى فريضة الحج، وجاور بالحرمين الشريفين، وأخذ الفقه الحنفي عن جماعة، والحديث عن آخرين، وعاد إلى مصر واستكمل تحصيله بالجامع الأزهر، وعزم بعد ذلك العودة إلى أرض الوطن عن طريق البحر فأغار على السفينة التي هو بها قرصان النصارى ونهبت كتبه ومكاسبه بثغر الاسكندرية.

وبعد عودته اتخذه حسين بن علي باي إماماً يصلي به الخمس وأغدق عليه الخيرات، واتخذه معلماً لأولاده ولمماليك وخدام القصر، وقدمه للخطط العلمية كالفتوى والخطبة، وأقبل عليه وقرّبه نجياً، ولما آلت الدولة لعلي باشا الأول ابن محمد بعد ثورته على عمه حسين بن علي باي قتله خنقاً لما يعلم من مكانته عند عمه، ذكر ذلك شيخ الإسلام محمد بيرم الثاني في شرح نظمه للمفتيين من الحنفية بتونس، وعلي باشا الأول تخلص من رجال دولة عمه وبكل من كانت لهم صلة به، حتى إن الوشاية لديه بأن شخصاً له صلة مراسلة بأبناء عمه الباقين في الجزائر كافية لشنق هذا الشخص أو إلقائه في السجن.

---

1) تحريف لكلمة (Portugais) أطلقها الأتراك على من كان من أصل برتغالي.

2) مثل الوزير السراج في «الحلل السندسية».

مؤلفاته :

1 - المنى على شرح مختصر القدوري أبي الحسن[1] قال في مقدمته : «تكلفت هذا التعليق لأوضح عباراته وأفصح عن بعض لطائف إشاراته ، مبيناً فيه ما أهمل من ضبط مبانيه ، منبهاً على الأصح من الأقاويل والأقوى ، ومعيّناً للأرجح منها وما عليه الفتوى» إلى أن قال : «حيث أطلقت السيد فهو شيخ شيخنا الحموي[2] في «كشف الرمز على الكنز» وافتتحه بمقدمة بين فيها حد علم الفقه وموضوعه وغايته . وعرّف بالقدوري مؤلف المختصر ، وتعرض فيها لمشايخه وفرغ من هذا الشرح يوم الخميس أواخر ربيع الأول سنة 1144.

توجد منه نسخة في جزءين في المكتبة الوطنية بتونس (أصلها من المكتبة العبدلية الصادقية الزيتونية) ونسخة أخرى في 4 أجزاء .

2 - منظومة في العبادات توجد ضمن مجموع المكتبة الوطنية وعليها شرح (أصلها من المكتبة العبدلية) .

المصادر والمراجع :

- إتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف 58/7 عرضاً في ترجمة حفيده محمد بن حمودة برتقيز .
- برنامج المكتبة الصادقية (العبدلية) 158/4، 257/4-258.
- الحلل السندسية أ ق 522/2-523[502/1 من طبعة دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1984] ..
- ذيل بشائر أهل الإيمان لحسين خوجة ، تحقيق الطاهر المعموري ص 257-259.
- مقدمة محقق الكتاب ص 99.

* * *

---

1) هو أحمد بن محمد بن جعفر البغدادي المشهور بالقدوري (بضم القاف جمع القدر) نسبة إلى صنع القدور أو بيعها أو نسبة إلى قدورة من قرى بغداد .
انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بالعراق ، روى الحديث وكان صدوقاً . روى عنه الخطيب البغدادي ، وله مؤلفاته في الفقه (362-428/973-1037).
الأعلام 206/1، تاج التراجم لابن قلطوبغا ص 7، تاريخ بغداد 377/4، وتتمة المختصر لابن الوردي (ط بيروت) 519/1، شذرات الذهب 233/3، العبر 164/3-165، معجم المطبوعات 1497/2-1498، معجم المؤلفين 66/2-67.
ومختصره في الفقه مطبوع في الهند وقازان والآستانة .

2) هو أحمد بن محمد الحسني الحموي الحنفي ، شهاب الدين نزيل القاهرة (ت سنة 1098/1687) كان عالماً مشاركاً في أنواع من العلوم ، درس في القاهرة وله تصانيف كثيرة طبع منها في لكنو (الهند) 1284/1317هـ والآستانة 1290هـ كتاب «غمز عيون البصائر على محاسن الأشباه والنظائر» في جزءين وهو شرح على كتاب الأشباه والنظائر لابن نجيم المصري الحنفي . معجم المطبوعات 375/1، معجم المؤلفين 93/2.

36 – البرجيني (. . . 662[1]هـ) (1264 م)

عبد السلام بن عيسى البرجيني [2]، أبو محمد ، الفقيه الفاضل . أخذ عن أبي يحيى زكريا بن الحداد المهدوي تلميذ الإمام المازري[3]، ثم ارتحل إلى تونس واتصل بالشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص (حاكم القطر التونسي ، وجد الملوك الحفصيين) فولاّه القضاء ثم الإفتاء .

وفي «مناقب أبي سعيد الباجي» لعلي بن مناد (مخطوط) أنه ولّي القضاء في زمن السيد أبي العلا (حاكم تونس بعد عبد الواحد بن أبي حفص) ونعته بالشيخ الفقيه الإمام العالم الصوفي الخطيب ، وذكر أنه هو الذي صلّى على أبي سعيد الباجي ، وكان يعتقده ويزوره كثيراً .

قام بنشر العلم في مدينة تونس ، والبلاد – إذ ذاك – غاض منها معين المعرفة ، وقل فيها العلماء لتوالي النكبات والفتن بعد زحفة الاعراب ، واستيلاء النرمان على سواحل البلاد ، وكان الذين هم في طبقة البرجيني من الندرة بمكان .

وممن أخذ عنه ابن بَزيزة التونسي الآتية ترجمته رقم 41 وكان على جانب عظيم من الذكاء والنكتة البارعة . حصلت جفوة بينه وبين الأمير الشيخ محمد عبد الواحد بن أبي حفص فدخل عليه يوماً فقال له : كيف حالك يا فقيه ؟

فقال : في عبادة

فقال : نُعوضها – إن شاء الله – بالشكر .

ولما سئل الأمير عن المقصد من كلام البرجيني أجاب بأنه يشير إلى قوله ﷺ «انتظار الفرج بالصبر عبادة[4]» .

له فتاوى .

---

1) في تاريخ وفاته اضطراب قيل سنة 630 وقيل غير ذلك ، واعتمدت على ما ذكره ابن القنفذ في «الفارسية» .

2) نسبة إلى البرجين من قرى الساحل جنوبي مدينة سوسة .

3) قال الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في كتابه «الإمام المازري» ص 42-41: «وقد وهم المؤرخون وأصحاب الطبقات الذين تحدثوا عن ذلك العصر ، إذ جعلوا البرجيني من تلاميذ المازري ، وأنه روى عنه أصالة ، على حين أن المازري مات سنة 536هـ فلا يصح في العقل أن يكون قد أخذ عنه . والذي تحقق لنا بعد المراجعة والتمحيص أن البرجيني قرأ على الشيخ أبي يحيى الحداد المهدوي ، فبذلك تصح الرواية ، ويتّسق التاريخ» ..

4) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» عن علي بن أبي طالب ، والقضاعي في «مسند الشهاب» عن ابن عمر وابن عباس . وسند ابن عمر فيه عمرو بن حميد عن الليث ، قال الذهبي في «الميزان» هالك أتى بخير موضوع اتهم به ، ثم ساق هذا الخبر الذي هو حديث ابن عمر وحديث ابن عباس قال عنه الحافظ زين الدين العراقي : سنده ضعيف ، وروي من أوجه كلها ضعيفة ويتلخص من هذا إن حديث ابن عباس ضعيف ، وهو أمثل وأنظف سنداً من حديث ابن عمر .
أنظر فيض القدير 52/3.

المصادر والمراجع :

- الأدلة البيّنة النورانية لابن الشماع ، تحقيق عثمان الكعاك (ط تونس 1936) ص 41-42.
- شجرة النور الزكية 168/1، 138/2.
- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية(وتعليق المحقِّقين ص 221) ، 126..
- مناقب أبيّ سعيد الباجي لعلي بن مناد (مخطوط).

* * *

37 - البُرْزُلي (740[1] -833 هـ) (1339 - 1429 م)

أبو الفضل، أبو القاسم بن أحمد[2] بن محمد بن المعتل البلوي المعروف بالبرزلي القيرواني من أعلام المالكية في العصر الحفصي ، ويلقب بشيخ الإسلام .

قرأ على الفقيه المحدث الراوية الخطيب محمد بن مرزوق التلمساني شيئاً من الصحيحين ، والشاطبيتين (حرز الأماني ، وعقيلة أتراب القصائد) ، وتكملة القيجاطي لحرز الأماني ، والدرر اللوامع لابن بري يرويهما عن مؤلفيهما ، والعمدة ، وغيرها . وعلى الفقيه المحدث الراوية المسن الصالح أبي الحسن البطرني القراءات السبع ، وكتباً كثيرة وأحزاب أبي الحسن الشاذلي عن ماضي بن سلطان . وعلى الإمام ابن عرفة ، ولازمه نحو أربعين سنة ، وأخذ عنه علمه وهديه وطريقته ، قرأ عليه بعض صحيح مسلم ، وجميع صحيح البخاري ، والموطأ ، والشفا للقاضي عياض ، وعلوم الحديث لابن الصلاح ، وجميع تهذيب المدونة للبراذعي مراراً ، وتآليف ابن الحاجب الفرعي ، وكثيراً من تأليف ابن الحاجب الأصلي ومعالم الدين لابن التلمساني ، وجمل الخونجي في المنطق ، وكثيراً من المحصل للأرموي في الأصول ، وإلقاء التفسير مراراً ، وقرأ عليه مختصره المنطقي ، وفي الأصلين وأكثر مختصره الفقهي ، وأجازه الجميع وغيره ، وكتب له بخطه مراراً . وقرأ على الفقيه المقرئ الراويه محمد بن مسعود المعروف بابن الحاجة البلنسي القراءات السبع وغيرها ، وعلى الفقيه الصالح الراويه المتفنن أبي محمد عبد الله الشبيبي القيرواني القراءات السبع وغيرها ، وتهذيب المدونة ، والتفريع لابن الجلاب ، والرسالة لابن أبي زيد وغيرها من كتب الفقه ، والموطأ ، وصحيح مسلم ، والحساب ، والفرائض ،

---

1) قيل إنه مات سنة 842 أو 843 وقيل 821 وفي «تكميل الصلحاء والأعيان» بعد أن نقل تاريخ وفاته عن السخاوي في «الضوء اللامع» سنة 833 «ورأيت في بعض التقاييد أنه توفي في سنة اثنتين وأربعين» وفي تاريخ الدولتين للزركشي أنه «توفي خامس عشر ذي القعدة من عام أحد وعشرين وثمانمائة ، ودفن بجبل الجلاز بتونس» وهذا فرق كبير بين التاريخين المذكورين.

2) في إتحاف أهل الزمان : أبو القاسم بن إسماعيل بن محمد بن المعتل ، ووفاته فيه سنة 843 نقلاً عن تقييد لشيخه إسماعيل التميمي في أيمة وخطباء جامع الزيتونة . وفي تكميل الصلحاء والأعيان أبو القاسم بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن المعتل البلوي .

والتنجيم، ولازمه من حدود سنة ستين وسبعمائة إلى عام سبعين وسبعمائة. وعلى الفقيه الصالح قاضي الجماعة بتونس العدل الحافظ للمذهب أحمد بن حيدرة التوزري لازمه كثيراً وأخذ عنه مسائل كثيرة. وقرأ على الفقيه الصالح العدل أبي العباس أحمد المومناني الصحيحين، والشفا وغيرهما، وكذا أخيه الفقيه الصالح العدل أبي زيد عبد الرحمان، قرأ عليه شيئاً من كتاب ابن الحاجب الأصلي وأذن له في إقرائه. وعلى الفقيه المحدث الرواية برهان الدين الشامي قرأ عليه أبعاضاً من صحيح البخاري، والترمذي والشفا، والشاطبية وغيرها وناوله فهرسته. وعلى الراوية المحدث المعمر أبي إسحاق إبراهيم بن صديق الرسام.

قدم القاهرة حاجاً سنة 1403/806 وأجاز للحافظ ابن حجر العسقلاني.

ومن تلامذته ابن ناجي، وحلولو، والرصاع، وعبد الرحمان الثعالبي الجزائري، ومحمد بن أحمد عظوم القيرواني، وابن مرزوق التلمساني الحفيد والأخوان القدشانيان وغيرهم.

وقع نزاع طويل بينه وبين معاصره أحمد الشماع والد المؤرخ صاحب «الأدلة البينة النورانية» وقاضي محلة السلطان أبي فارس عزوز الحفصي في مسألة العقوبة بالمال التي يقول بها البرزلي، فردّ على البرزلي، وشنع عليه غاية في القول بجوازها، وألّف فيها تأليفاً في كراريس سمّاه «مطلع التمام ومنجاة الخواص والعوام، في رد القول بإباحة غرم ذوي الإجرام» وذكر فيه أنه تواتر عن شيخه ابن عرفة أنه كان يقول في سجوده «اللهم احفظ دين محمد ﷺ من البرزلي[1]».

تولى شيخاً بمدرسة ابن تافراجين ولما توفي الشيخ أبو مهدي عيسى الغبريني سنة 815/ 1413 تولى الإمامة والخطابة بجامع الزيتونة والفتيا به بعد صلاة الجمعة.

تآليفه:

1 - جامع مسائل الأحكام فيما نزل بالمفتين والحكام، ويعرف بديوان البرزلي في أربعة أجزاء في مجلدين كبيرين منه أربع نسخ بالمكتبة الوطنية بتونس.

جلب فيه فتاوى كثير من التونسيين، وبالخصوص رجال العصر الصنهاجي والحفصي، وفي بعضها معلومات عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية وأحداث تاريخية بحيث لا يستغني عنه الباحث التاريخي في هذين العصرين وقد اعتمد عليه الونشريسي عندما تمس الحاجة لجلب فتاوى التونسيين في «معياره».

---

1) نسبة لبرازلة بضم أوله وثالثه من القيروان (الضوء اللامع) (قسم الأنساب) 181/11 وفي دائرة المعارف نسبة إلى قبيلة برزلة ويلاحظ أن هذا القول فيه ما فيه للتغيير الكثير عند النسب لأن برزالة بكسر الباء وفتح الزاي، والبرزلي بالضم في الاثنين ومن المعروف أن التغيير لأجل النسب تبقى معه بعض الدلالة على أصل الكلمة ولا تغير بنيتها تغيراً تاماً. وبرزالة قبيلة بربرية وسبق أن البرزلي بلوي نسبة إلى قبيلة عربية تسمى بلي كعلي.

2 - الحاوي في الفتاوي ويعرف بنوازل البرزلي مخطوط في المكتبة الوطنية بتونس رقم 4851 اختصره تلميذاه حلولو، والبوسعيدي البجائي، ومن مختصر هذا الأخير نسخة في المكتبة الوطنية.

قال البرزلي في مقدمة هذا الكتاب: «قصدت جمع أسئلة اختصرتها من نوازل ابن رشد وابن الحاج والحاوي لابن عبد النور، وأسئلة غير الذين ذكرتهم من أيمة المالكية، مما اخترناه ووقعت به فتوانا، واختاره بعض مشايخنا وما لا عزو فيه فقد نقلته من كتب مشهورة مما اختصرته أو رويته». وهو في جزءين توجد منه نسخة في المكتبة الوطنية.

3 - فهرسة في أسماء شيوخه ومروياته في نحو ستة كراريس[1].

المصادر والمراجع:

- إتحاف أهل الزمان 62/7.
- الأعلام 6/6.
- برنامج المكتبة الصادقية (العبدلية) 251/4-252.
- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم، تحقيق محمد بن أبي شنب (الجزائر 1326/1908 و 150-152).
- تاريخ الدولتين 96، 118، 122.
- تاريخ معالم التوحيد 20.
- تكميل الصلحاء والأعيان 9، 11.
- الحلل السندسية 1ق 701/3، 703[685/1].
- درة الحجال 282/3.
- شجرة النور الزكية 245.
- الضوء اللامع 433/1.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي 91/4.
- معجم المؤلفين 158/2.
- نزهة الأنظار 242/1.
- نيل الابتهاج 225، 226.
- هدية العارفين 194/2.
- بروكلمان 319/2.
- الملحق 437/2.
- دائرة المعارف الإسلامية (ط 2 بالفرنسية) بقلم هادي روجي إدريس 1381/1.
- بلاد البربر الشرقية في عهد الحفصيين لروبير برانشفيك (اليهودي الفرنسي نزيل إسرائيل الآن) ج 2. الفهرس 456.

1) كذا في الضوء اللامع 286/6 في ترجمة محمد بن أحمد بن إبراهيم البيدموري التريكي التونسي.

- مسامرات الظريف 104، 105.
- إيضاح المكنون 358/1، 56/2، 100، 155، 156.
- بغية الوعاة 359/2.
- الأعلام 172/5 (ط/5).
- توشيح الديباج 267 (دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983).
- معجم المؤلفين 94/8.
- كتاب الفتاوي وقيمتها الاجتماعية - مثال نوازل البزلي، فصلة مستلّة من حوليات الجامعة التونسية بقلم الأستاذ سعد غراب ع 1948/16.
- دائرة المعارف الإسلامية (ط/1) 7/47-48 بقلم بروكلمان.
- برنامج المكتبة الصادقية 351/4، 352.

* * *

38 - البرشكي (... 780 هـ) (1378 م)

أحمد بن سليمان بن محمد البرشكي العدناني التونسي، أبو العباس، له حواش على رياض الصالحين للنووي.

المصادر والمراجع:

- شذرات الذهب 265/6.
- معجم المؤلفين 239/1.
- هدية العارفين 114/1.

* * *

39 - البَرِشكي[1] (... 839 هـ) (... 1437 م)

عبد الرحمان[2] بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن علي العدناني

1) بكسر الباء الموحدة وكسر الراء المهملة ثم الشين المعجمة الساكنة تليها كاف، من عمل تونس (الضوء اللامع قسم الأنساب 189/11) وقال ابن خلدون: إن برشك من عمل تلمسان ويستفاد منه أن أولها مفتوح.
وانظر الحلل السندسية 1 ق 832/3 [810/1]، نزهة الأنظار 23/1، الضوء اللامع 132/4-133.

2) هناك سمي له عبد الرحمن البرشكي تولى قضاء الجماعة بتونس سنة 1383/785 بعد وفاة قاضي الجماعة محمد بن عبد الرحمن البلوي القطان، ثم بعد تقديمه مرض فقدم للنيابة عنه أبو مهدي عيسى الغبريني، وتوفي سنة 1385/787 [الحلل 183/2]..
تاريخ الدولتين 97-98، شجرة النور الذكية 226.

البرشكي التونسي، جلال الدين، زين الدين، أبو زيد، قاضي الجماعة بتونس، المحدث الرحال الفاضل حلاه أحمد بابا التنبكتي بقوله: «العلاّمة الخطيب المدرس، قاضي الجماعة العلية بتونس. كان من أهل العلم والعمل به بمحل لا يجهل وأما أخلاقه الرضية ومكارمه السنية فكالغيث الواكف».

ويقرب منه ما نعته به الحافظ ابن حجر «كان حسن الأخلاق لطيف المجالسة كريم الطباع». قرأ بتونس، ورحل إلى المشرق سنة 1414/816 فحج وحمل عن المشايخ وأجاز له البرهان الشامي .حج مرة ثانية في سنة 1423/825 قاضياً على ركب التونسيين، وسمع من لفظ الحافظ ابن حجر صحيح البخاري، وسمع سنة 827 على النور الفوي من لفظ الكلوتاني سنن الدارقطني بفوت يسير.

وهو من شيوخ ابن مرزوق الحفيد، وأبي الطيب بن علوان المصري التونسي وممن روى عنه بالمشرق التقي ابن فهد، والعفيف الناشري وسمع منه فضلاء آخرون.

وصفه الحافظ ابن حجر بأنه سريع التصديق للمحالات قال السخاوي: «قرأت بخط ابن حسان نقلاً عن شيخنا ما نصه: قول البرشكي إن القبابي سمع جميع صحيح مسلم على البياني لا يعتمد، فإنه مع ذكائه وحسن خلقه سريع التصديق للمحالات، جربنا عليه ذلك في أشياء، فلعله تلقى ذلك ممن لا يوثق به فجزم به كما جرت عادة الصالحين، ولو لم يكن في تقوية ذلك فيه إلا ما صنعه المعمر الذي كذب أو كذب عليه في المصافحة».

له: طرد المكافحة عند سند المصافحة وحدث به وسمعه منه فضلاء.

المصادر والمراجع:

- إيضاح المكنون 83/2.
- الحلل السندسية 1ق 832/3-835. [810/1].
- شذرات الذهب 231/7.
- الضوء اللامع 132/4-133.
- معجم المؤلفين 179/5.
- نيل الابتهاج 168.
- هدية العارفين 530/1.
- توشيح الديباج 153.

* * *

40 — برناز (1074 - 1138 هـ) (1664 - 1726 م)

أحمد بن مصطفى ابن الشيخ محمد بن مصطفى الشهير بقاره خوجة، المعروف ببرناز[1] من سلالة الأتراك المستقرين بتونس، الحنفي المذهب، الجوّال في الأقطار للقاء علماء عصره والأخذ عنهم، والمنكود في حظه ودنياه.

جدّه كان درويشاً صحب جيش سنان باشا واستقرّ بعد الفتح التركي، وتولّى الإمامة بمقام الشيخ علي بن زياد.

وجدّه محمد، تعلّم على المفتي الحنفي بتونس أحمد الشريف، وبعد أن مارس حرفة الجندية ببنزرت عدة سنوات اتخذه الداي أحمد خوجة إماماً له في المدرسة العنقية القريبة من داره ودرس بالمدرسة الشماعية التي أصبحت مدرسة حنفية كغيرها من المدارس، سعياً من الأتراك في نشر المذهب الحنفي، ومضايقة المذهب المالكي في مؤسساته، ومعاكسة أتباعه في مورد رزقهم.

وتولى لمدة قصيرة إمامةً جامع يوسف داي، كما تولى الإمامة مدة من الزمن في الجامع الجديد الذي أنشأه جمودة باشا المرادي سنة 1656/1066 وتولى القضاء، وهو أول قاض حنفي بتونس من مواليد البلاد إذ أن السلطنة العثمانية بعد فتح البلاد كانت ترسل قاضياً تركياً يبقى في خطته ثلاث سنوات ثم يبدل بغيره، وفي عهد علي باشا الأول فوضت له السلطنة العثمانية اختيار القاضي الحنفي من أبناء البلاد. وكان فقيراً في بداية أمره وأصبح ثرياً في آخر حياته وقدرت ثروته بعشرين ألف ريال، وملك مكتبة نفيسة قدرت بأربعة آلاف ريال. ويبدو أنه تمتع بثقة كاملة من الداي أحمد خوجة (1050-1640/1057-1647) ولعب دوراً في تسمية أخلافه. وهذه الحظوة والقوة عرضتاه لحقد بعض أعضاء الجيش فقتلوه هو ابنه مصطفى في ولاية الداي مامي جمل في 8 صفر سنة 25/1084 ماي 1673 ونهب ما في داره من أثاث وكتب.

نشأ المترجم له في بيت علم، ولفح جدّه محمداً شواظ من ظلم الجند أودى بحياته. حضر مجالس جدّه هذا في الحديث وهو صغير، وقرأ على كثير من علماء عصره كالمحدث الشيخ سعيد المحجوز وعلي الصوفي، ومصطفى بن عبد الكريم، وابراهيم الأندلسي، والمقرئ النحوي الكفيف إبراهيم الجمل الصفاقسي، والمفتي الحنفي محمد المحجوب ومحمد فتاتة، ثم رحل إلى مصر للقاء علماء الأزهر، فأخذ عن الشيخ محمد الخرشي قطعة من صحيح البخاري، وأخذ عن المشايخ: عبد الباقي الزرقاني، وابراهيم الشيرخيتتي، ويحيى الشاوي الجزائري، والمقرئ أحمد البقري، وأحمد الشرفي الصفاقسي نزيل مصر، وعبد الحي

---

1) لفظة تركية معناها كبير الأنف جرياً على عادة الأتراك في نعتهم الشخص بشيء انفرد به (راجع تاريخ معالم التوحيد 103-104 تعليق 2).

الشرنبلالي، ثم رحل إلى مكة حاجاً وأخذ بها عن الشيخ حسن بن مراد التونسي وعن الشيخ أحمد البشبيشي والشيخ أحمد القطان، والشيخ المرحومي وغيرهم.

وبعد أداء فريضة الحج مر بمصر وعاد إلى وطنه واستقر به مدة ثم خرج منه مغاضباً متوجهاً إلى القطر الجزائري فأخذ بعنابة عن الشيخ أحمد بن ساسي ومفتيها الشيخ الصديقي، وأخذ بقسنطينة عن مفتيها الشيخ بركات بن باديس شارح القصيدة الخزرجية في العروض، والشيخ علي الكمّاد، ثم ارتحل إلى مدينة الجزائر فأخذ عن المشايخ: رمضان بن مصطفى العنابي، وعلي بن خليل ومحمد بن سعيد قدورة (بالقاف المعقدة) وخاتمة تطوافه بالقطر الجزائري هي زواوة ببلاد القبائل وقرأ هناك على الشيخ محمد الفاسي، وأحمد بن عبد العظيم، وقرأ القرآن بالسبع على محمد بن صولة وقرأ على غيرهم.

وبعد هذه الجولة الواسعة عاد إلى تونس، وواصل التلقي على علماء عصره، فقرأ على الشيخ سعيد الشريف، والشيخ عبد القادر العيسي المطماطي وقرأ على الشيخ أحمد عزوز القرآن بالقراءات العشر من طريق الدرة لابن الجزري وبعد تخرجه سمي مدرّساً بالمدرسة الشماعية التي درس بها جدّه محمد من قبل، وعزل بعد مدة قليلة فاتخذه شيخه محمد المحجوب المفتي الحنفي معيداً أو معاوناً له في دروسه بمدرسة يوسف داي، وفي الصلاة وخطبة الجمعة في الجامع المواجه لمقام سيدي محرز بن خلف، وهذه النيابة عن شيخه ابتدأ القيام بها من شعبان 1108/ فيفري – مارس 1697 وفي أول ذي الحجة 1116/ آخر مارس 1705 صار إماماً وخطيباً بهذا الجامع أصالة على أثر تخلي شيخه محمد المحجوب عن ممارسة هذه الخطة لفائدته وفيما بين ذلك سمي مدرّساً بالمدرسة العنقية، ودرس بجامع الزيتونة وبأماكن أخرى وأسند إليه بالخصوص تدريس الحديث في إحدى المدرستين اللتين أسسهما حسين بن علي باي، وهي مدرسة الجامع الجديد في حومة سوق البلاط.

وكان المترجم له من ألمع فقهاء الحنفية في عصره، مشاركاً في عدة علوم، مجيدا لِلُّغتين: التركية والفارسية، ولوعاً بالتدوين والتأليف، ولم تحمه معارفه والوظائف التي شغلها من الاضطهاد والإهانة ففي 6 محرّم 1114/ جوان 1702 أمر مراد بوبالة الثالث آخر ملوك المراديين بضربه مع كثير من فقهاء الحنفية إهانة لهم بعد أن قطع عنهم مرتباتهم بوصفهم من أفراد الجيش، وبعد أسبوع طيف برأس مراد بوبالة بتونس بعد قتله. وهكذا المترجم له كان من بين آخر الأشخاص الذين تأذوا من غضب مراد بوبالة وظلمه. وبعد زوال الدولة المرادية، وتقلب الأحداث في الدولة الحسينية وانتزاء علي باشا على الحكم بعد ثورته وقتل عمه مؤسس الدولة الحسينية حسين بن علي باي كانت نهاية المترجم له مؤلمة: أمر بسجنه علي باشا، وبعد مدة طويلة خنق في السجن على ما ذكره محمد الصغير بن يوسف الباجي في كتابه «المشرع الملكي» وذلك في 18 ذي القعدة 18/1138 جويلية 1726. وعلي باشا قد فتك بكل من له صلة قريبة أو بعيدة بعمه لشهوته إلى سفك الدماء في غير تورع، ولظنه أن ذلك مما يوطد أركان دولته.

مؤلفاته :

1 – أعلام الأعيان بتخفيفات الشرع على العبيد والصبيان ، وهو كتاب مطول تضمّن فوائد فيما يتعلق بأحكام الصبيان وتأديبهم واستخدامهم وحقوقهم وفضل الأولاد والبرور باليتامى ، وحكم شهادات المعلمين والصبيان ، وحكم شهاداتهم بعضهم لبعض ، ووقت بلوغهم وكيفية وجوب الإيمان عليهم حال بلوغهم ، ثم ذكر خاتمة تضمنت أن أقل الأشياء وجوداً ما تقل الحاجة إليه ، وأكثرها وجوداً ما تكثر الحاجة إليه ، وتكلم عن الرفق بالعبيد ، وعن قوله ﷺ : «العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون» أتم تبييضه سنة 1701/1113 توجد منه نسختان بالمكتبة الوطنية بتونس .

2 – تزيين الغرة بمحاسن الدرة في القراءات الثلاث الزائدة على السبع (أبي جعفر ، ويعقوب ، وخلف) حذا فيها حذو ابن غازي على الشاطبية [1].

3 – حاشية على شرح المنار لابن فرشتا (فقه حنفي) منها نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس رقم 4411.

4 – حواشي على المرادي شارح ألفية ابن مالك .

5 – شرح على الطريقة المحمدية .

6 – الشهب المخرقة[2] في من ادعى الاجتهاد لولا انقطاعه عن المخرقة ألّفه سنة 1712/1124 إلا أنه نقحه وأدخل عليه تحويراً سنة 1717/1129 والنسخة المنقحة منها نسختان بالمكتبة الوطنية رقم 18584 ورقم 12364.

وللكتاب صلة بالتاريخ والتراجم ، ترجم فيه لكثير من علماء عصره ، فعندما تثار مشكلة من المشاكل العلمية يستغل الفرصة ليترجم لصاحب الرأي ترجمة مفصلة ، وهذه التراجم لعلماء تونسيين وغير تونسيين عرفهم في رحلاته ويذكر حكايات ونصوصاً أسطورية دونها أثناء رحلاته أو مطالعاته وفيه معلومات عن المراديين ، والدايات المعاصرين لهم .

7 – قصيدة بائية طويلة نظمها في أصحاب أبي الحسن الشاذلي الأربعين .

8 – قطعة من حاشية على شرح الجاربردي لشافية ابن الحاجب في الصرف .

9 – كتابات متفرقة على صحيح البخاري .

---

1) نسبها لحسين برناز التونسي في إيضاح المكنون 85/1، وقلده في هذا صاحب معجم المؤلفين 316/3.

2) هذا هو الصواب في اسمه بالخاء المعجمة لا بالحاء المهملة مراعاة للجناس بين المخرقة والمخرقة الموجودة في آخر العنوان ، وإن كان أشتهر بين الناس باسم «الشهب المحرقة» بالحاء المهملة ، انظر تاريخ معالم التوحيد ص11-12 تعليق 2.

10 – نبذة على مقامات الحريري.

11 – نكت على الخزرجية في العروض، لم يبيضه.

المصادر والمراجع:

- الأعلام 241/1-242.
- برنامج العبدلية 53/4-54.
- تاريخ معالم التوحيد 11-12، 103-104.
- معجم المؤلفين 179/2 تحت عنوان «قرّة خوجة» نقلاً عن بروكلمان الملحق 692/2.
- تقديم كتاب «الحلل السندسية» لمحققه د. محمد الحبيب الهيلة ص 78-79.
- ذيل بشائر أهل الإيمان ص230-234 [رقم 121] والمقدّمة لمحقق الكتاب الأستاذ الطاهر المعموري ص52-54
- فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية 436-437.
- المؤرخون التونسيون . . . (بالفرنسية) ص 183-192.

* * *

41 – ابن بزيزة (616 - 662[1]هـ) (1229 - 1263 م)

عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد التيمي[2] القرشي، المعروف بابن بزيزة[3] أبو فارس، من الفقهاء والصوفية، وعلماء التفسير والكلام، ورواة الحديث والأدب، ومن أيمة المالكية اعتمده خليل في التشهير، وكان مشاركاً في سائر العلوم، ومن أهل الدين.

تفقّه على محمد بن عبد الجبار الرعيني السوسي وعلى أبي محمد عبد السلام البرجيني ويستفاد من كتابه «الأنوار في فضل القرآن والدعاء والاستغفار» أن من شيوخه أبا الحسن علي بن أحمد الحرّالي التجيبي الصوفي المرسي الأصل المراكشي المولد (ت 1241/638) وأجاز محمد بن صالح بن أحمد بن رحيمة الكناني الشاطبي نزيل بجاية. ولد يوم الاثنين 14 محرّم وتوفي ليلة الأحد 4 ربيع الأول له من العمر 47 سنة، ودفن بمقبرة سيدي محرز، وترك آثاراً جليلة على قصر عمره مثل تاج الدين السبكي.

1) في تاريخ ميلاده ووفاته اضطراب عند المترجمين له، واعتمدتُ على تاريخ الدولتين وعلى الترجمة المنقولة من المشرق في علما، المغرب والمشرق لِلتسريف أحمد بن محمد القرتسيّ الغرناطي، وهو مُعاصر له.

2) في مصادر ترجمته «التميمي» ونسبه في كتابه «الأنوار» «التيمي» وهو الصحيح لأن تيماً ليست من قريش.

3) بزيزة على زنة فعيلة كسفينة.

مؤلفاته :

1 - الإسعاد في مقاصد الإرشاد وهو شرح على «الإرشاد» لإمام الحرمين في أصول الدين (علم الكلام) ألّفه بتونس سنة 1247/644 منه نسخة بخط محمد بن ميمون بن تميم الواصلي التونسي، فرغ من نسخها في شوّال 1439/841 جاء فيها «ألّفه بحضرة تونس الفقيه العارف الحبر الصوفي أبو محمد عبد العزيز بن إبراهيم بن بزيزة سنة 644».

ويبدو أنه كان في عزمه إفراد الأسماء الحسنى بتأليف مستقل على ما يستفاد من أوائل كتابه «الإسعاد» إذ جاء فيه «بدأ الإمام بالاسم الأعظم الذي هو قطب الأسماء والجامع لمعانيها وقد رأينا أن نفرد للكلام عليها كتاباً مستقلاً بنفسه جامعاً لحقائقها مطلعاً على أسرارها إن شاء الله تعالى، وأمهل في العمر، ويسر إتمامها في هذا القصد الجميل، والله يجعل ذلك لوجهه . . .» .

ويوجد قبله شرح «الإرشاد» لأبي العز بن المقترح، يجمعهما مجلد واحد وتوجد هذه النسخة بالمكتبة الوطنية بتونس، وأصلها من مكتبة الشيخ علي النوري بصفاقس.

2 - الأنوار في فضل القرآن والدعاء والاستغفار، رسالة صغيرة في 28 ورقة أورد فيها أربعين حديثاً في فضل القرآن، وما أعد الله سبحانه لقارئه والعاملين به من الثواب الجزيل، ثم ذكر آثاراً في فضائل بعض السور ثم عقد باباً فيما أخبر عنه النبي - ﷺ - في الأمر بذكر الله والترغيب فيه وما للذاكرين من الأجر الجسيم، وفي آخرها باب في فضل الدعاء، توجد بالمكتبة الوطنية بتونس.

3 - إيضاح السبيل إلى مناجي التأويل، ورد ذكره في «الإسعاد بمقاصد الإرشاد» بعد أن ذكر تأويل إمام الحرمين لمشكلات الآي والأخبار إلى أن قال: «ثم ذكر بعد قوله عليه السلام «إن الله خلق آدم على صورته» وهو حديث انفرد به مسلم، وفي أفراد مسلم ابن الحجاج خلاف بين أهل العلم، ووهم الإمام بقوله: «غير مدوّن» وقد ذكرنا لجميع طرقه وتأويلاته في كتاب «منهاج العوارف إلى روح المعارف» واختصاره المسمّى «إيضاح السبيل إلى مناجي التأويل» ولا نطيل بذكرها ههنا فمن أراد فليطلبه هنالك».

4 - تفسير القرآن جمع فيه بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري.

5 - التنبيه على مواضع من «منهاج الأدلة» لابن رشد الحفيد الفيلسوف ذكره في كتاب «الإسعاد» ورد فيه: «وله في كتابه الصغير الذي سماه «منهاج الأدلة» مواضع نبهنا عليها وفيها غلط فاحش».

6 - شرح الأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيلي، في فقه الحديث.

7 - شرح الأحكام الكبرى لعبد الحق الإشبيلي، في فقه الحديث.

8 - شرح الأسماء الحسنى.

9 - شرح التلقين للقاضي عبد الوهاب البغدادي، في الفقه.

10 - شرح العقيدة البرهانية[1] للسلالجي.

11 - شرح المفصل للزمخشري في النحو.

12 - منهاج المعارف الى روح العوارف، بين فيه تأويل أكثر الآيات والآحاديث المشكلة واختصره في «ايضاح السبيل» المار ذكره.

المصادر والمراجع:

- إتحاف أهل الزمان 1/162-163 (توفي سنة 1262/660).
- الإمام المازري ص 42-43.
- تاريخ الدولتين 29 (وما فيه شهر بابن نويرة تحريف).
- تبصير المنتبه 79/1.
- المشتبه للذهبي 70/1.
- معجم المؤلفين 239/5.
- نزهة الأنظار 218/1 (وفيه على الصواب ابن بزيزة، وتراجمه تكاد تكون مأخوذة بنصها الحرفي من تاريخ الدولتين).
- ترجمة منقولة من «المشرق في علماء المغرب والمشرق» لأحمد بن محمد القرشي الشريف الغرناطي (المتوفى بتونس سنة 1293/692) وجدتها في وجه الورقة الأولى من «كتاب الإسعاد في مقاصد الإرشاد».
- نيل الابتهاج 178 ونقل أواخر الترجمة من تقييد للبسيلي الناقل عن «المشرق» للغرناطي والذي ختم الترجمة بذكر وفاته رابع ربيع الأول عام اثنين وستين وستمائة، قال عقب ذلك أحمد بابا: صوابه ثلاثة وسبعين وستمائة فحققه، ولم يذكر مستنداً يطمأن إليه للقيام بهذا التحقيق.
- هدية العارفين 581/1.
- بلاد البربر الشرقية في عهد الحفصيين لروبير برانشفيك (بالفرنسية) 376/2.
- محمد محفوظ، مجلة الفكر، السنة 13 العدد 3 ديسمبر 1967 ص 52-54.
- شجرة النور الزكية 190.

---

1) وتسمى «قوة الإرشاد» لأبي عمرو عثمان بن عبد الله بن عيسى القيسي المعروف بالسلالجي إمام أهل المغرب الأقصى في الكلام والتصوف (ت 1178/574) والسلالجي نسبة إلى سلالجو ناحية من فاس بين الجنوب والشرق فيها عين وادي سبو.
شجرة النور الزكية 163، معجم المؤلفين 256/6، الوفيات لإبن قنفد ص 44.

- معجم المؤلفين 239/5.
- الحلل السندسية 665/1 (دار الغرب الإسلامي، بيروت 1984

* * *

42 - بشّيس (1332 - 1398 هـ) (1914 - 1978 م)

محمد الصادق ابن الحاج محمود بن محمد بشّيس الشريف النسب، أصل سلفه من بني خيار، مولده بتونس في 15 ذي الحجة سنة 2/1332 نوفمبر 1914 ونشأته بها.

الكاتب الأديب المفكر، من أعلام الثقافة الإسلامية، تلقّى تعليمه بجامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية، وأحرز على شهادة العالمية من جامع الزيتونة، ثم أحرز على خطة التدريس وباشرها بالفروع الزيتونية بالعاصمة وفي حدود عام 1962 انتقل إلى التدريس بكلية الشريعة وأصول الدين.

وانتسب إلى الحزب الحر الدستوري الجديد في مطلع شبابه وعرف بنشاطه في خدمته وخطبه في اجتماعاته فألقي القبض عليه بعد حوادث 9 أفريل 1938 وأودع السجن. وكان معروفاً بالدفاع المتحمس عن قضية فلسطين منذ شبابه الباكر، كاتباً وخطيباً حتى عرف بالشيخ الفلسطيني، ولما تعكر الجو بين الحزب والشيخ الفاضل ابن عاشور على عهد الأستاذ صالح بن يوسف وفي غيبة زعيم الحزب ورئيسه الحبيب بورقيبة المجاهد الأكبر بالشرق، ألقى الشيخ الفاضل بن عاشور محاضرة عنوانها «فلسطين الوطن القومي للعرب» طبعت في رسالة صغيرة، وذلك باسم معهدالبحوث الإسلامية على منبر الخلدونية بقاعة المطالعة، رأى الأستاذ صالح بن يوسف ألا ينفرد وحده بالتعريف بالقضية الفلسطينية، ونظّم اجتماعات لهذا الغرض بالمدن والقرى، وعرف فيها الخطباء بالقضية وباطل دعاوى اليهود الصهيونيين في كون فلسطين وطناً قومياً لهم، وكان المترجم له من جملة الخطباء المعينين للقيام بهذه المهمة، وكثر تخلفه عن دروسه فاستدعاه شيخ الجامع - إذ ذاك - الشيخ الطاهر ابن عاشور ولامه على هذا التخلف وما فيه من إخلال بالواجب، وإن التعريف بقضية فلسطين لا يكون مبرراً كافياً لمثل هذا الإخلال ومن جملة ما قال له: «قضية فلسطين انزبشوايها[1]» هكذا سمعت منه رحمة رحمه الله.

والرجل شعلة من الذكاء، دائب على المطالعة المتنوعة فهو يطالع الكتب الخاصة

1) أي نصير يوزباشية جمع يوزباشية وهي كلمة تركية لرتبة عسكرية تقابل قبطان والضباط في الجيش كانت لهم في العصر التركي بتونس مكانة هي مطمح الأنظار.

بالمخترعات والمكتشفات الحديثة، وكتب المذاهب الفلسفية والسياسية، ويقول مبرراً لهذا: أريد أن أفهم العالم الذي أعيش فيه، أريد فهمه مادياً وفكرياً. وهو ذو نشاط دائب متواصل، فقد كتب في الصحف التونسية منذ سنة 1930 في الشؤون الاجتماعية والثقافية، وتراجم رجال معاصرين من تونس ومن الشرق ومنها «رشيد رضا الرجل الذي لا يعوّض» المنشورة بجريدة «الزهرة» سنة 1935 وكان بعض أصدقائه يتندر عليه من أجل هذا العنوان والإفراط في تقدير الشيخ رشيد رضا، وكتب في القضايا الإسلامية وخاض معارك قلمية مع المنحرفين عن المنهج الإسلامي الذين حاولوا تسميم الأفكار وتشكيكها بالكتابة في الصحف، ومن أشهر هذه المعارك جداله الطويل مع الأستاذ محجوب بن ميلاد حول كتاب «من هنا نبدأ» المنشورة في أعداد متوالية من جريدة «الصباح» وتمتاز كتاباته بالأسلوب المشرق الجميل، والتفكير الواضح المنتظم، وقوة العارضة، والخيال اللطيف، وبعض من هذه الكتابات هو قطعة فنية لا يبليها طول الزمان.

وكان معجباً أيما إعجاب بتفكير الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا ومتأثراً بهما، وهو لا يحتمل أن يوجّه إليهما أدنى نقد، وكنت ألحّ أحياناً في حديثي معه عما على الشيخ محمد عبده ومدرسته من مآخذ في المنهج والاتجاه الفكري - وإن كنت مقدّراً لهما - فينبري كالسيل مدافعاً عنهما وهو يعرف جزئيات حياتهما جيداً، وكتاب تاريخ الأستاذ الإمام للشيخ رشيد رضا يستشهد به كثيراً ويلم بما فيه لأنه من الكتب المحببة لديه فطالعه مراراً.

وهو واسع الثقافة يريد بمطالعاته أن يطلع على كل شيء وبجدّه واجتهاده ألم إلماماً واسعاً بالحركات الفكرية والمذاهب السياسية والفلسفة المعاصرة زيادة عن اطلاعه الغزير على الثقافة العربية الإسلامية وخبرته الجيدة بالتاريخ التونسي، وتراجم رجاله في العصر الحديث وروايته لكثير من طرائفهم ونوادرهم، يروي الكثير منها عن شيخه وصديقه محمد العربي الكبّادي - رحمه الله - وهو شديد الإعجاب به كثير الحديث عنه والتقدير لمواهبه العلمية.

أول محاضرة سمعتها منه عن جمعية الإخوان المسلمين ألقاها على منبر معهد البحوث الإسلامية بقاعة المطالعة بالخلدونية وقدمه الشيخ الفاضل ابن عاشور وأثنى على مواهبه العلمية وأسلوبه في البحث والكتابة وذلك حوالى عام 1946. وللأخوان المسلمين إذ ذاك صدى غامض في الأوساط لا يتجاوز أنها مؤسسة إسلامية كبرى بمصر يرأسها الشيخ حسن البنّا، ومن خلال المحاضرة ارتسمت في أذهاننا صورة صحيحة عن هذه الجمعية وأسباب نشأتها وأغراضها وأهدافها ووسائلها في العمل وتنظيماتها وليس في ذلك التاريخ أية دراسة عن الأخوان المسلمين في شكل رسالة، وقد التقط معلوماته عن هذه الجمعية من خلال مطالعاته في الصحف والمجلات الشرقية فنسّقها وحللها وأخرجها في عرض جميل وثوب مشرق خلاّب.

وقد تعرفت به وأنا طالب بجامع الزيتونة، وكان لقاؤنا الأول بمنزل شيخنا الأستاذ محمد الشاذلي النيفر مدير كلية الشريعة وأصول الدين الآن، واستفدت من سعة اطلاعه وسداد

تفكيره واستمرت هذه الصداقة إلى وفاته فقد كاتبني قبل موته بنحو أربعة أشهر، وعلا هذه الصداقة غبار لم يتجاوز المرتين لاختلاف جزئي في التفكير والاتجاه لكنه سرعان ما ينقشع لصدق النوايا.

كنت وأنا تلميذ أتحادث معه في مختلف الشؤون الأدبية والفكرية والسياسية، وكان يطرفني بالجديد الذي لا أعلم. تحادثت معه مرة عن الإمام فخر الدين الرازي فأفادني بأن له ترجمة في «الوافي بالوفيات» للصفدي وذكر لي أن منه أجزاء كثيرة مخطوطة في المكتبة العبدلية الزيتونية (نقلت كتبها المخطوطة إلى الجامعة التونسية في عهد وزير التربية القومية الأستاذ محمود المسعدي) وفي أول فرصة بادرت بالذهاب إلى المكتبة وطلبت جزءين من الكتاب وهو من المخطوطات النادرة التي لا تسلّم للتلامذة، وأشعرني بذلك الموزعون بالمكتبة، وكان المشرف عليها شيخنا محمد الوزير الذي كان موجوداً بها في ذلك اليوم من حسن الحظ فقابلته وأبديت له رغبتي في مطالعة الكتاب، وبعد تردد لبى رغبتي مشكوراً، وأعلمني بأن أطالعه في القاعة الخاصة بالمشايخ المدرّسين لئلا يشعر أحد من الطلاب بأني أطالع الكتاب، وقال لي: «إن القانون يمنع إعارة الكتاب لأمثالك» ولكن نظراً لما يعلم من صدقي واجتهادي يعيرني إياه مع التوصية بكامل الصيانة للكتاب لأنه نفيس جداً ونادر الوجود.

ويطول المقام عما استفدت منه خلال محادثاتنا، ومنه علمت أسماء هذه الكتب: «الدرر الكامنة» للحافظ ابن حجر، و «الضوء اللامع» للسخاوي، و «المدارك» للقاضي عياض، وقد طالعت بعض أجزاء من هذه الكتب وأنا في طور التلمذة.

وكان لا يبدي تعالياً في المناقشة وكثيراً ما يقول لي، أنت حر في آرائك، إذا خالفته في بعض الآراء، وهذا الخلاف غالباً له صلة بالأدب الحديث كأدب جبران أو بالسياسة.

وكانت أحاديثنا لا تقتصر على ناحية معيّنة ففيها الأدب والتاريخ والسياسة والثقافة الإسلامية وكان لا يخفي بعض الأحداث والمضايقات التي لحقته في حياته اليومية يحكيها متألماً وبرغم ذلك لا يحيد عن مبدئه ولا يلين لأنه كان في هذه الناحية صعب المراس، معتدًّا بشخصيته متمسكاً بمبادئه لا يساوم عليها ولا يقبل التنازل عنها ولو دميت قدماه ولم يجد الطريق أمامه مفروشاً بالورد.

وفي مجال ما خاضه من معارك قلمية وعلى الخصوص مع الأستاذ محجوب بن ميلاد يقول لي: أنا رجل شريف في خصوماتي لا أتنازل إلى الإسفاف والفوه بما لا يليق أو ذكر كل ما أعلم عن الشخص.

وحكى لي أنه كان مغرماً بالمطالعة وبالخصوص في كتب الحديث الشريف وتاريخ تونس قبل أن يلتحق بجامع الزيتونة وأتذكر أنه قال لي مرة أنه كان يلتحق بالشيخ الطاهر آ بن عاشور عند مروره بالأنهج القريبة من جامع الزيتونة أو الديوان الشرعي ليسأله عن معنى حديث أو

درجته . واستمر معه حب الحديث النبوي بعد ذلك حتى أنه صار عارفاً بتراجم رجاله يروي الكثير من أحوالهم ومواقفهم المشهورة ونوادرهم ، له اطلاع واسع على دواوين السنة ، ولا يكاد يفوته معرفة درجة حديث من الأحاديث ومظان وجوده ، ويروي الكثير منها في كلامه فيستنبط منها الأحكام والمقاصد ، ويفسر ما فيها من غريب اللغة ، وذكر لي أنه في هذا الطور طالع «رحلة التيجاني» وهي – إذ ذاك – مخطوطة لم تطبع من المكتبة الأحمدية الزيتونية ، وهي ترجع بالنظر إلى شيخ الإسلام الحنفي ، وكان وقتها هو الشيخ محمد بن يوسف ، ولما ذهب إليه وقدم المطلب كتابياً وبإمضائه سأله عن التيجاني وفي أي عصر عاش ، وعن محتوى رحلته وقيمتها ، وما هو غرضه من مطالعتها ؟

فأجابه عن أسئلته بما أعجب به شيخ الإسلام ، وأذن في إعارة الكتاب له ، وقد أثنى على أخلاق شيخ الإسلام وعلمه . وفي خلال عام 1950 أصيب بكسر في رجله على أثر خروجه من منزل شقيقه الأستاذ محمد الطيب بسّيس (القاضي الآن والمحامي في ذلك التاريخ) في ليلة ممطرة وكان لابساً لحذاء «كريب» فزلقت رجلاه وسقط ، وسمع شقيقه السقطة والأنين فخف إلى المكان ونقله بسرعة إلى مصحة الحكيم عزّيز التي لبث بها أشهراً ، وبعد خروجه تبيّن بعد مدة أن عملية الجبر لم تنجح ، وإن لم يبادر بتلافي الأمر يخشى منها على صحته وعلى حياته فبادر بالسفر إلى باريس للمعالجة ولبث هناك ما يقرب من خمس سنوات تعلّم خلالها اللغة الفرنسية .

وبعد رجوعه عاد إلى مباشرة مهنته وأحاديثه الإذاعية في تبسيط تفسير القرآن بما لا يعلو عن أذهان الجمهور ويستسيغه المثقفون وفي تبسيط الآداب والقيم الإسلامية .

وفي إحدى زيارات الشيخ عبد الحي الكتاني إلى تونس اجتمع به المترجم له وأجازه بجميع مروياته بخطه ، والشيخ عبد الحي الكتاني كان راوية محدّثاً له إجازات مغربية ومشرقية واطلاع واسع على الفهارس والمعاجم وتراث المحدثين بحيث أنه كان فريد عصره غرباً وشرقاً ولولا انحرافه السياسي بمشايعته للاستعمار لكان له شأن آخر ومنزلة لا تبارى . وبالجملة فالرجل خصب المواهب متعدد الجوانب ، فهو خطيب وكاتب وباحث . وكان عالي الهمة أبي النفس بعيداً عن الإسفاف متحاشياً لمواطن الشبهات ، حسن الأخلاق ، جمع ما تفرق في غيره من الخصال والمزايا – رحمه الله – وقد خسرت به تونس علماً من أعلامها ونابغاً من نوابغها .

توفي يوم الخميس في 10 ذي القعدة سنة 12/1398 أكتوبر 1978.

مؤلفاته :

1 – شكيب أرسلان وصلاته بالمغرب العربي ، وكان له معه صلات بالمراسلة منذ أن كان

طالبا لإعجابه بجهاده السياسي وصدقه في خدمة قضايا العروبة والإسلام، وخصوبة مواهبه. وكان يتتبع إنتاجه ويعرف مراحل حياته وبعض الفقرات من رسائله. حدثني مرة أن الشيخ محمد الكامل التونسي نزيل دمشق هاجم مرة شكيب أرسلان بدون حق ولا حسن فهم وتأثر شكيب أرسلان من ذلك وفي إحدى رسائله قال في حقه: محمد الكامل لا كمّله الله.

2 - الشيخ عبد العزيز المهدوي الصوفي دفين المرسى وقد أعلمني في السنوات الأخيرة أنه يعد دراسة واسعة عنه، وطلب مني هل عندي ما يمت إلى الموضوع بصلة فأرسلت له ترتيب علي بن عبد الرحمان البجائي لرسالة عبد العزيز المهدوي «محجة القاصدين وحجة الوافدين» ورسالة أخرى له صغيرة في التصوف نسختها من مجموع في التصوف كان موجوداً بمكتبة الشيخ علي النوري التي نقلت إلى المكتبة الوطنية وأعلمني أنه وجد من كتاب البجائي مخطوطة في مكتبة الشيخ الطاهر ابن عاشور وأنه استعارها منه للمقابلة بين المخطوطتين، ولبثت مخطوطتي عنده ما يقرب من خمس سنوات وأرجعها لي قبل موته بنحو أربعة أشهر.

ولما سمعت خبر نعيه من الإذاعة قلت: لا شك أن الرجل صادق كاسمه وصالح إذ أرجع لي نسختي قبل وفاته بزمن يسير.

3 - التصوف في العصر الحفصي وهو من أول مؤلفاته.

4 - الشيخ محمد العربي الكبادي، وهو شيخه في الأدب وكان معجباً به وقلّ أن يخلو حديث من أحاديثه من التنويه به.

5 - خطة الحسبة في تونس.

6 - الرعاية الصحية في الإسلام.

7 - دفاعاً عن السنة النبوية.

8 - محمد السنوسي، حياته وآثاره. ربض سنوات طويلة في الدار التونسية للنشر أسوة بغيره من الآثار التي تدخل هاته الدار ولا يمن عليها مديرها بإطلاق الاسار أو الارجاع لأصحابها. وفي كثير من رسائله تشكى من قضية النشر في تونس، ويضرب المثل بكتابه هذا، ويبدي يأساً وتساؤلاً عن فائدة التأليف في مثل هذه الأوضاع. وكنت أشجعه على الاستمرار وعدم اليأس، ومثل هذه الحالة الطارئة يرجى لها الزوال.

طبع الكتاب بعد وفاته بأشهر في 207ص عدا الفهارس من القطع المتوسط.

9 - أبو عبد الله محمد المرجاني، وهو صوفي من رجال العصر الحفصي.

10 - مكانة الاجتهاد في الإسلام.

11 - نظرات في التصوف الإسلامي.

12 - نظرة في حياة الإمام الرازي وآثاره.

13 - حقق كتاب «خلاصة النازلة التونسية» للشيخ محمد السنوسي وصدره بمقدمة حافلة طويلة نفيسة، ط في تونس 1976.

هذا ما أعلم من مؤلفاته، وقد يكون له غيرها لأنه لم يعلمني بكل ما ألّف.

المرجع:

- ملتقى الإمام ابن عرفة (تونس 1977) ص545 (قائمة بأسماء مؤلفاته لأنه شارك في هذا الملتقى) وفي هذا الكتاب قائمة في أسماء المشاركين في الملتقى في آخر الكتاب، وذكر مؤلفاتهم إن كانت لهم مؤلفات.

* * *

43 - البسيلي[1] (830[2]هـ) (1427 م)

أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي الجزائري نزيل تونس الفقيه المفسّر.

---

1) بفتح أوله وكسر ثانيه وفي الضوء اللامع 190/11 قسم الأنساب بكسر أوله وفتح ثانيه وهو ضبط غير صحيح، قال الأستاذ الباحث سعد غراب «فالراجح أن اسمه في الأصل هو المسيلي نسبة إلى المسيلة عاصمة الزاب الشهيرة إلى أن قال: هو الإبدال بين الميم والباء أمر معروف شائع في العربية، وهما حرفان شفويان متقاربان ومن أشهر أمثلة الإبدال القديمة بين هذين الحرفين أنه يقال مكة وبكة. ولا ندري متى وقع هذا الإبدال في نسبة البسيلي، هل كانت شائعة في عهده في بعض اللهجات، وعلى كل فهو سمي في بعض المراجع الجزائرية المسيلي: (خاصة: تعريف الخلف وأعلام الجزائر). والتحريف - فيما يبدو لي قديم لذا لم نشأ إصلاحه». ويلاحظ على كلامه أن الأنساب لا مجال للقياس والاجتهاد فيها وإن الإبدال بين الميم والباء إذا كان شائعاً في اللغة الفصحى فهل هو كذلك في اللهجة الدارجة العامية ومن المعلوم أن ما هو شائع ومطرد في الفصحى لا يلزم أن يكون كذلك في اللهجة الدارجة لأن لها قواعد وخصائص في الاستعمال غير التي في الفصحى وإذا كان قد ذكر مثالاً للإبدال بين الميم والباء في الفصحى فلماذا لم يذكر مثالاً من ذلك في اللهجة العامية ليكون كلامه أدنى إلى القبول ومقنعاً وليكون القياس بدون وجود فارق، وما نقله عن بعض المراجع الجزائرية هي مراجع حديثة وعمدتها ومعوّلها هي المصادر القديمة فإذا خالفتها فإنه ينظر إلى هذا بعين الحذر والاحتراز بل الرفض إن لم يوجد بعد البحث ما يؤيد خلافها المبني على الاجتهاد الشخصي المجرد بدون حجة ولا مستند.

2) في الضوء اللامع أنه توفي سنة 848.

قرأ على الإمام ابن عرفة، وأبي العباس أحمد البطرني وعبدالرحمان بن خلدون وأبي مهدي عيسى الغبريني، وغيرهم. وكان حضوره عند ابن عرفة سنة 1383/785. كان مدرّساً بالمدرسة الحكيمية (نسبة إلى محمد بن علي اللخمي المعروف بابن حكيم) وكان يقرئ بسقيفة داره كثيراً.

له تفسير قيده عن شيخه ابن عرفة، وأضاف إليه زوائد من غيره، وفيه فوائد ونكت، ذكر فيه بعد أن أورد أسئلة وأجوبة في بعض الآيات «وهذه الأسئلة وأجوبتها وأمثالها وكل ما ذكرنا في كتابنا هذا مما يقع بين الطلبة في مجلس شيخنا ابن عرفة أو بينه وبينهم» ولما ألّف هذا الكتاب سمع به الأمير الفقيه الحسين ابن السلطان أبي العباس أحمد الحفصي فراسله فيه وطلبه منه فامتنع وماطله أياماً ثم أرسل إليه وأمر رسله أن لا يفارقوه حتى يسلّمه لهم، وأخذ منه من سورة الرعد إلى الكهف ودفع لهم الباقي، فمضوا به، ثم مات ومات الأمير أيضاً وبيع التقييد في تركته فسافر به مشتريه إلى بلاد السودان فبقي أهل تونس لا شعور لهم به، فلذلك كان أصل نُسخِه من نسخة السودان، ومن هناك انتشر، وقد كان الشيخ لما طولب به اختصر منه تقييداً صغيراً جداً. منه نسخة في المكتبة العامة بالجزائر معارضة على نسخة المصنف وقديمة نسبياً مؤرخة في شوّال 1007/ ماي 1599.

وفي الخزانة العامة بالرباط 3 نسخ، وفي الخزانة الملكية بالرباط نسختان، ونسخة في مجلد ضخم في الزاوية الحمزية بالمغرب الأقصى، وفي المكتبة الوطنية بتونس نسخة مبتورة الأول رقم 10792.

وبيّن في خطبته مادة جمعه وطريقته فقال: «وهذا تقييد على كتاب الله المجيد قصدت فيه جمع ما تيسر حفظه وتقييده في مجلس شيخنا أبي عبد الله محمد بن عرفة - رحمه الله تعالى - مما كان يبديه هو أو بعض حذاق طلبة المجلس زيادة على كلام المفسرين وأضيف إلى ذلك في بعض الآيات شيئاً من كتب التفسير مع ما سمح به الخاطر، هذا مع ممانعة ما اقتضته الحال من الذهن الجامد والفكر الخامد، والله سبحانه أستعين فهو خير ميسّر وخير معين».

1 - تقييد صغير في التفسير. توجد منه نسخة في المغرب الأقصى في الخزانة العامة بالرباط يبلغ حجمه حوالى سدس التقييد الكبير، ويعترية بعض النقص من جرّاء هذا الاختصار الكبير الذي وصل إلى حد إهمال بعض السور بصفة تامة وخاصة في نهايته إذ يقف في سورة الصف.

2 - تقييد في الوفيات - ذكره صاحب نيل الابتهاج في ترجمة ابن بزيزة التونسي.

3 - شرح على الجمل في المنطق.

4 - شرح على الخزرجية في العروض.

5 - شرح على المدونة.

ولمّح الرصاع إلى تآليفه فقال: «وله تآليف عديدة وتصانيف حسنة».

المصادر والمراجع:

- البستان 193 (عرضا في ترجمة ابن عرفة).
- شجرة النور الزكية 251 (أحمد بن عمر).
- الضوء اللامع 261/2، 190/11 (قسم الأنساب).
- كشف الظنون 438-439.
- معجم المؤلفين 85/2.
- مكتبة الزاوية الحمزية صفحة من تاريخها لمحمد المنوني ص 15.
- فهرسة الرصاع 175-177.
- تعريف الخلف برجال السلف 73/2.
- أعلام الجزائر ص 37.
- نيل الابتهاج 77-78.
- بروكلمان 321/2.
- سعد غراب: تفسير ابن عرفة ورواياته أو مدخل لدراسة تفسير ابن عرفة الورغمي (في ملتقى الإمام ابن عرفة ص 397-400).
- توشيح الديباج 58.
- الحلل السندسية 633/1.
- الأعلام 227/1.

* * *

44 - البشروش (1329 - 1363 هـ) (1911 - 1944م)

محمد بن محمد البشروش، الأديب الصحفي الناقد القصاص.

ولد بدار شعبان من ولاية نابل في 21 أفريل 1911 وكان أبوه حلاقاً فوجّهه للتعليم فتلقّى تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه، ثم التحق بمدرسة ترشيح المعلمين بالحاضرة إلى أن تخرّج منها فعينته إدارة العلوم والمعارف معلماً للعربية بملّيته إحدى جزر قرقنة وقضى بها عاماً واحداً ثم نقل إلى نفطة بالجريد وقضى بها ثلاثة أعوام ومدة إقامته بنفطة قال عنها الأستاذ محمد الصالح الجابري في كتابه «الشعر التونسي المعاصر»: توطدت أثناءها صلاته الحميمة بمعظم

أدباء الجريد ومن بينهم أبو القاسم الشابي ، ومصطفى خريف ، والمؤرخان إبراهيم بورقعة ، ومحمد الصالح المهيدي ، وهؤلاء كانوا وسيلة إلى المجلات والصحف الأدبية ، فكان التقاؤه بهم للإخصاب في فترة إنتاجه الثري من القصة والنقد والشعر والخصومات الأدبية التي أثارها الأدب التونسي المعاصر.

وبعد مباشرته لمهنة التعليم بنفطة نقل إلى قرية الكريب حيث كلف بإدارة المدرسة هناك ومكث ثلاث سنوات طلب في آخرها الاقتراب من مسقط رأسه فعيّن معلماً للغتين العربية والفرنسية بمدرسة الحمامات ثم نقل من هناك إلى بلدة حمام الأنف لتعليم اللغتين إلى ما قبل وفاته بأسبوع.

هذه هي حياته في مهنة التعليم باختصار ، أما حياته الأدبية فهي ذات نشاط واسع مكثف مع العلم أن مهنة التعليم شاقة تستنفد الوقت والجهد ولا تترك للإنتاج الأدبي مكاناً.

وعلى كل فقد نشر فصولاً نقدية في جريدة «الزمان» بعنوان «تحطيم الأصنام الثلاثة» وفصولاً أخرى كان يمضي بعضها بإمضاء محمد عبد الخالق ونشر بعض الأقاصيص في مجلة «العالم الأدبي» وفي مجلة «المباحث» ونشر شعراً منثوراً بعنوان «خواطر مجنحة» وترجم بعض المقطوعات الشعرية عن الفرنسية لبول فارلان وغيره.

ونشر فصولاً بالفرنسية في مجلة «إفريقيا الأدبية» التي كان يصدرها بتونس صديقه م. أستير (Astre) ، منها فصول في التعريف بالأدب والأدباء التونسيين.

وأذاعت له محطة الإذاعة التونسية دراسات عن الأدب التونسي في العصور القديمة قبل الإسلام وشارك في حصة «آخر ما كتبت». وأصدر مجلة «المباحث» واعتبرت من أرقى المجلات بتونس لدسامة محتواها. وصدر العدد الأول منها في شهر ذي الحجة 1937/1356 وهو إذ ذاك بالحمامات لكنها تعطلت لبعدها عن العاصمة وما يحتاجه الطبع من مال لا يتوفر عند أمثاله من ذوي الدخل المحدود ، ثم استأنف صدورها في 10 أفريل سنة 1944.

توفي في 15 ذي الحجة 1363/ ديسمبر 1944 بمرض لم يمهله إلا أسبوعاً واحداً وهكذا انطفأت جذوة من النشاط الأدبي الخارق وخمدت أنفاس عبقرية حركت أوصال الأدب وأمدّته بنجيع الحياة فترة من الزمن على قصر عمره ومشقة مهنته فليعتبر بذلك الذين يتهربون من الإنتاج بدعوى ضيق الوقت وكثرة الشواغل وليعلموا أن العزائم الصادقة لا يثنيها عن بلوغ هدفها أيّ عائق.

مؤلفاته :

1 – الحياة الفكرية المغربية من أقدم العصور إلى الآن ، أتم بصورة نهائية عصر ما قبل الإسلام

- كشف الظنون 1624/2.
- معجم المؤلفين 257/6 (نقلاً عن الأعلام).
- توفيق حسين بكار: مصادر من تراثنا مجهولة.
- مجلة الأقلام البغدادية م 2 السنة 3 جمادى الآخرة 1386 تشرين الأول 1966 ص 128.

* * *

46- ابن بشير (كان حياً سنة 562 هـ) (1132 م)

إبراهيم بن عبد الصمد بن بشير التنوخي المهدوي أبو الطاهر، من الفقهاء الأعلام، البالغين درجة الاختيار والترجيح، الإمام في الحديث وأصول الفقه واللغة العربية.

أخذ عن الإمام عبد الحميد السيوري، وغيره.

وذكر في كتابه «التنبيه» أن من أحاط علماً ترفع عن درجة التقليد، وكان قريباً لأبي الحسن اللخمي دفين صفاقس، وتفقه عليه في كثير من المسائل، ولم يحل ذلك دون تعقبه في كثير من المسائل وردّ اختياراته الواقعة في كتاب «التبصرة» بما لا يخلو من تحامل.

ذكر الشيخ ابن دقيق العيد أنه قتل شهيداً قتله قطاع الطريق في عقبة وقبره بها معروف.

مؤلفاته:

1 - الأنوار البديعة في أسرار الشريعة.

2 - التنبيه على مبادئ التوجيه، سلك فيه مسلك استنباط الفروع الفقهية من قواعد أصول الفقه وهي طريقة نبه الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد أنها غير مخلصة وأن الفروع لا يطرد تخريجها على القواعد الأصولية وفي هذا الكتاب التعقب والرد على اللخمي.

3 - التذهيب على التهذيب (أي تهذيب المدوّنة للبراذعي).

4 - مختصر في الفقه يحفظه المبتدئون، أكمله سنة 526هـ.

المصادر والمراجع:

- الديباج 87.
- شجرة النور الزكية 126.
- معجم المؤلفين 48/1.

* * *

47 - البَطَرْني (703 هـ[1]) (1308 م)

أحمد بن موسى بن عيسى بن أبي الفتح البطرني[2] الأنصاري، أبو العباس، أحد المكثرين في الروايات والقراءات، وشيخ تونس في القراءات نزيل تونس.

قرأ على عبد الأعلى بن عبد الأعلى الشبارتي[3] ومحمد بن محمد بن أحمد بن مشليون الأنصاري، وعلي بن محمد بن أحمد الكتاني لنافع وابن كثير وأبي عمرو ولكتاب «التيسير»، وعلى القاضي أبي محمد بن أبي بكر بن بُرْطُلة الأزدي، وسعد بن علي بن زاهر، ومحمد بن أحمد بن ماجة لورش، وصالح بن محمد بن وليد الطرطوشي، والقاضي أحمد بن محمد بن الغماز لنافع، وأحمد بن لب للسبع سوى الكسائي، وروى الشاطبية عن أبي بكر عبد الله بن إبراهيم بن أحمد الأنصاري قراءة عليه عن السديد عيسى وعلم الدين السخاوي.

كما أخذ عن أبي الحسن علي بن محمد بن أحمد بن موسى الكناني، والقضاة الثلاثة أبي الفضل بن البراء[4]، وأبي البركات عبد الحميد بن أبي الدنيا الصدفي، وأبي إسحاق بن عياش، والشرف الجزائري، وأبي محمد بن الحجام عبد الله بن محمد اللخمي، وحازم القرطاجني، وأبي بكر بن حَبيش وأبي الوليد بن القطان الغرناطي، وغيرهم، وأجازه جماعة من المغرب والمشرق.

قرأ عليه محمد بن سعد بن أحمد بن برّال الأنصاري، وأحمد بن فرحون بن عبد الله النفزي، وروى عنه القراءات عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن أبي زكنون.

وروى عنه العبدري المغربي صاحب الرحلة، وقرأ عليه محمد بن جابر الوادي آشي القراءات الثمان وغيرها، وسمع منه وأجازه إجازة عامة وكتب له بها على ضعف بصره، وقرأ عليه القاضي ابن عبد السلام.

توفي يوم السبت في 20 ربيع الثاني.

نظّم قراءة يعقوب من طريق الداني نظماً حسناً.

المصادر والمراجع:

- برنامج الوادي آشي، تحقيق محمد محفوظ (ط بيروت 1400/1980) ص 66-67.

---

1) اعتمدت ما ذكره تلميذه الوادي آشي في «برنامجه» وغيره من المصادر التونسية، وفي المصادر المشرقية أنه توفي سنة 710.

2) نسبة إلى بطرنة (Paterna) قرية بناحية المريّة أو بقرب بلنسية بالأندلس.

3) في غاية النهاية عبد الله بن يوسف الشبارتي وهو غير صحيح.

4) في المصدر السالف «براك» وكثيراً ما يقع التحريف فيه بدال وغير ذلك والصواب أنه بالراء المهملة الشديدة.

- تاريخ الدولتين 49.
- الدرر الكامنة (ط مصر) 343/1.
- درة الحجال 13/1.
- الحلل السندسية 1ق 634/3-636، 1ق 1048/4[164/2].
- رحلة العبدري 275.
- شجرة النور الزكية 305.
- غاية النهاية 142/1-149.
- فهرست الرصاع ص91 تعليق 21.
- رحلة ابن رُشَيْد المسماة ملء العَيبة، تحقيق الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة (تونس 1402/1982) ص169-172 ج 2.

* * *

48 - أبو بكر (1317 - 1367 هـ) (1899 - 1948 م)

سعيد أبو بكر، الأديب الشاعر الصحفي.

وُلد في بلدة المكنين الواقعة بين بلدتي سوسة والمهدية من الساحل الشرقي التونسي في 28 أكتوبر ونشأ في بلدته في رعاية عائلة طيبة متواضعة تعلّم أولاً في الكتاب حيث استظهر نصيباً من القرآن وتعلّم الكتابة، ثم انتقل إلى المدرسة القرآنية، حيث تعلّم اللغة العربية ومبادئ العلوم الإسلامية من فقه وتوحيد ومبادئ اللغة الفرنسية. وارتكزت تربيته في وسطه العائلي وبين المثقفين ببلدته على أسس الأخلاق الإسلامية ومحبة الوطن.

وبدت عليه منذ صغره مخايل الفطنة والذكاء والحساسية والشاعرية المبكرة، وكان ذلك جالباً لأنظار أقرانه ومعلميه، وبدأ في قرض الشعر حوالى الحادية عشرة من عمره. ومن حسن حظه أن عني به معلموه ووجهوه وشجعوه على قول الشعر وذكر الشيخ راجح إبراهيم في تصديره «للسعيديات» (ديوان سعيد أبي بكر الجزء الأول ص 12) أن سعيداً كان يضيق بتشطيبات معلمه لمواضيعه الإنشائية فتوصل إلى جبر المعلم على عدم مس إنشائه بالتجائه إلى الشعر في كتابة الموضوع. قال الشيخ راجح إبراهيم: «ونذكر... على سبيل الفكاهة أن معلماً كان مغرماً بالتنقيح والتشطيب والزيادة والنقص في مواضيع الإنشاء التي يحررها تلاميذه، وقد كان سعيد يجهد نفسه في كتابة الموضوع بصورة كان يتحققها تقنع المعلم ولا تحوجه لا لتنقيح ولا لتشطيب ولكن بدون جدوى وأخيراً توصل سعيد إلى أن أجبر معلمه على عدم مس كتابته بطريقة شيطانية لم تكلفه إلا كتابة الموضوع قصيدة شعرية لم يجد المعلم إلى نفسه حقاً في مسها خوفاً من الإخلال بالوزن والقافية.

وذكر الشيخ راجح إبراهيم أنه صاغ الشعر ولم يتجاوز العاشرة «وكذلك إن بعض أناشيده في هذا السن ارتضاها أساتيذه وجعلوها أناشيد مدرسية لا تزال حتى اليوم تنشد بمدرسة المكنين تذكاراً لطيفاً لهذا النبوغ».

يقول الشعر ويكتبه في كل مكان، في الموضع الخالي أو المحل العمومي، ويكتبه في كل وقت لا فرق عنده بين الصباح والمساء. وإذا استعصت عليه قريحته في بعض الأحيان فيكفيه لإخضاعها أن يبدل قلمه أو كرسيه وأن يقوم ويخطو بعض الخطوات ويعود إلى مكانه.

ولم يتجاوز مرحلة التعليم الابتدائي ولكنه كان شغوفاً بالمطالعة يطالع الجرائد التونسية والشرقية التي تصله أو تصل إلى ثلة من أعيان بلدته المثقفين. وفيها قرأ أشعار صبري، وشوقي وحافظ، وخليل مطران، والرصافي، وعريضة، وشكيب أرسلان، والخوري، والزركلي، والكاظمي، والشبيبي وغيرهم من شعراء وأدباء الإصلاح في الشرق العربي وفي تونس. وهذه المطالعات ألهمت قريحته فكتب العديد من المقالات ونظم ديوانه «الزهرات» ولعل مطالعته لم تتجاوز الجرائد ولم يكرع من مناهل الأدب العربي، ولذلك كانت لغته يشوبها الضعف.

وله قصيدة بعنوان: «أيها الشعراء إلى نهضة الشعب قبل مماته» انتقد فيها القوالب الجامدة في التعبير والأغراض التقليدية من مدح ورثاء وغزل.

وهو أديب ثائر مجدد، قال الأستاذ أحمد خالد عنه: من مظاهر نزعته الثورية الأدبيّة أنه من القائلين بحل قيود الشعر وإدخال أوزان جديدة عليه. وهو أول شاعر تونسي تجاسر ونظّم من الأوزان الجديدة التي ابتكرها شعراء المهجر ومن الأوزان التي ابتكرها لنفسه وأصبح له فضل ابتداعها عند محبذي طريقته، غير مبال بالانتقاد الذي كان يوجهه إليه أناس كثيرون في بادئ الأمر، ولكن ما لبث أن اقتدى به بعض الشعراء العصريين وأصبحنا نرى من حين لآخر على صفحات جرائدنا من الشعر الجديد.

وسعيد لم يكن من أسرة ثرية، ولعل هذا مما عاقه عن مواصلة تعلمه الثانوي بسوسة أو بتونس وخرج من بلدته يبحث عن لقمة العيش فعمل كاتباً بمكتب الشيخ راجح إبراهيم الوكيل[1] (بمثابة المحامي الآن) بسوسة وكان أحد أعلام الحركة الإصلاحية في مطلع هذا القرن بتونس ومنتمياً إلى الحزب الدستوري القديم وكان مكتبه منتدى يلتقي فيه الأدباء والمثقفون

---

1) الشيخ راجح إبراهيم كان وكيلاً فقط لا وكيلاً شرعياً كما وهم الأستاذان أحمد خالد والحبيب الشاوش والوكيل من كان حاملاً لشهادة الحقوق التونسية ويرافع في المحاكم الشرعية والمحاكم العدلية (المدنية) التونسية ولا يرافع في المحاكم الفرنسية بخلاف من يحمل لقب محام وهو الحامل لشهادة الإجازة في الحقوق من الجامعات الفرنسية والجامعة الجزائرية، والوكيل الشرعي لا يشترط فيه إلا إحسان القراءة والكتابة ولا يرافع إلا في المحاكم الشرعية، وإن كان في بداية إحداث هذه الخطة يرافع حتى في المحاكم العدلية ولما تكاثر عدد الحاملين لشهادة الحقوق التونسية ونظمت مهنة الوكالة ألزموا بالاقتصار على المرافعة في المحاكم الشرعية، وبعد الاستقلال وتوحيد القضاء الحق الوكلاء بسلك المحامين وانحلت الوكالة الشرعية.

والمشتغلون بالسياسة والمهتمون بالإصلاح والصحفيون بالساحل ليستعرضوا ألواناً من الأدب ويخوضوا في شتى المواضيع التي كانت تشغل بال المثقفين الأيقاظ زمنئذ.

وهذا الاحتكاك الأول بالشيخ راجح إبراهيم وجماعته مكّن المترجم له من اكتساب ثقافة وخبرة بالأمور السياسية والاجتماعية ووجّهه إلى الأدب الاجتماعي والإصلاحي والسياسي وآنذاك بدأ ينشر قصائده السياسية والاجتماعية في جريدة «صدى الساحل» للحاج إسماعيل ابن حميدة منذ سنة 1921 ثم راسل الصحف التونسية الصادرة بالعاصمة «كالنديم» و «الصواب» و «الوزير» و «النهضة» و «لسان العشب» و «مرشد الأمة» وهذه الجرائد كلها وطنية تنطق بلسان الحزب الدستوري القديم، عدا جريدة «النهضة» التي كانت لسان حال «الحزب الإصلاحي» وربما يكون سعيد يتلقى التوجيه المباشر من الشيخ راجح إبراهيم، فالصحف الشرقية والمجلات تصل مكتبه ولكثرتها كان يستعين بكتّابه لقراءتها له. وهو لا يغفل عن توجيه القارئ وإرشاده إذا أخطأ في القراءة. فقد عرفت رجلاً من أكودة (بلدة الشيخ راجح إبراهيم) عمل في مكتبه، وكان يقرأ له الصحف والمجلات، وكان يصوّب له أخطاءه عند القراءة حتى استقام لسانه وأصبح لا يخطئ وإذا سئل لماذا قرأ هكذا؟ قال: بالسليقة، وأنا لا أحسن النحو، وكان ينظم المقطوعات الشعرية الجيدة، وأصل تعليم هذا الرجل في الكتّاب. وإذا كان هكذا فبالأحرى أن يستفيد منه سعيد استفادة أوسع.

ثم انتقل إلى تونس العاصمة واستقر بها إلى أن توفي في 29 جانفي سنة 1948 وعمل في مكاتب المحامين، ولم ينقطع عن قرض الشعر والعمل في الحقل الصحافي والحزبي.

وكان ينشر قصائد ذات طابع اجتماعي وسياسي بعنوان «زهرة بعد زهرة» في جريدة «النديم» لصاحبها الأديب الشاعر حسين الجزيري حتى إذا تجمع له منها عدد وافر نشرها في كتيّب عنوانه «الزهرات» وذلك بعد جفوة حصلت بينه وبين صاحب النديم بعد أن كانا صديقين حميمين وانقطع عن الكتابة في جريدة «النديم».

وأصدر مجلة «العالم» بعد أن تسوغ امتيازها من السيد محمد فخري أستاذ الخط بالمدرسة الخلدونية، وفسخ الامتياز بعد سنة ونصف قبل انتهاء المدة المتفق عليها لخلاف بينه وبين سعيد، ونشر المترجم له طرفاً من الخصومة في المجلة.

وفي سنة 1937 أصدر مجلة شهرية بعنوان «تونس المصورة» واحتجبت عن الظهور بعد شهر نوفمبر 1943 بسبب دخول الجيوش الألمانية إلى البلاد واستأنفت الصدور خلال سنة 1945 بعد جلاء هاته الجيوش.

وقد نشر في الصحافة قصصاً قصيرة في أغراض اجتماعية.

مؤلفاته :

1 - دليل الأندلس أو الأندلس كأنك تراها، هو رحلته إلى اسبانيا وهذا الكتاب يشتمل على مجموعة من الصور الفوتوغرافية أخذت عن قصر ابن عباد باشبيلية ومن الجامع الكبير بقرطبة، وفيه وصف لآثار مدينتي قرطبة واشبيلية وهو في جزءين، طبع الأول منهما في تونس سنة 1933.

2 - الزهرات، ديوان شعر صغير جمعه بعد نشره في جريدة «النديم» بعنوان زهرة بعد زهرة قال في المقدمة : «لقد بذلنا مجهوداتنا وجعلنا هذه المجموعة عبارة عن «كشكول» يجد فيها المطالع شيئاً من كل شيء ضرورة أننا كنا ننتقل فيها بقرائنا من الأدبيات إلى الاجتماعيات ومنها إلى الفكاهات والمداعبات كل ذلك حرصاً منا على ارتياح نفس المتطلع إليه، فإذا هي لم تكن لترتاح إلى ذلك فحسبنا أردنا وحاولنا». ط بتونس سنة 1930.

3 - السعيديّات، ديوان شعر الجزء الأوّل وبقي الجزء الثاني غير مطبوع. قال في مقدمته : «إنّني أتقدم اليوم بالجزء الأول من ديواني إلى أبناء البلاد وأبناء الشرق وأنا حاسب أنني قد بذلت قصارى مجهوداتي في ترضيتهم وفي تقديم كل شيء نفيس عندي.

ولقد رأيت من الأحسن أن أقدمه إلى القراء من غير تبويب خلافاً لما جاءت به الدواوين التي جرت عادة أصحابها أن يقدموها حسب حروف الهجاء أو حسب أبواب الشعر، أو حسب تاريخ الحوادث، أما أنا فقد جعلته شبه كشكول لأني لم أنظّم شيئاً في كثير من الأبواب التي اعتاد الشعراء أن ينظّموا فيها مثل المديح والهجاء، والفخر، والرثاء، والغزل، وغير ذلك، بل إن جميع قصائدي يمكن أن تكون في باب واحد ليس إلاّ. هذا وقد أبقيت القصائد التاريخية المشتملة على تفصيل حوادث دخلت في التاريخ سواء مما وقفت عليه في الكتب أو مما حضرت عليه بنفسي، وقد عوّلت على إثباتها في الجزء الثاني من «السعيديات» التي سأشرع في طبعها بحول الله في العام المقبل».

وهو يشتمل على قصائده الاجتماعية والوطنية، وعلى مقدمة الشيخ الأستاذ راجح إبراهيم وقد أهداه «إلى كل امرأة شرقية تقوم بواجبها في بيتها بين أبنائها، وإلى كل أستاذ شرقي يقوم بواجبه في قسمه بين تلاميذه وإلى كل فتى وفتاة خرجا من حضن أمهما إلى حضن المدرسة القومية ليخرجا منها عارفين قيمتهما ومقدرين حقوق البلاد عليها...».

ط. بتونس 1927 في 110 من القطع المتوسط.

4 - مؤتمر قصر هلال، أصله فصول وصفية نشرها بجريدة «النهضة» عن مؤتمر قصر هلال المنعقد في 2 مارس 1934 وأمضى هذه الفصول باسم مستعار «دستوري محايد» خوفاً من اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري القديم التي كان منتمياً إليها.

وقد أعاد طبعها في كتيّب سنة 1936 ونشرها من جديد سنة 1967 الأستاذ محمد الصياح المدير السابق للحزب الاشتراكي الدستوري بعنوان «مؤتمر البعث» وصدّره بمقدمة عن حياة الكاتب.

وله آثار أخرى مبعثرة في الصحف، حبذا لو تتوفر الهمم لجمعها في كتاب بعنوان: «مقالات سعيد أبي بكر» أو نحو هذا، منها ارتسامات عن رحلته إلى الجزائر نشرها في جريدة «لسان الشعب» بين سنتي 1927 و 1929 في حلقات متسلسلة بعنوان «عشرون يوماً في عمالة قسنطينة» وفيها وصف للأماكن التي زارها.

المراجع:

- أدباء تونسيون ص 28-45.
- الأعلام 145/3.
- الأدب التونسي في القرن الرابع عشر 95/1-128.
- شخصيات وتيارات لأحمد خالد (ط/2 تونس 1976) ص 65-97.
- مجمل تاريخ الأدب التونسي 316-321.
- معجم المؤلفين 4-221.
- بروكلمان الملحق 499/3.
- الحبيب الشاوش: سعيد أبو بكر الرجل والشاعر الثوري، جريدة «بلادي» جانفي 1979.
- زين العابدين السنوسي: مجلة «الندوة» ماي 1953.

* * *

49 – البكري (نحو 380 هـ) (990 م)

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكري الصقلي ثم القيرواني، الفقيه الصوفي.

سمع بالقيروان من علي بن محمد بن مسرور الدباغ، وحبيب بن نصر الجزري وأبي العرب محمد بن أحمد التميمي، وزياد بن يونس اليحصبي، وأبي إسحاق السبائي وآخرين.

ورحل إلى المشرق فلقي أبا عبد الله محمد بن إبراهيم البلخي، وأبا الحسن علي بن أحمد بن زكرياء الهاشمي، وعلي بن الحسين بن بندار وأبا بكر عيسى بن موسى بن هارون الحاتمي، وسمع بمكة من أبي بكر محمد بن الحسين الآجرّي سنة 970/350.

مؤلفاته :

1 - الأنوار في علم الأسرار ومقامات الأبرار، في التصوف، قال الدباغ في «معالم الإيمان» أتى فيه بأنوار المعارف، وأسرار التصوف، ما أربى فيه على غيره وفيه المعاني الجليلة بأبدع عبارة وألطف إشارة وبنى قواعد التصوف على الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الأول، وترك الآراء والاستحسان.

وما قاله الدباغ من انبناء قواعد التصوف في كتاب «الأنوار» على الكتاب والسنة الخ . . . يؤيده في جملته الباحث الكبير الدكتور إحسان عباس، صانه الله.

ولاحظ الدكتور إحسان عباس: وفي تصوف الشيخ البكري الصقلي إلى جانب الروح الفقهية تمسك شديد بمذهب أهل السنة وليس في كتابه إشارة واحدة لأهل البيت أو لعلي بن أبي طالب.

وقال في وصف الكتاب ومكان وجوده «وكتاب الأنوار في ستة أجزاء ولكن ليس للجزء الواحد منها موضوع مستقل، فكل جزء مشتمل على أقوال متفرقة لا تجمعها وحدة موضوعية.

يوجد ضمن مجموعة مخطوطة رقم 23 تصوف بدار الكتب المصرية ومعه أيضاً كتاب الدلالة على الله تعالى للمؤلف نفسه.

2 - كتاب فيه الدلالة على الله تعالى توجد منه قطعة ضمن المجموع السالف الذكر. وهذه القطعة تشتمل على كثير من الحكايات المروية عن الصوفية وكراماتهم وكثيراً منها مما سمعه عن شيوخه وفيها أقوال لمشاهير الصوفية كبهلول، وبشر بن الحارث، وابراهيم بن أدهم، وسفينان بن عيينة، وحكايات عن الخضر وشعيب.

3 - الشرح والبيان لما أغفل من كلام سهل بن عبد الله التستري.

4 - صفة الأولياء ومراتب أحوال الأصفياء.

5 - كرامات الأولياء والمطيعين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

وكان ابن أبي زيد القيرواني كثيراً ما ينكر عليه كرامات الأولياء من قلب الأعيان وادعاء رؤية الله في اليقظة، وألّف كتاباً يقتضي إنكار الكرامات وإنكار الرؤية، فأنكر عليه ذلك علماء عصره، وأرسلوا سؤالاً إلى بغداد أوصلوه إلى القاضي أبي بكر بن الطيّب الباقلاني، فأجابهم بجواز ذلك وألّف كتاباً في جواز الكرامات.

المصادر والمراجع :

- شجرة النور الزكية 198.

- العرب في صقلية الدكتور إحسان عباس (ط. دار المعارف بمصر 1959) ص 115-119.
- معالم الإيمان 181/3-183.
- معجم المؤلفين 181/5.
- هدية العارفين 514/1.
- الأعلام 335/3 (ط/5).
- إيضاح المكنون 476/1.

* * *

50 - البكري (كان حياً سنة 1037[1] هـ) (1628 م)

محمد تاج العارفين بن أبي بكر بن أحمد البكري العثماني من سلالة سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وجدّ البكريين الذين ينتسبون إليه هو الشيخ أبو بكر دفين المنيهلة من غابة تونس.

والشيخ تاج العارفين هو أول من تولى الإمامة بجامع الزيتونة من بيت البكريين واستمرت الإمامة وراثية في هذا البيت مدة 173 سنة.

وكانت ولايته الإمامة في سنة 1624/1034 أو في السنة التي بعدها.

قرأ على الشيخ أبي يحيى بن قاسم الرصاع وهو الذي أشار إلى توليته الإمامة بجامع الزيتونة، وقرأ على غيره. وأخذ عنه ابنه أبو بكر ومحمد بن فتاتة، ومحمد الحجيج، وعيسى الثعالبي الجزائري ثم المكي.

وكان يقرئ بجامع الزيتونة صحيح البخاري ودروساً أخرى في علوم الدين.

قال ابن أبي دينار في «المؤنس» واصفاً انفراده بالرواية والدراية في علم الحديث في العصر التركي، ومجلس درسه في البخاري: «ولم يكن بالديار التونسية يوم حل بها العسكر العثماني من يتعاطى الرواية والدراية إلا الشيخ العلم الرباني أبو عبد الله محمد تاج العارفين العثماني - سقى الله ثراه بالرحمة والرضوان - وكان مجلسه بالجامع الأعظم من أجل المجالس ويحضره الأجلاء من أهل العلم وتدور بينهم المباحث الجميلة ولا يخلو مجلسه من فوائد في

1) الذين ترجموا له لم يذكروا تاريخ وفاته وهذا يدل على انحطاط الحركة العلمية في عصره وعدم وجود من له عناية بالتاريخ وغاية ما علم من جزئيات حياته أنه كان حياً عام السطارة، وقد يكون عاش زمناً بعدها فإن صديقه عبد الكريم بن الفكون توفي بعد هذا التاريخ بزمان، ولكن ليس هناك أية وثيقة تثبت حياته بعد واقعة السطارة فيبطل بالضرورة كل استنتاج أو استنباط لا مستند له إلا التخمين.

الثلاثة أشهر : رجب وشعبان ورمضان إلى يوم الختم وهو يوم السادس والعشرين رمضان» .

وتزوج بنت الشيخ الصالح الصوفي الثري أبي الغيث القشاش قال ابن أبي الضياف : «ومنه أنجر عليهم غالب الأملاك التي بأيديهم» .

وجرى بينه وبين صديقه عبد الكريم بن الفكون[1] القسنطيني مراسلات[2].

ولما وقعت الحرب بين تونس والجزائر من أجل الخلاف حول الحدود المقررة بينهما منذ سنة 1614/1023 في واقعة السطارة[3] - ويقال الستارة - هو اسم مكان قرب الكاف من التراب التونسي وذلك في 11 رمضان 17/1037 ماي 1628 على عهد يوسف داي[4] والي تونس وحسين باشا والي الجزائر . وتشكل وفد خرج من تونس يتركب من المترجم له ، والشيخ مصطفى شيخ الأندلس ، والشيخ إبراهيم الجديدي الغرياني القيرواني ، والشيخ عبد النبي خطيب جامع القصر ومن معهم ، لعقد الصلح وتعيين الحدود فكان الحد بين الولايتين وادي سرّاط بحيث أن غربيه للجزائر وشرقية لتونس ، وكتب رسم التحديد بشهادة المفتي المالكي الشيخ قاسم البرشكي ، والشيخ محمد بن أبي الربيع الحنفي ، ورمضان أفندي خطيب الجامع اليوسفي بتونس ، وعلي آغة الجزائر ورجع المترجم له بعد تمام الصلح وإقرار الهدنة .

له : «إعمال النظر الفكري في تحرير الصاع النبوي التونسي لتؤدى به زكاة الفطر في 21 ورقة من القطع المتوسط بالمكتبة الوطنية .

المصادر والمراجع :

- إتحاف أهل الزمان 67/7.
- برنامج المكتبة العبدلية 275/4.
- شجرة النور الزكية 293-294.

1) بفتح الفاء وتشديد الكاف الفارسية المعقدة ولذلك يكتب أحياناً الفقّون (بالقاف المعقدة) كما هو الشأن في تناوب هذين الحرفين. كان فقيهاً لغوياً صوفياً له فيها تآليف ، توفي سنة 1663/1073.

2) أورد منها رسالة في «مسامرات الظريف» ص 111.

3) كانت بإغراء ثابت بن شنوف المتغلب على بلد الكاف لوالي الجزائر حسين باشا . أنظر إتحاف أهل الزمان 33/2 وتاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن بن محمد الجيلالي (ط الجزائر 1955/1375) 371/2-372، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس لابن أبي دينار (ط 3) ص 208، نزهة الأنظار 38/2.

4) الجولة الأولى انتصر فيها الجيش التونسي على الجيش الجزائري حتى إن هذا الأخير طلب الصلح ثم دارت الأحوال وانقلب النصر إلى هزيمة ساحقة بسبب وجود الإعراب في الجيش التونسي وهم يعرفون الفوضى ولا يعرفون الانضباط ، وغنم الجيش الجزائري من الجيش التونسي 22 مدفعاً عندئذ تذكر يوسف داي مسألة حقن الدماء وبادر إلى طلب الصلح ، أما في أول الأمر عندما انتصر فلم يحفل بحقن الدماء وسد أذنيه عن طلب الصلح .

- مسامرات الظريف بحسن التعريف لمحمد السنوسي 110-114.
- المؤنس 317.
- الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي 303-304.
- المؤرخون التونسيون (بالفرنسية) 39-40.

* * *

51 - البلهوان (1326 - 1377 هـ) (1909 - 1958م)

علي بن عبد العزيز بن علي البلهوان[1] الزعيم والمناضل السياسي والخطيب والكاتب الصحفي المفكر، شخصية من ألمع الشخصيات التونسية سياسياً وفكرياً في العصر الحديث، ذات مواهب خصبة وجوانب متعددة.

كان خطيباً ساحراً يرتجل الخطب الطويلة باللغة الفصحى المبسطة التي لا تعلو عن أذهان الجماهير بدون أن يتلعثم أو يكرر المعاني بألفاظ مختلفة، في لهجة حماسية مؤثرة ونبرة قوية تمتلك القلوب. وهو كاتب مشرق الأسلوب، قوي البيان لا يميل إلى الاستطراد، منتظم التفكير وهو محاضر بارع يتحدث في المشاكل الفسلفية، يشد إليه الانتباه بغزارة معارفه وسعة إطلاعه ولا يغفل عن التلميح إلى مظالم الاستعمار ومساوئه وصمود الحركة الوطنية في نضالها، ودأبها في فضح ألاعيبه ودسائسه، وهو في خطبه صاحب شجاعة أدبية لا يرهب ولا يستخذي بل يرسل كلماته مجلجلة مدوية، غير هياب ولا وجل ولو في الظروف العصيبة الحرجة.

ولد بتونس في 13 أفريل وتلقّى تعليمه في الكتاب حيث حفظ القرآن وأخذ مبادئ الكتابة وفي سنة 1917/1334 التحق بمدرسة خير الدين الابتدائية ومكث بها سبع سنوات خرج منها على أثرها محرزاً على الشهادة الابتدائية، ثم دخل المدرسة الصادقية في أكتوبر 1924 ولبث بها سبع سنوات إلى أن خرج محرزاً على شهادة الديبلوم في عام 1931/1350 ثم سافر إلى باريس لمواصلة دراسته فالتحق بكلية الآداب بجامعة السربون وتابع دراسة الآداب العربية والفلسفية بداية من سنة 1932 وتخرّج منها محرزاً على الإجازة وفي مدة إقامته بباريس كان نشاطه موزعاً بين الإقبال على الدراسة والنشاط السياسي، فقد انخرط في منظمة نجم الشمال الأفريقي، وقدّم لها خدمات جلّى، وعمل في جمعية طلبة شمال أفريقيا ومعنى هذا أنه كان منذ تلك الفترة مؤمناً بوحدة أقطار المغرب العربي، وأن لها مصيراً واحداً رغماً عن سياسة الاستعمار في تجزئتها وأمله في البقاء في هذه الأقطار.

1) ينحدر من أسرة تركية الأصل، والبلهوان كلمة تركية معناها المصارع.

وبعد تخرجه رجع إلى مسقط رأسه، وعيّن أستاذاً بالمدرسة الصادقية في سنة 1935 فبث روحاً جديدة في تلاميذه قوامها الفكرة الوطنية الصادقة، والاعتزاز بالشخصية القومية، ومقاومة مكائد الاستعمار ودسائسه.

وخشي الاستعمار من سريان هذه الروح الجديدة في أوساط الطلبة، فسلط عليهم العقوبات الصارمة ومنها الطرد النهائي، ورأى الاستعمار في هذا الأستاذ الجديد خطراً على سياسته فأقصاه الكاتب العام للحكومة كاترون عن وظيفته في 15 مارس (أ) 1938 بدعوى أنه قام بجولات دعائية لفائدة الحركة الوطنية، فما استخذى ولا استسلم، ووالى نشاطه في الحزب الحر الدستوري الجديد.

وكان لقرار الفصل رد فعل في كل الأوساط الشعبية فأضرب طلبة الصادقية وجامع الزيتونة وطلبة المدارس الأخرى، وتأسست في تونس «لجنة الاتحاد الزيتوني المدرسي» للعمل على تنسيق نضال الطلبة إلى جانب الحزب، وعقدت اجتماعها الأول بنادي الحزب في اليوم الثاني من أفريل 1938 وحضره زهاء ثلاثة آلاف طالب.

وشارك المترجم له في مؤتمر الحزب المنعقد في 30 أكتوبر – 2 نوفمبر 1937 وكان انضمامه إلى الحركة الدستورية عام 1936.

وكان انعقاد هذا المؤتمر من أجل تغيير الحكومة الفرنسية (الجبهة الشعبية) التي وعدت بإدخال إصلاحات جوهرية على أجهزة الحكم بتونس، ورأى الاستعماريون الفرنسيون بتونس أن هذا الوعد لا يتفق مع مصالحهم فسعوا إلى نشر الفوضى والاضطراب، فأطلق البوليس النار على العملة المضربين في المتلوي في 8 مارس 1937 فأردى منهم 19 قتيلاً وجرح الكثير منهم ونتيجة لذلك غيّرت الحكومة الفرنسية سياستها وعدلت عن تنفيذ الإصلاحات التي وعدت بها.

وقرّر الاستعمار الفرنسي مصادمة الحركة الوطنية وإلقاء القبض على رجالها، وفي هذا الجو من الفزع والرعب وقعت مظاهرة شعبية أمام القصر الملكي بحمام الأنف في 7 أفريل 1938 وهتف المتظاهرون بحياة تونس واستقلالها.

وقاد المترجم له مظاهرة كبرى سارت من ساحة الحلفاوين والتقت في باب البحر بالمظاهرة الثانية التي قادها الزعيم المنجي سليم والتي انطلقت من معقل الزعيم، وكانت الجماهير تنادي ببلمان تونسي، وكانت ساحة الإقامة العامة (السفارة الفرنسية) مطوقة بالجيش والدبابات والسيارات المصفحة وفي هذا الجو المكهرب اعتلى المترجم له أكتاف الشبان والعلم التونسي يرفرف إلى جانبه وارتجل خطاباً ثورياً حماسياً رائعاً من أهم ما جاء فيه: «جئنا في هذا اليوم لإظهار قوانا أمام هذا العاجز (يقصد المقيم العام أرمان قيون) الذي لا يقدر أن يدبّر شؤونه بنفسه ويتنازل عنها إلى «كاترون» (أي الكاتب العام للحكومة) ذلك الغادر الذي لا يزال يكيد للتونسيين، ويريد سحقهم في هذه البلاد لا قدّر الله».

ولم تكن هذه المظاهرة وذلك الخطاب الناري يمران بدون رد فعل عنيف من السلطة الاستعمارية، فألقت القبض على المترجم له في 9 أفريل وسرى الخبر في العاصمة سريان البرق وتجمع المتظاهرون أمام المحكمة الفرنسية للسؤال عن مصير هذا الزعيم الشجاع، وبادر البوليس إلى تفريق جموع المتظاهرين ضرباً بالعصي وإطلاق الرصاص، كما خرج الجيش من ثكنة القصبة وجال في شوارع باب المنارة وباب البنات وباب السويقة وفي حركة جنونية ألقى القبض على المارة، وأطلق الرصاص فقتل 122 تونسياً وجرح أكثر من ستين، ودامت المعركة نحو ساعتين وزادت شراسة الاستعمار بعد قتل أحد الجندرمة وإحراق عربة ترمواي قرب باب سويقة، وقرر اعتقال قادة الحركة الوطنية بتهمة التآمر على أمن الدولة في فجر 10 أفريل. وكان من بينهم المجاهد الأكبر الحبيب بورقيبة، والحبيب بوقطفة، والبحري قيقة، وصالح بن يوسف، والطاهر صفر، والمنجي سليم، والهادي شاكر.

وفي هذه الفترة سجن المترجم له بتونس ثم نقل إلى تبرسق، ثم نقل في عام 1941 إلى برج سان نيكولا في مرسيليا.

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية وانهزام فرنسا واحتلالها من قبل الجيوش الألمانية وإخضاع بقية ترابها للسيطرة الألمانية مما استثنته الهدنة في أول الأمر أطلق سراحه مع بقية رفاقه من المسجونين السياسيين في أفريل سنة 1943 وعاد إلى وطنه في 18 أفريل وكانت عودة هذا المناضل العنيد لا لينعم بالراحة بل ليواصل العمل فأشرف على إعادة تنظيم الحزب وإعادة تكوين إطاراته وتجديد هياكله وعقد الاجتماعات الدورية في المدن والقرى وألقى المحاضرات ذات الصبغة الفلسفية والأدبية على الطلبة في جمعية قدماء الصادقية والمدرسة الخلدونية، وفي السنة الدراسية 1945-1946 حضرت محاضراته في علم النفس وتاريخ الفلسفة الإسلامية في الخلدونية فأعجبت بحسن بيانه وغزارة اطلاعه وحيوية أسلوبه، وكانت لا تعن فرصة للحديث عن الحركة الوطنية إلا اهتبلها واستخلص العبرة واستنبط النتائج.

وفي أكتوبر 1948 انتخب عضواً في الديوان السياسي على أثر انعقاد المؤتمر المعروف بمؤتمر دار سليم وبعد انتخابه بذل نشاطاً سياسياً كبيراً قصد بعث الوعي القومي وتنظيم الحركة الوطنية وكتب في الصحف المنتمية إلى الحزب ولم تنم عين الاستعمار عن نشاطه فمنعه من إلقاء محاضرة تحت إشراف جمعية الاتحاد الصفاقسي الزيتوني بتونس.

وبعد سنوات قليلة ازداد تصلب الاستعمار وتعنته وقرر الحزب إرساله إلى المشرق العربي يوم 14 سبتمبر 1951 للتعريف بالقضية التونسية وبجهاد الحزب ونشاطه فتوجه إلى القاهرة واتصل فيها بالجامعة العربية، وبيّن لدى مسؤوليها موقف تونس من فرنسا، وكتب في الصحف وعقد الندوات والمحاضرات، وتكلم في الإذاعات باسطاً للقضية التونسية ولسياسة فرنسا الاستعمارية، ثم سافر إلى العراق سنة 1952 أثناء قيام الثورة في تونس ولبث فيه أكثر من عام، وقام بنشاط كبير على غرار ما قام به في مصر، وعيّن أستاذاً محاضراً في جامعة بغداد.

وعاد إلى القاهرة في حدود سنة 1953 وعندما أعلنت فرنسا استقلال تونس الداخلي على لسان رئيس الحكومة منداس فرانس في جوان 1954 وتألفت الوزارة التفاوضية في أوت 1954 وفي أثناء المفاوضات رجع إلى وطنه ليواصل مسيرة الكفاح من جديد فأشرف على العديد من اللقاءات وتم اختياره في شتاء عام 1955 كاتباً عاماً للجنة «التعاضد القومي» وساهم في إنجاح مؤتمر صفاقس المنعقد أيام 15-18 نوفمبر 1955 وتراس مصلحة النهوض الاجتماعي بالحزب إثر توقيع وثيقة الاستقلال التام (20 مارس 1956) وانتخب عضواً في المجلس التأسيسي نائباً عن جهة سبيطلة، ثم انتخب أميناً عاماً له، ثم مقرراً عامًا لمشروع الدستور وعندما ألغيت الملكية وأعلنت الجمهورية في 25 جويلية 1957 عيّن المجلس التأسيسي وفداً لإبلاغ آخر بايات تونس (محمد الأمين) قرار إعلان النظام الجمهوري، وهذا الوفد يتركب من السادة: أحمد المستيري، وأحمد الزاوش، وإدريس قيقة (وزير الداخلية الآن) والطيّب المهيري، وصاحب الترجمة.

وكان ضمن الوفد التونسي للأمم المتحدة عام 1956 وترأس وفد تونس إلى المؤتمر الأفريقي الآسيوي في ديسمبر 1957، ووفد العلماء في ندوة لاهور للشعوب الإسلامية.

وفي سنة 1957 انتخب رئيساً لبلدية العاصمة، وعيّن ضمن الوفد الرسمي الممثّل لتونس في مؤتمر طنجة المنعقد في 27-29 أفريل 1958 واختير ليكون ضمن النواب الجزائريين والمغاربة الذين كلفوا بإبلاغ قادة المغرب العربي نتائج المؤتمر ومقرراته، وكاد ينهي هذه المهمة مع بقية أفراد اللجنة في 11 مارس 1958 ولكن الموت الفجائي قضى عليه قبل ذلك بيومين إذ فارق الحياة في 20 شوّال 9/1377 مارس 1958 في الساعة الرابعة والربع مساءً على أثر سكتة قلبية وهكذا انطفأت شعلة من الحماس المتأجج والعمل الدائب المتواصل والفكر النيّر الحر.

مؤلفاته:

1 - الاقتصاد التونسي (مخطوط) درس فيه مشاكل الاقتصاد بالبلاد وقضية تزايد السكان وبسط نظرياته في خصوص الأراضي المهملة، وقلة الأمطار وندرة المياه في الجنوب.

2 - تصميم العاصمة (مخطوط) ألّفه أثناء رئاسته لبلدية العاصمة.

3 - تونس الثائرة - ألّفه بالقاهرة، وطبع في تونس بلا تاريخ، سجّل في هذا الكتاب نضال الشعب التونسي على مر العصور، وبالخصوص الفترة العصيبة التي مرت بها (1949-1954) والكفاح البطولي للشعب في هذه الفترة وسجّل فيه تاريخ الحركة الوطنية وصراعها مع الاستعمار والتجاء الاستعمار في طوره الأخير إلى الاغتيال مثل اغتيال فرحات حشاد والهادي شاكر، والطور الأخير من الكفاح بقيام ثورة 1952.

4 - ثورة الفكر أو مشكلة المعرفة عند الغزالي، مط الإرادة تونس بدون تاريخ، نشر معظم فصوله في مجلة «المباحث»، وحلّل في الكتاب شخصية الغزالي، وأطوار حياته وأبرز

قيمة مؤلفاته ، ودرس آراءه الفلسفية ومنهجه مقارناً بينه وبين بعض فلاسفة الغرب كدافيد هيوم ، وإيمانويل كانت ، وهنري برغسون وغيرهم وأبان في هذا الكتاب عن اضطلاعه في الفلسفة الإسلامية واطلاع واسع على الفلسفة الحديثة وسيطرة فكرية على ما توفر لديه من آراء ومعلومات .

5 – شمال أفريقيا (مخطوط) وهو ترجمة لكتاب المؤرخ الفرنسي شارل اندري جوليان .

6 – مذكرات زعيم ، يشتمل على قسم وافر من مذكرات الزعيم الحبيب بورقيبة التي حررها ما بين سنتي 1940-1941 في سجن نيكولا بمرسيليا ، وكان معتقلاً معه (مخطوط) .

7 – نحن أمة كتيب في 44ص ط تونس بلا تاريخ ، دوّن فيه محاضرة كان ألقاها في نوادي الجمعيات الثقافية والحرب العالمية الثانية على وشك النهاية (1944) وفيه رد على من أنكر وجود أمة تونسية وجحد شخصيتها وتاريخها .

المراجع :

- رشيد الذوادي : علي البلهوان حياته وآثاره ، ط تونس 1974.
- الأعلام 300/4 (ط/4) .
- حياة كفاح لأحمد توفيق المدني (الجزائر) 338/2-339.

* * *

52 – البليّش (1252 هـ) (1837 م)

عبد الله بن عبد اللطيف البلّيش الصنهاجي القيرواني ، نشأ ببلده ، وأخذ عن أعلامها كالشيخ قاسم أبو الأجفان التميمي ، والشيخ محمد بن عبيد الغرياني ، وغيرهما .

توفي في ذي الحجة 1252/ مارس – أفريل 1837.

له نظم سماه : إيقاظ الغافل في تاريخ الأفاضل جمع فيه معالم الإيمان .

المصادر :

- إتحاف أهل الزمان 25/8 (فيه البلش ، وهو تحريف . وهو لقب أسرة موجودة إلى الآن بالقيروان) .
- تكميل الصلحاء والأعيان 195-198.

* * *

53 – البلّيّش (1317 - 1384 هـ) (1899 - 1964 م)

محمد الصادق ابن الشيخ محمد بن الشيخ حمودة البلّيش الصنهاجي القيرواني، الفقيه من أعلام المذهب الحنفي، والخطيب المفوّه.

نشأ في بيت علم وتقوى. قرأ القرآن العظيم وأخذ مبادئ العلوم على المشايخ: البشير غانم، ومحمد الأسود الفهيم، ومحمد شويشة، ومحمد فلح.

وفي عام 1913 التحق بجامع الزيتونة، وأخذ عن أعلامه كبلحسن النجار، والشقيقين إبراهيم والبشير النيفر، ومحمد العزيز جعيط، ومحمد النخلي القيرواني، ومحمد الصادق النيفر ومحمد بن يوسف شيخ الإسلام الحنفي، وأحرز على شهادة التطويع سنة 1917 وتابع دروس المرتبة العليا بجامع الزيتونة وأقرأ دروساً من سنة 1918 إلى سنة 1921.

انتدبه القاضي الحنفي بتونس الشيخ محمد رضوان السوسي لكتابته الخاصة بالديوان الشرعي وعهد إليه بتحرير الرسائل والأذون الشرعية الهامة وإعداد مسودات الأحكام، وتمثيله في المقابلات الوزيرية والإدارية بداية من شهر ماي 1921.

وفي عام 1926 نجح في مناظرة كتبة رسميين فتحتها وزارة العدلية وتولى كتابة الدائرة الثالثة ثم الدائرة الرابعة، واعتمده وزراء العدلية في إعداد معروضات الترجيح بين آراء شيوخ المجلس الشرعي الحنفي فيما يكون محل خلاف بينهم، ويصدر بشأنه معروض ملكي، ولهذا أسندت إليه رئاسة الدائرة الرابعة على إثر وفاة الشيخ محمد بوشارب الهلالي (من بلدة قصر هلال) آخر سنة 1940.

وفي خلال سنة 1941 رقّي إلى رتبة مفت حنفي بالقيروان مع استمرار تكليفه بالدائرة الرابعة. وفي سنة 1951 أعفي – وهو بالأراضي المقدسة – من رئاسة الدائرة الرابعة، وكلف بالقضاء الحنفي لفصل القضايا المنشورة بدائرة قضاء القيروان.

وحوالى سنة 1950 تولى تحرير محضر جلسات المجلة الشرعية بوصفه كاتباً للجنة المجلة التي عملت طويلاً برئاسة الشيخ محمد العزيز جعيط.

وفي سنة 1956 أحيل على التقاعد فتفرّغ للإمامة والخطابة بجامع محمد أبي الخيرات الحنفي بالقيروان، وقراءة الصحيحين في مقام أبي زمعة البلوي.

كان يستظهر جميع مسائل الفتاوى الهندية، والفتاوى الخانية، والكنز، والبحر، ويعرف مسائل الخلاف والوفاق بين أبي حنيفة وأبي يوسف.

قام بثلاث رحلات إلى مصر، وسوريا، ولبنان، والمسجد الأقصى، والحرمين الشريفين خلال أعوام 1951، 1954، 1964 وفي كل مرة يقيم بالمدينة المنورة شهرين يختم القرآن في

كل يوم، ويختم الصحيحين في الروضة النبوية، وفي موسم عام 1964 خارت قواه الصحية فسقط في المطاف قبل أن يتم أشواطه، وتوفي وهو محرم، ونقل جثمانه إلى القيروان حيث دفن بالمقبرة الصنهاجية بالجناح القبلي من مقابر قريش إلى جانب المرهف بن تميم بن المعز بن باديس ضمن قبور أسلافه، وذلك يوم الأحد موفى جمادى الأولى 4/1384 أكتوبر 1964.

مؤلفاته:

1 - ابتهالات وأدعية وفضل ختم القرآن والحديث في جزءين كل واحد منهما في أكثر من 100ص.

2 - جمع الأحاديث المفردة الواردة في صحيح البخاري وتعليق على الأحاديث المكررة.

3 - خطب منبرية تعتبر من أشمل الخطب وأبلغها وأجمعها لأصول الأخلاق الإسلامية والهدي المحمدي ومعالجة الأمراض الاجتماعية.

4 - دروس إنشائية ومنتخبات أدبية ط تونس، قال عنه الشيخ محمد الفاضل بن عاشور: «وكتاب الشيخ الصادق البليش «القواعد الإنشائية» بما حوى من القواعد والتوجيهات، وما اشتمل عليه من المثل الأدبية المنتقاة بتقسيمها وتنسيقها والكشف عن مظاهر الجمال البلاغي فيها يعتبر مثالاً للنقد الأدبي والتوجيه البلاغي الذي هو من أخص خصائص النثر العلمي».

5 - مجموعة في التعريف بمعالم ومساجد القيروان، تبنّت ولاية القيروان بعضها وجعلتها في نقائش من الرخام علقت على جدران تلك المعالم.

6 - مجموعة في الصلوات على النبي ﷺ.

7 - مجموعة من الأحكام الشرعية التي أصدرها، مجلدان.

8 - مختصر في مسائل الأقضية طبق المذهب الحنفي.

9 - مناسك الحج على مقتضى المذهب الحنفي في نحو 100 ص.

المراجع:

- الحركة الأدبية والفكرية في تونس ص137.
- محمود الباجي: جريدة «الصباح» 22 رجب 1384، 13 ديسمبر 1964 السنة 14 العدد 3794.

* * *

54 – ابن بلّيمة (427 أو 428 - 514هـ) (1036 أو 1037 - 1120 م)

الحسن بن خلف بن عبد الله بن بلّيمة (بفتح الباء الموحدة في أوله وتشديد اللام المكسورة وبعدها ميم مفتوحة وهاء آخر الحروف) الهواري المالكي القيرواني، أبو علي، نزيل الإسكندرية، العالم بالقراءات.

عني بالقراءات فقرأ بالقيروان على أبي بكر القصري إمام جامع القيروان، والحسن بن علي الجلولي، وعبد الحق الجلاء وأبي العالية البندوني، وعثمان بن بلال الزاهد، وعبد الملك ابن داود القسطلاني، وأحمد الحجري، ومحمد بن أبي الحسن الصقلي يعرف بابن بنت العروق، وعبد المجيد بن عبد القوي، وعبد المعطي الصفاقسي، وأبي إسحاق بن العجمي، وعمر بن أبي الخير الخراز صاحب علي بن أبي طالب صاحب أبي الطيّب بن غلبون، ورحل إلى مكة فقرأ على أبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد الطبري الشافعي، المتوفى سنة 1076/478 وبمصر على محمد بن أحمد بن علي القزويني، وأحمد بن نفيس برواية ورش من طريق الأزرق، ورواية الدوري عن اليزيدي، كما قرأ على عبد الباقي بن فارس.

قرأ عليه أبو العباس بن أحمد بن الحطيئة وعبد العزيز بن خلف الله بن عطية وأبو الحسن محمد بن عبد الرحمان بن عظيمة الأشبيلي، ويحيى بن سعدون القرطبي.

توفي بالإسكندرية في 13 رجب. له تلخيص العبارات بلطيف الإشارات [1].

المصادر والمراجع:

- حسن المحاضرة للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة 1968/1387) 494/1-495.
- شذرات الذهب 41/4.
- العبر 32/4.
- غاية النهاية 211/1.
- كشف الظنون 473-479-573.
- مرآة الجنان لليافعي 210/3.
- معجم المؤلفين 222/3.
- معرفة القرّاء الكبار للذهبي 380-381.
- هدية العارفين 278/1.

* * *

1) كذا في غاية النهاية 456/1 وفي معرفة القراء الكبار «تلخيص العبارات في القراءات» وفي ترجمة شيخه عبد المجيد بن عبد القوي المليجي المصري الضرير أبي محمد «تلخيص العبارة بلطيف الإشارة».

55 - البنّا (1283 هـ) (1866 م)

محمد بن محمد البنّا التونسي، الفقيه.

أخذ عن الشيخ إبراهيم الرياحي، والشيخ حسن الشريف، والشيخ الطاهر بن مسعود وعنه جماعة منهم محمد الحربي المنستيري والطاهر والطيّب ابنا رفيقه الشيخ محمد النيفر وصالح النيفر.

درّس بجامع الزيتونة، وتولى القضاء ثم الإفتاء وإماماً ثانياً بجامع الزيتونة، ويوم ولايته الفتيا تولى قرينه الشيخ محمد النيفر الأكبر خطة القضاء سنة 1843/1262 وذلك بمحضر رئيس المفتيين الشيخ إبراهيم الرياحي الذي قال للمشير أحمد باشا باي: «أصبت في انتخابك لا زلت تصيب، هما خير أقرانهما علماً وديناً».

كان عالماً فقيهاً مطلعاً جيّد الحفظ ثاقب الفهم، عالي الهمة متواضعاً.

توفي يوم الأربعاء 16 محرّم سنة 10/1283 ماي 1866 عن غير عقب.

تآليفه:

1 - ديوان خطب منبرية.

2 - مجموعة من الفتاوى.

المصادر والمراجع:

- إتحاف أهل الزمان 143/8-144.
- شجرة النور الزكية 391-392.

* * *

56 - البنّاني[1] (... 1198 هـ) (... 1784 م)

عبد الرحمن بن جاد الله البنّاني، الفقيه الأصولي.

هجر إلى مصر وجاور الأزهر، وقرأ فيه على أعلام عصره كالمشايخ: علي الصعيدي

1) نسبة إلى بنّان قرية من قرى الساحل التونسي قرب المستير لا إلى بنّانة كما وهم بعضهم.

العدوي ومحمد بن يوسف الحفناوي، ومحمد البليدي، وقرأ الحديث على أحمد الصبّاغ وغيره، ودرّس برواق المغاربة من الجامع الأزهر، وتولى مشيخة هذا الرواق مراراً، وبعد وفاته تولى مشيخته عبد الرحمن بكار الصفاقسي الحنفي الكفيف.

تآليفه:

1 - حاشية على شرح المحلي على جمع الجوامع لتاج الدين السبكي في أصول الفقه، اعتمد فيها حاشية ابن قاسم العبادي، في مجلدين طبعت في مصر مراراً.

2 - حاشية على المقامة التصحيفية للشيخ عبد الله الأدكاوي.

المصادر والمراجع:

- الأعلام 73/4.
- برنامج المكتبة العبدلية 555/1، 16/4.
- شجرة النور الزكية 342.
- عجائب الآثار للجبرتي (ط دار الجيل بيروت) 584/1.
- معجم المطبوعات 591.
- معجم المؤلفين 132/5.
- المكتبة الأزهرية 28/2.
- هدية العارفين 505/1.
- اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة لمحمد البشير ظافر الأزهري (الليبي) (ط. مصر 1324هـ) 197-198.

* * *

57 - البيّاسي (573 - 653 هـ) (1177 - 1255 م)

يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي[1] البلنسي الأندلسي جمال الدين، أبو الحجاج، نزيل تونس. محدث حافظ أديب، شاعر، لغوي، نحوي، راوية، كان يحفظ الحماسة وديوان المتنبي، وديوان أبي تمام، وسقط الزند للمعري، والمعلقات السبع.

---

1) بفتح الباء الموحدة والياء المثناة التحتية المشددة نسبة إلى بيّاسة مدينة كبيرة بالأندلس معدودة من كورجيّان. الروض المعطار للحميري 121-122، المشترك وضعاً المختلف صقعاً لياقوت الحموي ص73، وفيات الأعيان 241/6.

ولد في 14 ربيع الأول سنة 1177/573 وتجوّل في أكثر بلدان الأندلس، ثم استقر بتونس إلى أن توفي في 4 ذي القعدة سنة 653/ فيفري 1255 وقد جاوز الثمانين بيسير.

في «نفح الطيب»: «وكان حافظاً لنكات الأندلسيين حديثاً وقديماً، ذاكراً لفكاهاتهم التي صيرته للملوك خليلاً ونديماً[1]».

وقال عنه ابن سعيد في «اختصار القدح المعلى»: «من أشياخ المؤرخين الأدباء المشهورين بالتصنيف والإقراء، صحبته زماناً بإشبيلية، ثم بالجزيرة الخضراء، ثم حاضرته غير مرة بحضرة تونس – أدام الله لمالكها اتصال الظهور والاعتلاء – وفي جميع ذلك استفدت من فنون آدابه ما لا أنسى ذكره ولا انتقص – متى أخذته الألسن من جهة الأمور الدينية – قدره، فقد كان – سامحه الله – حافظاً لكنت تواريخ الأندلس حديثاً وقديماً، ذاكراً للفكاهات التي صيرته للملوك والكبراء نديماً، إلا أنه بلي بالتقتير على نفسه إلى حين حلول رمسه فكان يجمع ما يحصل له من المرتب وأنواع الإحسان، ولا يخرج من ذلك إلا ما لا بد له منه مما يقيم به أود الإنسان»[2].

مؤلفاته:

1 – الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام، جمعه للأمير أبي زكريا بن عبد الواحد الحفصي ابتدأ فيه بمقتل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وختم بخروج الوليد بن طريف الشاري على هارون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية، فهو عبارة عن تاريخ مطوّل لعصر بني أمية – وأصل الكتاب في مجلدين. قال ابن خلكان: «ورأيت هذا الكتاب فطالعته وهو في مجلدين، أجاد في تصنيفه، وكلامه كلام عارف بهذا الفن».

منه نسخة ناقصة بدار الكتب المصرية بخط قديم برقم 8739.

حقّق الجزء الأول منه عام 1974. شفيق جاسر أحمد محمود، وحصل به على درجة الماجستير من جامعة عين شمس، وحقّق الجزء الثاني رئيس قسم التاريخ بكلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة.

2 – تذكرة الغافل وتنبيه الجاهل، يظهر أنه في حروب المرابطين والموحدين مع الملوك المسيحيين في إسبانيا[3].

3 – كتاب الحماسة، على نسق حماسة أبي تمام، في مجلدين، قال ابن خلكان: «وقد

---

1) نفح الطيب 293.

2) اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلي، اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله خليل والأصل لابن سعيد الأندلسي، تحقيق إبراهيم الأبياري (القاهرة 1959، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية) ص 94.

3) نقل منه ابن خلكان عند ترجمة أبي يوسف يعقوب الموحدي 7/6 وعند ترجمة يوسف بن تاشفين 16/6.

قرئت النسخة عليه، وعليها خطه كتبه في أواخر شهر ربيع الآخر سنة خمسين وستمائة، وقال في آخر كتابه: وكان الفراغ من تأليفه وترتيبه بمدينة تونس - حرسها الله تعالى - في شوّال سنة ست وأربعين وستمائة. ونقلت من أوله - بعد الحمد لله - ما مثاله: «أما بعد فإني كنت في أوان حداثتي وزمان شبيبتي ذا ولوع بالأدب، وصحبة في كلام العرب، ولم أزل متتبعاً لمعانيه ومفتشاً عن قواعده ومبانيه إلى أن حصلت لي جملة منه لا يسع الطالب المجتهد جهلها ولا يصلح بالناظر في هذا ألاّ العلم إلا أن يكون عنده مثلها، وحملتني المحبة في ذلك العلم والولوع به على أن جمعت مما اخترته واستحسنته من أشعار العرب جاهليها ومخضرمها وإسلاميها ومولدها،. ومن أشعار المحدثين من أهل المشرق والأندلس وغيرهم ما تحسن به المحاضرة، وتجمل عليه المناظرة. ثم إني رأيت أن بقاءها دون أن تدخل تحت قانون يجمعها وديوان يؤلفها، مؤذن بذهابها ومؤدّ إلى فسادها، فرأيت أن أضم مختارها، وأجمع مستحسنها تحت أبواب تقيد نافرها، وتضم نادرها، فنظرت في ذلك فلم أجد أقرب تبويباً ولا أحسن ترتيباً، مما بوّبه ورتّبه أبو تمام حبيب بن أوس - رحمه الله تعالى - في كتابه المعروف بكتاب «الحماسة» وحسن الاقتداء به، والتوخي لِمَذهبه لتقدمه في هذه الصناعة، وانفراده منها بأوفر حظ وأنفس بضاعة، فاتبعت في ذلك مذهبه، ونزعت منزعه، وقرنت الشعر بما يجانسه ووصلته بما يناسبه، ونقّحت ذلك واخترته على قدر استطاعتي وبلوغ جهدي وطاقتي[1]».

منه نسخة في غوطا بألمانيا.

4 - تاريخ ذيل به على تاريخ ابن حيان إلى عصره.

5 - جمع للأمير أبي زكريا الحفصي أحاديث كتاب «المستصفى» للغزالي واستخرجها من الأمهات ونبّه على الصحيح منها والسقيم.

6 - شرح رسالة ابن حريق والرسالة في شرح أبيات الجمل لأبي إسحاق الزجاجي، وبيّن غريبها وأمثالها ومشكلها، واستشهد على كل ذلك بأشعار العرب.

توجد ضمن مجموع بالزاوية الحمزية بالمغرب الأقصى يبتدئ الشرح من ص 184 إلى 315 مكتوب بخط أندلسي ~~مليح~~ واضح بتاريخ أواخر رجب 692هـ.

المصادر والمراجع:

- الأعلام 329/9-330.

1) وفيات الأعيان 239/7.

- بغية الوعاة 359/2
- تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان 89/88/3.
- شذرات الذهب 262/5-263.
- دليل مؤرخ المغرب الأقصى لعبد السلام بن سودة المري ص 169.
- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية 119، تعليقات المحققين آخر الكتاب ص 236-237.
- كشف الظنون 126، 394، 962.
- مرآة الجنان 129/4.
- معجم المؤلفين 327/13.
- المغرب لابن سعيد 73/2.
- مكتبة الزاوية الحمزية صفحة من تاريخها لمحمد المنوني ، ص 37.
- نفح الطيب 293/4-294 نشر محمد محي الدين عبد الحميد .
- اختصار القدح المعلى ص 94.
- الروض المعطار 122.
- بروكلمان 346/1-347.
- الملحق 588/1-589.
- إيضاح المكنون 358/1؛ 56/2، 100.
- بلاد البربر الشرقية في عصر الحفصيين (بالفرنسية) 384/2.
- هدية العارفين 554/2

* * *

58 - بيرم الأول (1130 - 1214هـ) (1718 - 1800 م)

محمد بن حسين بن أحمد بن محمد بن حسين بيرام شهر بيرم (وأصل اللفظة من التركية ومعناها العيد) شيخ الإسلام المعروف ببيرم الأول ، قدم جده بيرام إلى تونس صحبة جند سنان باشا لاستنقاذ البلاد من الاحتلال الإسباني ، وطاب له المقام بتونس ، وتزوج من أهلها ، ومن أحفاده المترجم له .

قرأ المغني لابن هشام ، وتسهيل الفوائد لابن مالك وصحيح البخاري على الشيخ علي سويسي ، وعلى أحمد المكودي الفاسي نزيل تونس كتب المنطق بأسرها وروى عنه صحيح البخاري وأجازه بمروياته ، وقرأ على قاسم المحجوب مختصر السعد ومطوله في البلاغة ، وعلى محمد بن عبد العزيز المكودي على الألفية ، والأشموني على الألفية والتصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري الجرجاوي والمحلي على جمع الجوامع في الأصول والشرح المختصر لسعد

الدين التفتازاني على تلخيص الخطيب القزويني في البلاغة، وعصام على الاستعارات بحواشيها، والعقيدة الكبرى للسنوسي بحاشيتي المنجور واليوسي، والفية العراقي في مصطلح الحديث بشرحي مؤلفها والقاضي زكريا الأنصاري. وأخذ ألفقه الحنفي عن حسن البارودي.

وتتلمذ عليه جماعة كحمودة بن محمود، وحمودة باكير، وعلي شندرلي، والمفتي المالكي بالحاضرة محمد المحجوب، وعبد الرحمن الفراتي قاضي صفاقس، والوزير الكاتب الأديب حمودة بن عبد العزيز الذي ترجم له في تاريخه «الباشي» في الجماعة الذين قال فيهم: «لا يشق غبارهم ولا يجارى مضمارهم، وإليهم تضرب أكباد الإبل» وبقوله: «شيخنا المفتي الأكبر أبي عبد الله محمد بن حسين بيرم عالم الحنفية بالمغرب غير مدافع، ومن لم يوجد فيهم مثله منذ زمان شاسع». أقام في الفتوى خمساً وأربعين سنة.

وفي عهد علي باشا الأول انقلبت به الأحوال فدخل السجن، والتجأ بإحدى الزوايا ودرس بالمدرسة العنقية التي توارثها أعقابه، ثم خاف السجن من جديد فانحجز في زاوية سيدي منصور بن جردان حيث استمر على التدريس إلى سقوط دولة علي باشا وقيام دولة أبناء حسين بن علي، وفيها سمي مفتياً حنفياً في سنة 1756/1169 وبعد وفاة شيخه حسن البارودي في 1773/ 1186 قدمه الأمير علي باشا الحسيني لرئاسة فتوى الحنفية في ذي القعدة من تلك السنة.

مات يوم الأربعاء آخر شوال سنة 26/1214 مارس 1800 وله من العمر 84 سنة ودفن بتربته المجاورة لزاوية الشيخ سيدي عبد الرزاق قرب دار الآغة.

مؤلفاته:

ألف عدة تآليف لم يتم منها إلا:

1 - بغية السائل في اختصار أنفع الوسائل. وأنفع الوسائل للطرسوسي في الفقه الحنفي شرع في تأليفه في السنة التي تولى فيها رئاسة الفتوى (1773/1186). قال في مقدمته: «لما رأيت كتاب «أنفع الوسائل» مشتملاً على تحريرات مسائل عديمة النظير غير أنه يميل في تعبيره إلى التطويل عزمت على اختصاره، ثم رأيت أثناء المطالعة أن العلامة عمر بن نجيم قد اختصره وسمى مختصره «إجابة السائل» وكذلك رأيت الفاضل خير الدين الرملي اختصره أيضاً ففتر العزم ثم أن ولدي محمد - حفظه الله - قال لي: إن هذين المختصرين لا وجود لهما بهذه البلاد فاختصرته اختصاراً يعرف فضله من تدبره مراجعاً لأصله فجاء في نحو ثلثي الكتاب مع زيادات من ذكر قيد أو تصحيح مع ذكر ما عليه الفتوى». في 193 ورقة من القطع المتوسط منه نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس.

2 - رسالة في السياسة الشرعية، منها نسخة بالمكتبة الوطنية.

3 – تقريظ على شرح مصطفى الطرودي على الرسالة العبادية في العروض، أورده بنصه شيخ الإسلام محمد بيرم الثاني في شرح منظومته للمفتين على المذهب الحنفي.

4 – رسالة في موضوعات الحديث، مطبوعة.

5 – الشجرة النبوية وتعرف بالحمامات المعدنية وفيها فوائد طبية للنساء والرجال والبنات ط. بمصر.

6 – نبذة في بعض القواعد الشرعية لحفظ الإدارة الكلية. مط. الإعلام القاهرة 1306هـ في 34ص يليها رسالة في موضوعات الحديث، 12ص.

المصادر والمراجع:

- اتحاف أهل الزمان 7/30-35 (استمد الترجمة من تأليف ابنه محمد في شرح منظومة المفتين على المذهب الحنفي بتونس من لدن الفتح التركي إلى عصره).
- الإعلام 6/336.
- برنامج المكتبة الصادقية (العبدلية) 4/69-70.
- معجم المطبوعات 612.
- معجم المؤلفين 9/233.
- المؤرخون التونسيون للأستاذ أحمد عبد السلام (بالفرنسية) ص 289 عرضاً في ترجمة ابنه محمد بيرم الثاني.
- سياسة حمودة باشا في تونس للدكتور رشاد الإمام، منشورات الجامعة التونسية 1980، ص 16-17 (تحليل لرسالة السياسة الشرعية)، المرجع السالف ص 135-136.
- هدية العارفين 2/352.

* * *

59 – بيرم الثاني (1162 - 1247 هـ) (1749 - 1831 م)

محمد بن محمد بن حسين بيرم آ بن المترجم له قبل هذا، المعروف بِبَيرم الثاني.

ذكر في «شرح منظومته للمفتين الحنفيين» شيوخه ونشاطه في التدريس والمناصب الشرعية التي تولاها فقال: « أخذت العلم عن جماعة: فالتجويد عن محمد قرة بطاق وأبي إسحاق إبراهيم الحميري وأبي العباس أحمد الوافي، والفقه والحديث عن والدي، وباقي العلوم عن الشيخ المحقق صالح الكوّاش والفاضلين البارعين المفتيين: أبي العباس أحمد الثعالبي الشهير

بالبرانسي ، وأبي عبد الله محمد الدرناوي ، والفقيه أبي الحسن علي بن سلامة ، والنحوي أبي العباس أحمد السويسي وقطب دائرة المعقول أبي عبد الله محمد الشحمي .

وأقرأت – حسب الطاقة – بالمدرسة الباشية نيابة عن والدي واستقلالاً بها ، وبالجامع الأعظم وغيرهما ، ثم خطبت بجامع يوسف داي نيابة عن والدي ، ثم رفعنا أيدينا عنها فوليها امام الخمس به – إذ ذاك – الفقيه جليل ، ثم قدمت للقضاء بعد عزل شيخنا قره بطاق يوم السبت لست يقين من شهر ربيع[1] الأول عام اثنين وتسعين ، ثم إستقلت منه فأقلت يوم الأحد من رجب الأصب[2] من عام 1193، ووليه الشيخ حسن الترجمان ، ثم عزل عنه وأكد عليّ في العود إليه فعدت يوم الاثنين لأربع بقين من ثاني الربيعين[3] عام 1194، وطلبت الإقالة منه ثانياً[4] فلم أجب عليها فصبرت ، ثم وليت الاءشراف على الأشراف[5] بعد موت عبد الكبير الشريف عام 1206 وبقيت كذلك إلى أن توفي الشيخ الوالد في التاريخ (1214) فقلدت الفتوى في الخامس عشر من محرم[6] عام 1215 ، وسبب التأخير في هذه المدة التروي فيمن يقلد خطة القضاء التي كانت بيدي ، حتى وقع الاختيار على الشيخ حسين برناز ، وأنا أنتظر خاتمة الخير» .

وتولى رئاسة الفتوى في ربيع الثاني 1216/أوت 1801 وبقي في هذا المنصب إلى وفاته في غرة جمادى الأولى سنة 21/1247 أكتوبر 1831.

كان من قضاة العدل متشبثاً متحرياً ، وقبل استقالته الأولى من خطة القضاء انتخب عدداً معيناً من الشهود بالحاضرة ، وكتب لكل من انتخبه في طرة أمر ولايته :«وأثبته في الشهادة .» واستشاط الفقيه الحاج مبارك الدبّاك غيظاً لعدم انتخابه فسافر إلى المدينة المنورة شاكياً لقبر المصطفى – ﷺ – بالقاضي ولما بلغ ذلك للباشا علي بن حسين باي أبقى سائر الشهود على ما كانوا ، وكتب بذلك للقضاة .

ومن تثبته أنه في المعاوضات يتوجه بنفسه لنظر العوض ، ويسأل عن القيمة غير الامناء (الخبراء) المُعيَّنين لذلك وهو أول من سن الزيادة على القيمة تحرياً لجانب الحبس .

وكان غزير الحفظ ، جيد الفكر ، واشتهر بأنه مجتهد ، وعرف المذهب المالكي الذي كان يستمد منه أحياناً حججاً في فتواه وكان معتنياً بالحديث والإسناد الذي غالب رجاله مالكية . وله شعر .

---

1) الموافق 11 افريل 1778.
2) جويلية – أوت 1779.
3) أول ماي 1780.
4) في ربيع 1197/فيفري 1783.
5) أي نقابة الأشراف لأنه شريف من جهة أمه تولاها في سنة 1792/1206 وتوارث هذه الخطة ذريته إلى وفاة محمد بيرم الرابع في أول جمادى الأولى سنة 1378/نوفمبر 1861.
6) ماي 1800 مفتياً ثانياً .

ومن أخذ عنه المؤرخ أحمد بن أبي الضياف، أخذ عنه صحيح البخاري قرأ عليه أبواباً منه وأجازه فيه بسنده، وكان ذلك بمحضر حفيده محمد ليلة عرسه فقال للحاضرين متحدثاً بنعمة الله «ابني هذا نعمة غير مترقبة، وذلك أن أولادي وأمهم ماتوا في الطاعون الجارف[1] وبقيت وحدي في البيت، وعزمت على العزبة فكتب إليّ أبي بالتزوج فأخبرته بما عزمت عليه آيساً من الولد، فكتب إليّ: «لا ييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون» فعند ذلك قلت له: أمري بيدك، فزوجني من بنت الشريف الفلاّري، فحملت بشيخكم ابني محمد، ولما ولد قلت هل يعيش حتى نراه يقرأ كأخيه الميت؟ فعشت حتى رأيته مدرساً، وعشت حتى رأيته مفتياً معي، ولما ولد له صاحبكم محمد قلت: هل يعيش حتى نراه يقرأ؟ فعشت حتى رأيته – والشكر لله – من نجباء الطلبة، هذه ليلة عرسه وفضل الله أوسع من هذا».

تآليفه:

1 – حاشية على شرح الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي المصري على مختصر المنار لابن حبيب الحلبي المتوفى سنة 1406/808 فرغ منها في 5 جمادي الثانية سنة 1226.

2 – حسن النبا في جواز التحفظ من الوباء. وقعت محاورة بينه وبين معاصره الشيخ محمد المناعي المالكي في شأن عدوى مرض الوباء، وما تتخذه الدول من الحجر الصحي (الكرنتينة) براً وبحراً لإيقاف خطره ومنع تسرب عدواه. ومن رأي صاحب الترجمة صحة القول بالعدوى، وألف هاته الرسالة في ذلك، وهاته المحاورة أشار إليها الشيخ رفاعة الطهطاوي في صدر رحلته ويبدو أنه ألفها على إثر الطاعون الجارف الواقع في عهد محمد علي سنة 1785/1199 والذي دام أكثر من عامين. ط. بمط. الإعلام، القاهرة 1302هـ في 26ص، والمط الرسمية بتونس.

3 – التعريف بالأجداد البيارمة (وهي عند الزركلي في الإعلام، التعريف بالأسرة البيرمية) مخطوطة في 60 ورقة عند الأستاذ خالد ابن المؤرخ محمد بن الخوجة الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة التونسية وأصلها من كتب خليل الطواحني.

4 – رسالة في بيع الوفاء.

5 – رسالة في الطلاق.

6 – رسالة في رجوع الموصي عن وصيته بعد أن اشترط عدم الرجوع نحا فيها منحى المجتهدين من أهل الترجيح، وقلد المذهب المالكي، وقرضها علماء عصره وتلقوها بالقبول كالشيخ حسن الشريف والشيخ إبراهيم الرياحي.

---

1) أي في سنة 1785/1199 ومات أولاده الخمسة.

وله رسائل أخرى كثيرة لو جمعت كانت مجلداً ضخماً.

7 – عقد الدر والمرجان. وهي منظومة طويلة في سلاطين آل عثمان، من البحر الطويل. بعد خمسين بيتاً شرع في ذكر السلاطين العثمانيين إلى أن انتهى إلى سلطان عصره السلطان عبد الحميد الأول (المتوفى سنة 1789/1203) ويبدو أن المؤلف زاد عليها بعد فراغه منها سنة 1783/1198-84 حتى وصل إلى سلطان عصره، ثم أضاف إليها ثلاثة أبيات تخليداً لعهد السلطان سليمان الثالث، وأكملها حفيده بيرم الرابع – فيما بعد – بذكر السلاطين المتوالين إلى وسط القرن الثالث عشر الهجري.

8 – منظومة في بايات تونس في 18 بيتاً.

9 – منظومة في الهلال.

10 – منظومة في المفتيين الحنفيين بتونس من لدن الفتح التركي إلى عصره، وشرحها. نشرت منها مجلة «الندوة» نتفاً في عددين ذكر فيها واحداً وعشرين مفتياً، وأولهم رمضان افندي الذين عينته الأستانة قاضياً وسمي مفتياً بعد انتهاء مهمته (أي بعد انتهاء ثلاث سنوات من ولايته القضاء) والترجمة الأخيرة خصصها لنفسه، وكان رئيس الإفتاء عندما كتب شرحه، ولمعاونيه مصطفى وأحمد البارودي اللذين توليا الواحد إثر الآخر منصب المفتي الثاني، وحسين برناز المفتي الثالث.

وفي آخر المنظومة بيت لم يشرحه متضمن لاسم مفتيين أحمد بن الخوجة، وابن الناظم محمد بيرم الثالث الذي سمي مفتياً في ذي القعدة سنة 1229/اكتوبر نوفمبر سنة 1814 بعد وفاة أحمد البارودي، أضاف المؤلف هذا البيت على ما قال الناسخ[1] وكان قد انتهى من الشرح في ربيع الأول سنة 1229/فيفري – مارس 1814

وكل ترجمة تحتوي – بعد ذكر المولد – على أسماء شيوخ المترجم له ولمحة عن نشاطه التدريسي، والوظائف التي تولاها الواحدة تلو الأخرى مع بيان تاريخ التولية، وأخيراً الوفاة.

ومن النادر ألا تكون هذه الوظائف مذكورة في مرثيته، ويذكر مرثية أو أكثر في كل ترجمة والتسمية في خطة أو تأليف كتاب توفر الفرصة لزملاء وأصحاب المترجم له لنظم التهاني والتقاريظ يذكر منها المؤلف نماذج عديدة وبعضها من نظمه.

11 – تقارير بخط يده على نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، موجود ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية بتونس (ينظر برنامج المكتبة العبدلية 234/2).

1) هو خليل الطواحني، وكان له صلة بالأسرة البيرمية ويعرف أفرادهم معرفة جيدة، له كنش ينسب خطأ لمحمد بيرم الرابع لأنه نقل نصوصاً كثيرة عن هذا الأخير وهو مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس برقم 529 وصرح الطواحني انه نسخ الشرح من أصل المؤلف.

المصادر والمراجع :

- إتحاف أهل الزمان 158/7-162 (نقلاً عن شرح المترجم له لمنظومته في المفتين الحنفيين وأورد معلومات أخرى شخصية) .
- الإعلام 299/7.
- إيضاح المكنون 405/1 ؛ 108/2.
- تاريخ معالم التوحيد 137-138.
- عنوان الأريب 78/2-83 (منتخبات من شعره) .
- معجم المطبوعات 613.
- معجم المؤلفين 209/11.
- هدية العارفين /363.
- المؤرخين التونسيون . . . (بالفرنسية) ص 293-295.
- مجلة الندوة العدد 5-6 جويلية - أوت 1955 العدد 7-8 سبتمبر - اكتوبر 1955.
- تونس وجامع الزيتونة لمحمد الخضر حسين، جمعه وحقّقه علي الرضا التونسي (المط/التعاونية بدمشق 1391/1971) ص 100-103.

* * *

60 - بيرم الثالث (1201 - 1259 هـ) (1786 - 1843 م)

محمد بن محمد بن محمد بن حسين بيرم ، ابن المترجم له قبله ، الفقيه المشارك في علوم والشاعر الرقيق .

ظهر نبوغه مبكراً وأتقن طريقة الإلقاء التي سنها الشيخ إبراهيم الرياحي ، ودرس في المدرسة الباشية نائباً عن والده ، وفي جامع الزيتونة ، واقرأ مختصر السعد على التلخيص في المدرسة العنقية وفي هذه المدرسة قرأ عليه ابن أبي الضياف .

لما توفي والده سنة 1247/1831 قام مقامه في رئاسة المجلس الشرعي الحنفي ، وخطة نقابة الإشراف .

قال الشيخ ابن أبي الضياف : «إن الشيخ محمد بيرم الثاني لما ورد عليه الظهير الملوكي في ولاية ابنه الشيخ الثالث إمامة جامع صاحب الطابع قال لمّا جاءه بالظهير : الله أكبر ابن الشيخ صالح الكواش يصرف عن خطة الإشهاد ، وابن محمد بيرم الذي لم يتجاوز اسمه هذه الحفرة (أي حفرة تونس) يولى الإمامة . فكان هذا التوجع الأدبي سبباً لعطف الحكومة يومئذ على ابن الشيخ الكواش ورد الإشهاد إليه .

توفي ليلة الأربعاء 27 ربيع الأول سنة 1259/27 افريل 1843.

مؤلفاته :

1 - تحريرات فقهية .

2 - حاشية على المنار .

3 - شرح على ايساغوجي في المنطق ، نحا فيه منحى الأعاجم ، فرغ منه في 8 ذي الحجة سنة 20/1258 جانفي 1843، ط بالمط . الرسمية بتونس في 1289/1872-73 في 28ص من القطع الصغير ، ومط . الإعلام بالقاهرة ، 1302 هـ في 24 ص 1843.

4 - حسن الخط في توهم الاحتجاج عندنا بالخط .

المصادر والمراجع :

- إتحاف أهل الزمان 8/54-55.
- إيضاح المكنون 404/1.
- تاريخ معالم التوحيد 434.
- عنوان الأريب 2/87-90.
- فهرس الفهارس والإثبات 1/173-174.
- معجم المطبوعات 613.
- معجم المؤلفين 276/11.
- هدية العارفين 307/2.
- 58-59 (J. Quemeneur, in revue Ibla, no 98, 1962/2 p. 400/2).

* * *

61 - بيرم الرابع (1220 - 1278 هـ) (1805 - 1861 م)

محمد بيرم الرابع ابن محمد بيرم الثالث ابن محمد بيرم الثاني ابن محمد بيرم الأول فقيه محدث ، أديب ، ذو اعتناء بالتراجم ولد في آخر جمادى الثانية سنة 20/1220 سبتمبر 1805 اعتنى بتربية جده محمد بيرم الثاني حتى أنه كان يلقنه المسائل وهو مضطجع معه في فراشه وقرأ على جده هذا ووالده الفقه وأصوله ، وأخذ عن الشيخ إبراهيم الرياحي في جامع صاحب الطابع وعن أحمد الأبي ، ومحمد بن ملوكة ، وعبد الرحمن الكامل ، وأجازه المحدث المسند الطبيب الرحال محمد الصالح الرضوي البخاري ثم المدني عند إقامته بتونس .

تولى التدريس وله من العمر 18 سنة ، فدرس بالمدرسة العنقية ، والمدرسة الباشية ، وجامع

الزيتونة، ثم سمي مفتياً مرؤساً بوالده بعد وفاة جده في غرة جمادي الأولى سنة 23/1247 أكتوبر 1831 وعارض أباه في مجلس الحكم بما أوتي من حدة الفهم.

ولما مات والده عن رئاسة الفتوى الحنفية، وكان المترشح لها غيره ممن تقدمه في الفتوى، أولاه الأمير أحمد باشا باي رئاسة الفتوى الحنفية في 28 ربيع الأول 28/1259 أفريل 1832 ونقابة الأشراف خلفاً لوالده.

وهو أول من لقب بشيخ الإسلام في تونس، لأن هذا اللقب لم يكن موجوداً بها حتى فخّم الأمير أحمد باشا باي المشير الأول الألقاب محاكياً للسلطنة العثمانية، واستدعى يوماً صاحب الترجمة وألبسة كركاً وسموراً وسماه شيخ الإسلام.

تولى خطابة جامع صاحب الطابع ثم الجامع اليوسفي.

وكان الأمير أحمد باشا يقربه ويستشيره في المهام ويصله بأسنى العطايا، ولما ولي الأمير محمد باشا قربه وجعل أمر الخطط الدينية إليه فلا يتولى أحد منها شيئاً إلا بانتخابه فكان يؤثر عنه الانصاف، فتأتي المستحقين أوامر الخطط من غير علم منهم. وكان صهراً للأمير محمد باشا تزوج الأمير بأخته. وهو مستشار الأمير يعمل بإشارته غالباً في الجهاز الإداري والقضائي، وفي القضايا السياسية، وكان له تأثير كبير بين النخبة العلمية والإدارية. وكان كاتباً وشاعراً يستنجد بقلمه الأمير محمد باشا عند المهام. ولما ورد مكتوب السلطنة المغربية في تهنئة محمد باشا بأي أحجم الشيخ ابن أبي الضياف عن الجواب، وأشار على الأمير أن يكلف صاحب الترجمة بالجواب، فأجاب عن المكتوب نثراً ونظماً.

وعندما اتخذ السلطان محمود خان الثاني الزي الأوروبي سنة 1831/1246 أصدر أمره لولاة الولايات العثمانية ولأمراء البلاد المختارة ومنها تونس بإجراء العمل في بلادهم بالأنظمة الجديدة، ومن جملتها اللباس الأوروبي والعسكر النظامي، فكان حسين باي أول من لبس من البايات الزي الأوروبي اقتداء بالسلطان التركي، وشاع النكير عليه في أوساط المتزمتين، حتى أنه وقع العثور في مجلس حكمه على قصيدة لمجهول مطلعها:

بـربـك أيـهـا الملـك المطـاع أكفر ذا الصنيع أم ابتداع[1]؟!

وكان المترجم له من فريق المؤيدين للباي، وهنأه على إصلاحاته بقصيدة من عيون شعره:

نـظـامـك أيـهـا الملـك الـهـمـام بـه لـلـديـن قـد ظـهـر ابـتـسـام
نـظـام يـكـتـسـي الإسـلام مـنـه سـروراً لـيـس يـحـصـيـه الـنـظـام
بـه نـسـخـت شـوائـب كـل عـجـز كـمـا بـالـصـبـح قـد نـسـخ الـظـلام

1) متأثر بقولة إبن شبل البغدادي:
بـربـك أيـهـا الـفـلـك المدار أقـصـد ذا المسـيـر أم اضـطـرار؟

كأن صفوفها نظم الدراري بدت ولكل واحدة حسام
إذا ما شاهدت عيناك منه مسيراً فيه دل واحتشام
رأيت البحر يزخر فيه موج بنار قد غدت ولها اضطرام
وقد حقت لهم رايات عز تشير بأن جندك لا يضام
فإنك فوق هذا الدهر تاج وحسن التاج يكسبه النظام
سبقت إلى المفاخر كل ملك فما لك خشية فيما يرام
وهب أن الملوك سموا إليها وكل بالوصال له غرام
وما ضربوا من العليا بسهم وإن طاروا حواليها وحاموا
لأنك في الملوك عزيز أصل وأنك قد سهرت لها وناموا
بقيت كما تحب عزيز ملك محلك من ذرى العليا السنام
ومني كلما هبت شمال على علياء حضرتك السلام

ومن أحداث حياته انتخاب الشهود (الموثقين) . قال إبن أبي الضياف : «وامتحن في آخر أمره بما امتحن به جده ، وهو انتخاب عدد معين من الشهود فسخط كثير من أهل البلاد وسلقته الألسن الحداد ، وأنّى للمخلوق وإرضاء العباد» .

وذلك أن أبا عبد الله محمد باي كان ينكر كثرة الشهود ويراها مفسدة ولما دالت الدولة له تكلم مع الشيخ في ذلك وقال له : «إن الحاضرة لا يكون فيها أكثر من مائتي شاهد ، وبلدانها على حسب اتساعها» . وأمره بانتخاب المائتين في الحاضرة فثقل عليه ذلك وقال له : «الأولى أن نقيد سائر من في الحاضرة من الشهود ، وتعطى نسخة من ذلك التقييد لكل واحد من أهل المجلس الشرعي ينتخب منها مائتين بمقتضى ما يدين الله به ، ثم تجمع تلك النسخ فمن وقع عليه اتفاق الأكثر يبقى ، إلى تمام المائتين» .

وكان في الحاضرة - يومئذ - أكثر من ستمائة شاهد ، ولما تم الانتخاب ظهر للباي أن يثبت ما انتخبه الشيخ وحده ظناً منه أن ذلك من تعظيم الشيخ ، فكتب له في ذلك جريدة انتخابه ، وأمره أن يكتب في أمر كل واحد ممن انتخبهم خطه كما فعل جده فامتثل الشيخ لهذا الأمر من غير مراجعة ولا توقف حتى يظهر للعيان أنه مأمور بتنفيذه ، وأنف أهل المجلس الشرعي من ذلك ورأوها ازدراء بهم وحطة ، وتجرعوا مرارتها ، وعاداه كل من لم ينتخبه وأطلق لسانه في مصون عرضه بالدعاء عليه وبغضه» .

توفي لليلة الثلاثاء 3 جمادي الأولى سنة 6/1278 نوفمبر 1861.

نظم شعراً كثيراً جمع الشيخ محمد السنوسي قسماً منه في تصنيفه «مجمع الدواوين التونسية» .

مؤلفاته :

1 - التراجم المهمة للخطباء والأيمة ، عرف فيه بمن تولى الإمامة والخطابة من الفقهاء بالجوامع الحنفية دون المالكية ، لبث في جمع هذا التأليف سنوات عديدة على حسب ما توفر له من مواد ووقت فراغ ، ويبدو أنه لم يواصل العمل فيه بعد منتصف رمضان سنة 1271/أول جوان 1855 وفي هذا التاريخ مات أحمد باي ، وتولى محمد باي (1855-1859) وكان المترجم له صهره ومستشاره وفي عهد هذا الأمير إلى وفاة المؤلف لم يتوفر له الوقت لتخصيصه بأعمال البحث التاريخي لتراجم أيمة الجوامع الحنفية بتونس.

وهذا التأليف لا يخلو من الأهمية لأنه يحتوي على معلومات عن الجوامع لا توجد في المؤلفات السابقة له ، وبعض المترجم لهم لا توجد تراجمهم في غيره . وهو المصدر الوحيد الذي فيه بعض التفاصيل في التراجم . وكان لديه وثائق نادرة منها نسخ من تآليف المترجم له أخذ منها تفصيلات لم تكن في متناول مؤلفين آخرين .

ولم يكتب منه إلاّ قطعة ما زالت في مسودتها بخطه موجودة في خزانة الشيخ البشير النيفر (ت 1974) ومما جاء في هذه القطعة ذكر خطباء جامعي القصر والقصبة (جامع الموحدين) ومن تولى الإمامة بهما ، كل ذلك بسطه المؤلف بما يشفي الغليل ، مع الإشباع في الترجمة لأولئك الخطباء والايمة ، ولكنه أبقى خلالها بياضاً بنية الزيادة والتوضيح - فيما يظهر - وصدّر حديثَه عن كل من الجامعين المذكورين بنبذة وجيزة في نشأتهما حسنة الإفادة ، لكنها غير مستوفاة من الوجهة التاريخية وانتقل بعد ذينك الجامعين للتعريف بجامع حمودة باشا المرادي ، ووقف في تحريره عند السطر السادس مما يدل أن هذا التأليف لم يتم كما سبقت الإشارة إليه ، ولأن القطعة الموجودة بخط المؤلف هي مسودة التأليف وهي في 25 ورقة .

وتوجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية .

2 - الجواهر السنية في شعراء الديار التونسية ، طبع بتحقيق وتعليق د . الهادي حمودة الغزي نشر المكتبة العتيقة في تونس لصاحبها الشيخ الحاج علي العسلي ، يولية 1973 بدون ذكر مكان الطبع .

وفي المقدمة التي كتبها محقق الكتاب عن عصر المؤلف وترجمته أبدى تشككاً في نسبة الكتاب إلى بيرم الرابع ، ولم ينفصل عن هذا التشكك بجواب حاسم يطمئن إليه فقال : «وكتاب الجواهر السنية في شعراء الدولة الحسينية لم يشر إليه محمد السنوسي في «مجمع الدواوين» أين ترجم لصاحبه ترجمة مطولة ، ولا في «مسامرات الظريف» غير أن ابن أبي الضياف قد أشار لهذا الكتاب بقوله : وله كتاب في شعراء المتأخرين سماه «الجواهر السنية[1]»

1) ابن أبي الضياف 126/8.

لكنه لم يصفه لنا ولم يحدثنا عنه لذا لا يمكن أن نطمئن في إسناده لبيرم الرابع بصفة قطعية ، خاصة إذا علمنا أنه وردت إشارة في كنش السنوسي وهو مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت عدد 6631 ص 113 هذا نصها : «وكتبت للشيخ أبي سعيد سيدي الباجي المسعودي استعير منه ما أنجزه الشيخ سيدي محمد بيرم الثاني في التعريف بشعراء إفريقيا بعد أن أرسل إليّ كراريس فيها شيء من شعره» .

والسؤال الآن هل أن «الجواهر السنية» كان مسودة لبيرم الثاني نفض عليه (كذا) حفيده غبار النسيان ونسبه إلى نفسه تحت هذا الاسم؟ أم أن كراريس بيرم الثاني شيء وكتابنا هذا شيء آخر؟

وهذا التساؤل الأخير هو الأقرب إلى المعقول عندي إنّ ابن أبي الضياف معاصر لبيرم الرابع وهو أعرف به من محمد السنوسي ، وشهادة المعاصر لها وزنها في الإثبات والنفي ، وسكوت السنوسي عن ذكر الكتاب لا يكون كافياً في نفي نسبته إلى بيرم الرابع و «من حفظ حجة على من لم يحفظ» كما قال المتقدمون ، ومن عادة ابن أبي الضياف أنه في تراجمه يكتفي بذكر أسماء تآليف المترجم له بدون وصف لها ولا تحليل موجز لمحتوياتها ، فهل أن صنيعه هذا لا يطمئن إليه ولا يكفي في نسبة الكتب لأصحابها؟ أظن أن هذا شطط ، ولو نعمل بما قاله المحقق الفاضل لأسقطنا أو على الأقل تشككنا في نسبة كثير من الكتب لأصحابها .

وإذا كان أصل الكتاب لمحمد بيرم الثاني ونفض عنه الغبار وأكمله حفيده بيرم الرابع فلماذا لم يشر إلى ذلك أدنى إشارة؟ إن صح هذا يكون صنيعه لبساً وتضليلاً وعقوقاً لجده ، ونحن ننزه بيرم الرابع عن الاتصاف بهذه الأوصاف الذميمة ، ولو كان مغموراً هابط المستوى لم نبرئه من الإغارة والانتحال ، ولكنه له من المكانة العلمية والمنزلة الأدبية والآثار القلمية ما يغنيه عن التورط في مثل هذه الوصمة الشنعاء .

وبعد هذا قال في وصف مخطوطة الكتاب وما اشتمل عليه : «والمخطوط ناقص من آخره بحيث نجد نتيجة لذلك ترجمة الغراب ناقصة» .

ويشتمل الكتاب بعد المقدمة على طبقة واحدة من شعراء تونس ، ولا نجد أثراً للطبقات الموالية المشار إليها في المقدمة مما جعلنا نرجح أن المخطوط بداية مشروع علمي لم يكتمل ، وهذا ما يؤكد لنا نقصه حيث إننا نجد في آخر صفحة منه (قد) إشعاراً بأول كلمة في البيت الموالي في الصفحة الجديدة .

قد جرّا الأعداء حلمك فاعتدوا   برد الجناية واقتفوا سبل الردى

وعدم اكتمال الكتاب مما يرجح أنه لبيرم الرابع لأن مسؤولياته في السنين الأخيرة صدته عن إتمام تآليفه مثل التراجم المهمة .

ويفتتح الكلام بترجمة وجيزة لكل شاعر مثقلة بأنواع البديع ثم يورد مجموعة من شعره بدون تحليل وجيز أو نقد بحيث أن الكتاب له مزية الجمع .

3 - نظم ذيل به على نظم جده في سلاطين آل عثمان المسمى «بعقد الدر والمرجان» وصل فيه إلى سلطان زمانه عبد المجيد .

4 - رسالة جمع فيها تقارير في الخلو والإنزال ، توجد ضمن مجموع رسائل ترتيبها الخامس بالمكتبة الوطنية .

5 - رسالة في شرح قواعد عهد الأمان (القانون الدستوري الصادر في عهد محمد الصادق باي) .

6 - رسالة في الشفعة .

7 - رسالة في الصلاة بالنيشان (الوسام) الصليبي .

8 - كنانيش كثيرة مشحونة بالأدب والفوائد ، منها كناش ينسب له خطأ وهو لخليل الطواحني .

9 - مجموعة في مشايخه وإجازاتهم له .

المصادر والمراجع :

- إتحاف أهل الزمان 124/8.
- الأعلام 300/7.
- برنامج المكتبة الصادقية (العبدلية) 65/4.
- تاريخ معالم التوحيد 103 - عنوان الأريب 117/2-121.
- معجم المؤلفين 290/11.
- مقدمة د . الهادي الغزي لكتاب «الجواهر السنية» .
- المؤرخون التونسيون . . . (بالفرنسية) 296-299.
- محمد بن الخوجة : كيف دخل الزي الأوروبي في العادات التونسية .
- المجلة «الزيتونية» قعدة 1356، جانفي 1938 ص 31-32.
- عثمان الكعاك : حقبة ماجدة من الأدب التونسي :
- مجلة (المباحث) عدد 33 صفر 1366، سبتمبر 1946 ص 6 وعدد 39 شعبان 1366، ماي 1947 ص 9.
- مصطفى زبيس : من متفرقات الكنانيش التونسية :
- فهرس الفهارس 243/1-246 (دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1402/1982 ط /2 باعتناء د . إحسان عباس) .
- هدية العارفين 376/2.

* * *

62 – بيرم الخامس (1255 - 1307 هـ) (1840 - 1889 م)

حمد بيرم الخامس بن مصطفى بن محمد بيرم الثالث، الفقيه الرحالة المؤرخ الصحفي من نبغاء خريجي جامع الزيتونة.

ولد بتونس في محرم 1255/مارس 1840 وأشرف والده على تربيته وكذلك عمه بيرم الرابع، وهما اللذان وجهاه إلى طلب العلم بجامع الزيتونة وبعد اجتيازه لمرحلة التعليم الابتدائي دخل جامع الزيتونة، وقرأ على أعلامه أمثال المشايخ سالم بوحاجب، والشاذلي بن صالح، وعلي العفيف، ومحمد الطاهر بن عاشور. وفي هذا الطور كان الشيخ محمود قابادو يزور والد المترجم له في بيته لأنه كان صديقاً له، كما كان يزور عمه محمد بيرم الرابع في بيته أيضاً وكان المترجم له يحضر المجالس التي فيها قابادو بدار أبيه أو دار عمه، ويستمع إلى حديثه فتكون له إعجاب به واحترام له ما زادتهما الأيام إلاّ رسوخاً، وكان يستنير بتوجيهاته، وظل على هذه الحال بعد تخرجه من جامع الزيتونة واشتغاله بالتدريس، وقال الأستاذ عمر بن سالم: «وتأثر بأفكار قابادو التقدمية ونظرياته الإصلاحية تأثراً كبيراً، فقد أخذ عنه رأيه في إحياء العلوم الصحيحة والاعتماد عليها لنهضة البلاد».

واستكمل تعلمه بجامع الزيتونة ولم يتجاوز سنه سبعة عشر عاماً، وتخرج منه محرزاً على شهادة التطويع، ثم اجتاز بنجاح مناظرة التدريس من الطبقة الثانية في سنة 1861/1278 وتولى مشيخة المدرسة العنقية في 6 جمادي الاولى 1861/1278 وهذه الخطة كانت وراثية في أسرتهم، ثم اجتاز بنجاح مناظرة التدريس من الطبقة الاولى في 15 رجب 1284.

وفي مطلع شبابه إشتغل بالمسائل السياسية والإجتماعية لأنّ ميوله سياسية وأدبية أكثر منها فقهية وعلمية، وكان همه تتبع ماجريات الأحداث وانتقادها، ولما كان ابن ملاك أراض فقد شاهد الوضعية الإجتماعية للعمال الفلاحيين والخماسة، ومسك دفتراً سجل فيه القرارت والأوامر الترتيبية على عهد محمد بأي لأنه التزم بالدفاع عن هذه الطبقة الريفية.

وبعد ثورة 1864/1281 وتعطيل دستور عهد الأمان رحل إلى أوروبا بعلة التداوي وملاقاة أصدقائه المغتربين الجنرال حسين في إيطاليا وخير الدين في فرنسا، ومات والده فورث عنه قسطاً هاماً من العقارات، وأراد مبارحة تونس نهائياً ولكن الظروف الصعبة القاسية التي تجتازها البلاد منعته من تحقيق رغبته.

ولما عزل مصطفى خزنه دار عن الوزارة الكبرى (رئاسة الحكومة) في سنة 1873/1291 وخلفه في المنصب خير الدين جاهر المترجم له بنصرته في آرائه الإصلاحية وصرح بآرائه السياسية على صفحات جريدة «الرائد التونسي» وهو أول من تجاسر على ذلك في تونس.

ولاحظ الأستاذ رشيد الذوادي: «إنه المنشيء الأول لفن النشر الصحفي باختلاف

أغراضه في تونس . فقد تحدى القيود المتبعة في أساليب الكتابة في عصره فأضناه هذا العمل ولم يسلم من العثرات وتستطيع أن تلاحظ هنا جلياً في تفكك بعض تراكيبه خاصة في افتتاحياته المنشورة في صحيفة «الإعلام» . وقال أيضاً : «فكتب في الرائد التونسي (1290 هـ 1874) مقالات كثيرة أيد فيها عزل مصطفى خزنه دار وآزر الوزير خير الدين باشا صاحب الإتجاه التقدمي في البلاد وتعتبر مقالاته السياسية أول مقالات ظهرت في النشر السياسي في البلاد ، ذلك إن الإتجاه السياسي لم تعرفه صحافة تونس قبل هذا التاريخ ، إذ معظم ما كان ينشر فيها يتنازل النواحي الأخلاقية والاجتماعية والأدبية» .

كما نشر بعض إنتاجه في جريدة «الجوائب» الصادرة في إستانبول لصاحبها أحمد فارس الشدياق ، وذلك أيام حرب تركيا مع اليونان .

وأعجب الوزير خير الدين بنشاطه وتعلقه ومؤازرته له في منهجه الإصلاحي فعهد إليه بتنظيم إدارة جمعية الأوقاف التي ابتكرها المصلحون ، يعنيه موظف وعدلان يختارهم التجار وأصحاب الأراضي الموقوفة . وفي بضعة أشهر وبعد مجهودات خارقة توصل إلى تنظيم هذه المؤسسة وجعلها قوية ، وهذا مما أثر على صحته وأجبره مرضه العصبي على قطع عمله والذهاب إلى باريس لمداواة مرضه ، واغتنم هذه الفرصة لتدوين القسم الأول من تأليفه «صفوة الاعتبار» .

وكان نحيف البنية مصاباً بمرض في الأعصاب الموصلة بين المعدة والقلب مع فقر في الدم يستعمل المورفين لتسكين آلامه فأثر ذلك في صحته مع ما يقوم به من أعمال مرهقة .

وفي مدة رئاسته لجمعية الأوقاف وقع نزاع بين الكونت دوسانسي المغامر الفرنسي الذي له علاقات قرابة مع كثير من وزراء فرنسا وقع نزاع بينه وبين الحكومة التونسية على قطعة أرض بسيدي ثابت منحها له الوزير خير الدين لتربية الخيل على شروط أخل بها ، فأرادت الحكومة التونسية استرجاعها منه فأبى وأنقلب خصماً لخير الدين .

ومن الملاحظ أن خير الدين كان يجامل الفرنسيين . وكان قسم من الصحافة الفرنسية يشن الحملات ضده بتأثير من عملاء خزنه دار الموجودين في باريس وقد عين صاحب الترجمة عضواً في لجنة التحكيم التي شكلتها الحكومة التونسية للنظر في هذه القضية واستمر النزاع بين الطرفين إلى عهد الوزير مصطفى بن إسماعيل .

كما عينه الوزير خير الدين سنة 1874/1292 ناظراً على المطبعة الرسمية ومشرفاً على تحرير جريدة «الرائد» . وهذا النشاط أثر على صحته التي تدهورت فسافر إلى باريس للمعالجة .

وفي سنة 1875/1292 سمي عضواً في لجنة برنامج التعليم للمدرسة الصادقية ولترغيب الأسر التونسية لإرسال أبنائهم إلى هذه المدرسة سجل فيها ابنه الأكبر مصطفى الذي أصبح فيما بعد رئيساً لمجلس الاستئناف بالقاهرة .

كما اسندت إليه إدارة تأسيس المكتبة الصادقية (العبدلية) الزيتونية المؤسسة حديثاً.

وفي سنة 1877/1294 عزم على التخلي عن وظائفه أسوة بأصدقائه جماعة الإصلاح الذين اضطروا لمغادرة مراكز السلطة، على أن تدخل الباي الزمه الاحتفاظ بوظائفه لكن المعرض العالمي المنعقد في باريس سنة 1878 هيأ له مبرراً لمغادرة البلاد فزار باريس ولندرة ثم الجزائر وسمحت له هذه الرحلة باثراء ملاحظة لإكمال تحرير الأجزاء الباقية من مؤلفه «صفوة الإعتبار».

وعندما رجع إلى تونس أصبح عضواً في اللجنة التي كلفت بتنظيم مستشفى العاصمة التونسية - الذي دشّنه الأمير محمد الصادق باي رسمياً في 10 فيفري 1894، وأصبح يُعرف بالمستشفى الصارقيّ، على غرار المؤسسات الصحية العصرية الأوروبية، لكن الذين لا يروق لهم الإصلاح ولا تفكير الإصلاحيين كالقنصل الفرنسي روسطان فكان رد الفعل عنيفاً والتهجم قاسياً، وكان المترجم له على صلة ببعض أفراد من السفارة الإيطالية بتونس ممن ينشر الدعاية ضد السياسة الفرنسية، وبلغت المعركة الدعائية بين السياسة الفرنسية والإيطالية حداً مضطرماً ملتهباً، ففرنسا تهيء الوسائل والحجج لتبرير الاحتلال، وإيطاليا تشهر بمطامع فرنسا وتحاول حشد الرأي العام ضدها سواء في الداخل أو في الخارج وهي لم تكن بريئة في هذه الحملة، وإنها هي تسعى جاهدة لتحل محل فرنسا وتحتل البلاد فيما بعد، ولا ندري كيف غاب هذا عن ذهن المترجم له حتى اغتر بالدعايات الإيطالية وسار في طريق يثير العواصف الهوجاء من النقد والتهجم والاتهام.

وكان الوزير مصطفى بن إسماعيل خلف خير الدين في رئاسة الحكومة يضيق بآرائه الإصلاحية ثم أنه يرى أنه لا يصفو له الجو إلاّ إذا أقصى جماعة الإصلاح عن مباشرة أية مهمة سامية في الحكومة والمترجم له لا يتحمل الضغط على حريته والسكوت على آرائه لذلك عزم على مبارحة تونس وقرر أن يطلب أولاً من الباي الاذن في السفر لاداء فريضة الحج، ولم يتحصل على هذا الاذن إلاّ بعد تداخلات عديدة من أصدقائه العلماء، وتحصل على هذا الاذن وبارح تونس سنة 1879/1296 ومر بمصر في طريقه إلى الحرمين الشريفين وبعدهما زار سوريا، ثم سافر إلى إستانبول حيث كان في انتظاره صديقة الصدر الأعظم خير الدين، وأحسنت الدولة وفادته وعزم أن يقيم بها نهائياً، لكن الوزير مصطفى بن إسماعيل كتب إلى الباب العالي وطالب بإرجاع المترجم له، واتهمه باختلاس أموال جمعية الأوقاف وجرده من عناوينه الجامعية لكن خير الدين انتصر له ولم يخذله ولم يسلمه.

وفي انتظار وصول أسرته إلى إستانبول قام برحلة إلى فيينا وبودابست وبلغراد. وعند رجوعه إلى إستانبول حيكت ضده دسائس لإزالة مكانته عند السلطان فقد اتهم بالمشاركة في ثورة عرابي عند مروره بمصر، واضطر لأجل تجنب الخصومات وإنجاز الجزء الثاني من تأليفه «صفوة الاعتبار» إلى مغادرة إستانبول وتوجه إلى مصر، وفي القاهرة احتفل بقدومه احتفالاً حاراً الخديوي والعلماء.

وفي مدة إقامته بإستنبول لم ينقطع عن الكتابة والتدوين، وراعى صحته فتحسنت كثيراً وقلل من إستعمال المورفين.

ولما استقر بالقاهرة استأنف نشاطه السياسي والثقافي وأصدر جريدة «الإعلام» يومية أولاً ثم في كل ثلاثة أسابيع وكان لها دوي بالمشرق والمغرب حتى قال خير الدين: «إن هذه الصحيفة يمكن أن تصبح (تيمس الشرق الأدنى)» وصدر من هذه الصحيفة 269 عدداً فيما بين سنة 1885 وسنة 1889.

وكانت خطة جريدة «الإعلام» ملاينة الانجليز ولعله مل من مقاومة الإستعمار وآثر الراحة والاستقرار. قال فيليب دي طرازي في كتابة تاريخ الصحافة العربية: «وكانت خطتها محاسنة الانجليز والاستفادة منهم، فأنتقد بعضهم عليه هذه الخطة لأنها تخالف ما كان عليه في تونس وانه هاجر فراراً من الحكم الأجنبي فكيف يكلف المصريين عكس ذلك؟ ولكن الذين كانوا يرون رأيه يعتذرون بأنه أنما حث على محاسنة الانجليز والإستفادة منهم بأن معاكستهم وأمر البلاد في أيديهم لا يجدي نفعاً، وان مفاجأة الفرنسيين أوجدت أسباباً ساعدتهم على ضم تونس إلى بلادهم وقد التجأ إلى انتهاج هذا المسلك أيضاً ما قاساه من ظلم الحكم الاستبدادي في تونس وما آنسه من العوامل المحركة في مصر بإغراء بعض الأجانب الذين يوغرون صدور الناس على حكامهم مما يعود بالضرر».

ومن المعروف ان خطة ملاينة الاستعمار ومحاولة الالتقاء معه في نصف الطريق والرضا بما يجود به من إصلاحات كانت مسلك بعض المشتغلين بالسياسة في العالم العربي بقسمّيه الشرقي والغربي وقد أثبت الأيام عدم صحة هذا المسلك وان الطريق القويم هو المجاهرة بالمطالب القومية وعدم المبالاة بغضب الإستعمار وبطشه والتنظيم الجماهيري وبفضل هذه السياسة القومية القوية انحسر الاستعمار عن العالم العربي.

وفي سنة 1887 عطل وقتياً صدور جريدة «الإعلام» للسفر إلى معرض باريس وزار لندرة وفلورنسة بإيطاليا لملاقاة صديقه الجنرال حسين وعند رجوعه إلى القاهرة أسندت إليه مهمة تكوين جمعية الأوقاف، كما سمي قاضياً بمحكمة القاهرة الابتدائية، وكثيراً ما كلفته وزارة العدل كتابة ملاحظاته عن القضاء الشرعي لأنه كان واسع الاطلاع فيه.

توفي بحلوان في 25 ربيع الثاني /18 ديسمبر مساء الأربعاء ودفن بالقاهرة قرب ضريح الإمام الشافعي.

مؤلفاته:

بين جرجي زيدان مسار الأفكار الإصلاحية في تآليفه فقال. «ويؤخذ من مجملها (مؤلفاته) أن صاحب الترجمة كان من محبي الإصلاح وتقريب المسلمين من عوامل التمدن

الحديث وإزالة ما قد يعترضهم من أشباه الموانع الدينية نحو ما كان يفعله الشيخ محمد عبده» .

1 - تحفة الخواص في حل صيد بندق الرصاص قال فيها : «قد تقرر في الناس منذ أزمان ، غير أنه لما كان من المستحدثات بعد الصدر الأول اختلفت فيه أنظار المتأخرين ، وقد شاع تحريم ما مات من صيده على مذهب أبي حنيفة ، فأحببت أن أجمع فيه رسالة أحرر منها الشأن» (المطبعة الإعلامية القاهرة 1303هـ) 28ص .

2 - التحقيق في مسألة الرقيق ، رسالة بحث فيها عن كيفية معاملة الرقيق وإن منع الحكومات الإسلامية التجارة بالرقيق شرعي ، طبعت .

3 - رسالة في أحكام الأشراف آل بيت رسول الله . مطبعة الإعلام 1302هـ 16ص .

4 - الروضة السنية في الفتاوي البيرمية ط .

5 - سكنى دار الحرب .

6 - صفرة الإعتبار لمستودع الأمصار والأقطار ، دون فيها رحلته إلى أوروبا وآسيا وأفريقيا . وذكر في حزء منها تاريخ القطر التونسي من الفتح الإسلامي إلى الاحتلال الفرنسي ، وتاريخ القطر الجزائري وحرب الاحتلال الفرنسي فيه . وتاريخ مصر والثورة العرابية وفي هذا الكتاب كثير من الحقائق التاريخية والاجتماعية التي يعز العثور عليها في سواه .

طبع منه أربعة أجزاء بمطبعة الإعلام 1302هـ وطبع الجزء الخامس والأخير بعد وفاته بمطبعة مجلة المقتطف بالقاهرة سنة 1311هـ .

7 - مختصر في العروض .

8 - ملاحظات سياسية حول التنظيمات اللازمة للدولة العلية ، انتهى منها سنة 1298هـ وقدمها للسلطان عبد الحميد الثاني ، وطبعت في مصر بلا تاريخ في 48هـ .

المراجع :

- أركان النضة الأدبية ، محمد الفاصل بن عاشور تونس 1381 ص22-27.
- الأعلام 322/7.
- تاريخ آداب اللغة العربية 262/4.
- تاريخ الصحافة العربية 139/1-141و24/3.
- رواد الإصلاح ، رشيد الذوادي (ط بتونس 1973) ص40-59.
- قابادو لعمر ابن سالم (ط . تونس 1975) ص60-62.
- محمد بيرم الخامس ، زين العابدين السنوسي ط تونس 1952.

– مصادر الدراسة الأدبية أسعد يوسف داغر 215.
– معجم المطبوعات 613-614.
– معجم المؤلفين 35/12-36.
– إيضاح المكنون 104/1 (يسمّيه خطأ محمد بيرم الثالث، والدليل أنه نسب له صفوة الاعتبار) 68/2، وذكره على وجه الصواب في هدية العارفين 388/2، إكتفاء القنوع بما هو مطبوع لإدوارد كرنيليوس فانديك ص414، المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام لأنور الجندي ص77 و 79، خير الدين وزير مصلح (بالفرنسية) للمنجي صميدة 273، 275، 341، 343، 367، مشاهير الشرق لجرجي زيدان 289/2، 290، الآداب العربية للأب لويس شيخو 189/2، فهرس الأزهر 119/2-249/1، منتخبات المؤيد 498/1، صفوة الاعتبار 194/1، ثم ملحق الجزء الخامس منه، أصول الحماية لجان قانياج (بالفرنسية) ص559 تعليق 89 ص570 تعليق 132.

* * *

63– بيرم (كان حياً سنة 1321 هـ) (1902 م)

مصطفى بن محمد بيرم الخامس.

اعتنى والده بتربيته وبعد تجاوزه مرحلة التعليم الابتدائي دخل المدرسة الصادقية وهو من أوائل خريجيها.

ولما استقر والده بمصر التحق به، وبعد مدة سُمّيَ قاضياً بالمحكمة المختلطة بالقاهرة وعينته الحكومة المصرية لتمثيلها في مؤتمر المستشرقين المنعقد في أوائل سبتمبر سنة 1902 بمدينة همبرغ بالمانيا.

له: تاريخ الأزهر، رسالة قدمها للمؤتمر المذكور: ط. بمطبعة التمدن بالقاهرة سنة 1321 76 ص 6 فهرس.

المراجع:
– معجم المطبوعات 614.
– معجم المؤلفين 244/12-254.

* * *

حرف التاء

64 – تاج (نحو 1270 - 1338 هـ) (1854 - 1920 م)

حمودة بن محمد تاج ، الأديب الشاعر الحقوقي .

ولد بتونس وقرأ القرآن في كتاب كوشة طاباق مع شقيقه عبد العزيز ، وشيخ الإسلام الحنفي محمد بن يوسف ، ثم طلب العلم بجامع الزيتونة فأخذ عن الاعلام المشاهير في ذلك العصر كالشيخ حسين بن أحمد القمار ، وسالم بوحاجب ، والشاذلي ابن القاضي ، وعمار بن سعيدان ، وعمر ابن الشيخ ، ومحمد النجار .

ثم باشر التدريس بجامع الزيتونة ، وأخذ عنه جماعة كالشيخ محمد مخلوف المنستيري مؤلف «شجرة النور الزكية» .

ثم صار حاكماً بالمحاكم العدلية التونسية ، ومات وهو رئيس القسم الجنائي . وهو من أعيان الطريقة التيجانية كما وصف بذلك في طالعة تقريظه لكتاب «ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التيجانية» تأليف عبيدة محمد الصغير انيوجا الشنقيطي (الموريتاني) . له كنّاش [1].

المراجع :

- شجرة النور الزكية 424-425.

* * *

65 – التادلي (من رجال القرن الثامن هـ) (14 م)

محمد التادلي المغربي نزيل تونس ، صوفي .

مات بتونس ودفن بمقبرة القرجاني بإزاء قبر عائشة المنوبية .

1) نقل منه محمد بن الخوجة نتفا من قصيدة لمحمد بن محمد الأصرم الباش كاتب (المتوفي سنة 1277-1861) في المجلة الزيتونية جانفي 1939م 3 ج1 ص29.

مؤلفاته :

1 – تحفة العاشقين، في ذكر الأولياء والصالحين، ممن كان بمدينة تونس وتوفي ودفن بها أو بخارجها ذكر في أوله ان الخطيب علي النوري[1] طلبه منه.

يوجد ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية التونسية.

2 – مناقب عائشة بنت عمران المنوبي.

يوجد ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية.

المرجع :

– برنامج المكتبة الصادقية (العبدلية) 233/3, 252-254.

* * *

66 – ابن التبّان (314 - 371 هـ) (928 - 981 م)

عبد الله بن إسحاق بن التبّان، أبو محمد، القيرواني الفقيه، من تلامذة أبي بكر ابن اللبّاد.

حكى عن نفسه ما لاقاه من الصعاب في بداية طلبه للعلم قال: «كنت في أول ابتدائي ادرس بالليل، فكانت أمي تنهاني عن القراءة بالليل، فكنت آخذ المصباح واجعله تحت الجفنة وأتعمد النوم، فإذا رقَدت أخرجتُ المصباح وأقبلت على الدرس».

وقال: «قال لي أبي ذات يوم: يا بني ما يكون منك؟ لا تعرف صنعة، واشتغلت بالعلم لا شيء عندك؟! «فلما كانت ليلة سمعته يقول لوالدتي: عَرَفت اني عُرفت بابني، ذلك أني حضرت إملاكاً في مسجد – سماه – فوجدته مملوءًا بالناس لم أجد مجلساً فقام لي رجل من مجلسه وأجلسني فيه، فسأله إنسان عني، فقال له: اسكت! هو والد الشيخ أبي محمد.

وقال آخر: خرج والد الشيخ أبي محمد التبان يوماً من مسجد السبت فزلق في طين، فبادر إليه رجل وأخذ بيده وقال لصاحبه: هذا والد الشيخ أبي محمد الفقيه، فرجع وحرض ابنه على طلب العلم، والتزم القيام بشأنه من يومئذ.

---

1) علي النوري هذا لم أقف على ترجمته، ولعله من أهل مدينة تونس، أمّا الشيخ علي النوري الصفاقسي المشهور فهو من رجال القرن الثاني عشر.

وكان شديد البغض للعبيديين حتى قيل إنه كان زمانه مثل أبي عثمان سعيد الحداد وعندما شدد صاحب القيروان عبد الله المختال في طلب علماء المالكية ليدخلهم في المذهب الإسماعيلي الباطني (مذهب الدولة العبيدية) اجتمعوا بمسجد ابن اللجّام وهم : المترجم له وابن أبي زيد ، وأبو سعيد ابن أخي هشام ، والقابسي ، وأبو القاسم بن شبلون ، فاتفقوا على الفِرار فقال لهم المترجم له ابن التبّان : أنا أمضي وأكفيكم مؤونة الاجتماع ويكون كل واحد منكم في داره ، وقيل إنهم أرادوا السير إلى أبي عبد الله المختال ، فقال لهم : أنا أمضي إليه أبيع روحي من الله دونكم لأنكم ان أوتي عليكم وقع في الإسلام وهن .

وما وقع لهؤلاء الفقهاء من الهلع والفزع يدل على اضطهاد العبيديين وصنائعهم للمالكية بشتى أنواع الإضطهاد .

ويقال إن ابن التبّان لمّا دخل على عبد الله المختال قال له : جئتك من قوم إيمانهم مثل الجبال أقلهم يقيناً أنا .

حدّث بعض من حضر قال : كنت مع عبد الله المختال ، وقد احتفل مجلسه بأصحابه وفيهم الداعيان : أبو طالب ، وأبو عبد الله ، وقد وجه إلى ابن التبّان ، فإذا به دخل وعيناه تتقدان كأنهما عينا شجاع ، فدخل وسلم ، فقال أبو طالب : عنّا يا أبا محمد ! فقال : في شغلك ! كتاب ألّفته في فضائل أهل السنة الساعة ، أتاني به المجلد ودفعه إليّ . وناظر الداعيين ، وظهر عليهما وأفحمهما .

ويتبين من هذا أنه كان فصيحاً مُفَوَّها حاضر البديهة قوي الحجة ، وكان من العلماء الراسخين والفقهاء المبرزين ، ضربت إليه أكباد الإبل من الأمصار لعلمه بالذب عن مذهب أهل الحجاز ومصر ومذهب مالك . وكان من أحفظ الناس للقرآن والتفنن في علومه ، والكلام على أصول التوحيد ، وكان من الحفاظ وكان يميل إلى الرقة ، وحكايات الصالحين ، عالماً بالفقه والنحو والحساب والنجوم . وذكره القابسي بعد موته فقال : رحمك الله يا أبا محمد قد كنت تغار على المذهب ، وتذب عن الشريعة .

وكان كريم الأخلاق ، حلو المنظر ، بعيداً عن الدنيا والتصنع ، من أرق أهل زمانه طباعاً وأحلاهم إشارة وألطفهم عبارة .

قال لبعض تلامذته : خذ من النحو ودع فما أكثر أحد من النحو إلاّ حمقه ، ولا من الشعر إلاّ أرذله ، ولا من العلم إلاّ شرفه .

وقال يوماً : لا شيء أفضل من العلم ، فقال أبو إسحاق الجبنياني ، العمل به أفضل ، فقال صدق : العلم إذا لم يعمل به صاحبه فهو وبال عليه ، وإذا عمل به كان حجة له ونوراً يوم القيامة . وكان إذا حدث في القيروان أمر فر إلى سوسة والمنستير حتى ينفضّ ذلك الأمر .

سمع منه أبو القاسم المنستيري ، ومحمد بن إدريس بن الناطور ، وأبو عبد الله ابن الخراط وابن اللبيدي .

مؤلفاته :

1 - كتاب في فضائل أهل البيت .

2 - كتاب في النوازل .

المصادر والمراجع :

- ترتيب المدارك 524-517/4.
- الديباج المذهب 13.
- شجرة النور الزكية 95-96.
- معالم الإيمان 120-109/3.
- Hady-Roger Idris, La Berbérie Orientale sous les Zirides, t. 2, pp. 699, 717.

* * *

67 - التجاني (في حدود 660 هـ) (1262 م)

إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم التجاني من أفراد بيت التجانيين النابه الذي أنجب كثيراً من العلماء والأدباء في العصر الحفصي .

له : مؤازرة الوافد ومبارزة الناقد في الانتصار لابن الأبار . ألفه رداً على من انتقد قصيدة ابن الأبار السينية التي أنشدها بين يدي أبي زكرياء الأول طلباً لنجدة بلنسية ومطلعها :

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا ان السبيل إلى منجاتها درسا

وقد نال هذا التأليف إعجاب المعاصرين لما احتوى من تحقيق علمي وبلاغة تعبير .

المراجع :

- مقدمة رحلة التجاني 9-10.
- ورقات . . . 150-151.

* * *

68 – التجاني[1] (802 - 865 هـ) (1400 - 1464 م)

أحمد بن محمد بن عبد الله بن علي بن أبي الفتح بن أبي البركات محمد بن علي بن أبي القاسم بن حسن بن عبد القوي التجاني، الشهير بأبي العباس وبآبن كُحَيل.

ولد بتونس، وتلا بالسبع ويعقوب على جماعة منهم البرزلي وعبد الله بن مسعود القرشي، ومحمد بن محمد الشقوري الباجي الأندلسي الأصل، وعبد الواحد اللقلاق، وأبو مهدي عيسى الغبريني، وأخذ عنه غير ذلك وهو من كبار شيوخه، وأخذ النحو عن الشيخ محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم وبحث عليه الجمل للزجّاجي، والمقرّب لابن عصفور، وبعض كتاب أبي موسى الجرولي، ثم عن الشيخ أبي الحسن الأندلسي الشهير بسمعت بلفظ الفعل الماضي المتصل بضمير المتكلم – بحث عليه الفية ابن مالك، وأعرب عليه قصيدة البيري. بفتح الباء – المسماة «منابذة العمر الطويل» وأولها:

تـفُـتُّ فـؤادَكَ الأيـامُ فـتـا ... وَتـنحُتُ جسمَك الأيامُ نحتا

وغير ذلك عليهما وعلى غيرهما وأخذ المنطق والكلام عن جماعة منهم الأبي، وأحمد ابن أبي القاسم العرجوني عرف بالمعلقي وأحمد بن محمد البسيلي، وأحمد بن محمد الشماع، وأصول الفقه عن أبي العباس المدغري والأبي، والشماع، والفقه عن البرزلي والقاضي أبي يوسف يعقوب الزغبي وأبي القاسم العبدوسي الفاسي نزيل تونس، وغيرهم، والمعاني والبيان عن المدغري، وأبي الفضل آبن الإمام، وغيرهم، وأخذ الهندسة عن ابن مرزوق التلمساني وسمع عليه ما كان يقرأ عليه من علوم شتى، وكذا الشيخ أبي القاسم العقباني، أما الوثائق والأحكام وما يتعلق بذلك فأخذه عن العدل الخطيب بجامع الزيتونة محمد بن محمد الأنصاري الخزرجي الشهير بآبن الحاج، وسمع حديث الرحمة المسلسل بالأولية عن أبي زكرياء يحي بن منصور، وسمع من محمد بن مسافر المعفري وأبي القاسم الأندلسي، والشريف التلمساني وقرأ عليه «عمدة الأحكام والموطأ» رواية يحيى بن يحيى «والشمائل» رواية عن البرزلي، وروى صحيح البخاري، وسنن أبي داود على الشيخ الشماع وغيره سماع بحث وبعض «علوم الحديث» لابن الصلاح «والتبيان» للنووي على عبد الواحد الغرياني والمدغري، وسمع على الغرياني «الرسالة القشيرية» و «سراج المريدين» و «سراج المؤيدين» كليهما للقاضي أبي بكر ابن العربي، والبخاري بسماع تفقه على الغرياني وغيره.

ومن مشايخه في التصوف أبو عبد اللطيف المقدسي، وأبو عبد الله الهنتاني، وعمر الركراكي، ومحمد الجزولي، ومنصور البازي نسبة إلى بازة بالمغرب الأقصى.

---

1) بكسر التاء المثناة الفوقية وتشديد الجيم وتخفيفها نسبة إلى قبيلة بالمغرب الأقصى قدم جد هذه الأسرة أبو القاسم إلى تونس مع جيش الموحدين.

والغالب على الظن انه كانت له رحلة إلى تلمسان والمغرب الأقصى إذ إنه روى عن جماعة من أهل البلدين، كابن آجروم، وابن الإمام، والعقباني، والشريف التلمساني، وهؤلاء لا تعرف لهم إقامة أو عقد مجالس تدريس في تونس.

وفي سنة 1443/846 عزم على حج بيت الله الحرام مصاحباً للركب التونسي عن أمر السلطان أبي عمرو عثمان الحفصي الذي أكرمه وأرسل إليه ما يعينه على ذلك وسأله أن يكون قاضي الركب فأجابه بعد امتناع وكراهة.

وفي القاهرة اجتمع بالحافظ ابن حجر وأنشده ارتجالاً بيتين [كامل]:

قد فُزْتُمُ بين الأنام وحزتُمُ رهنَ السّباق بنشر فتح الباري
فالله يَكلؤكم ويبقي مجدكم ويحوطكم من أعين الأغيار

كما اجتمع به البرهان البقاعي وأجازه وأملى عليه ترجمته وعرف تعريفاً وجيزاً ببعض أقاربه التجانيين وبمؤلفاتهم، ولقي الشمس السخاوي الذي اجتمع به في الجامع الأزهر وكتب عنه ترجمته وغير ذلك، وقال في نهاية ترجمته: «وكان فاضلاً مفوّهاً طلق العبارة حسن المحاضرة، بهي المنظر حسن المخبر، والغالب عليه التصوف والصلاح».

تولى قضاء المحلة (أي العسكر) والتدريس بزاوية باب البحر، وفي أواسط جمادى الأخرى من عام 856 صرف عن قضاء المحلة وعن الشهادة وقدم عوضه الشيخ محمد الزنديوي وفي أوائل جمادى الثانية من عام 857 صرف الشيخ محمد الزنديوي عن قضاء المحلة وأعيد إليها صاحب الترجمة وإلى الإشهاد بالحاضرة ثم صرف في رجب علم 865 عن قضاء المحلة والتدريس بزاوية باب البحر وقدم عوضه محمد الرصاع وقدم هو عدلاً ومفتياً بالقلم.

وتوفي في آخر ذي الحجة.

مؤلفاته:

1 - عون السائرين إلى الحق، في التصوف، مجلد.

2 - المقدمات، في الفقه، مجلد لطيف.

3 - الوثائق العصرية.

المصادر والمراجع:

- الأعلام 219/1.
- تاريخ الدولتين 129-131-136.

- درة الحجال 88/1.
- شجرة النور الزكية 258-259.
- الضوء اللامع 136/2-137 (محرفاً إلى البجائي). عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران مخطوط بالمكتبة الوطنية، وأصله من المكتبة الأحمدية) من الورقة 47 أ إلى 48 ب.
- مقدمة رحلة التجاني لمحققها ح. ح. عبد الوهاب 30-31.
- معجم المؤلفين 123/2.
- نيل الابتهاج 81.
- ورقات لحسن ح. عبد الوهاب 174/3-177 (إعادة لما في مقدمة رحلة التجاني).
- إيضاح المكنون 511/2؛ 541/2، 701.
- توشيخ الديباج 57، 58 (دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983).
- الحلل السندسية 631/1 (دار الغرب الإسلامي، بيروت).

* * *

69 - التجاني (وُلد بين 670-675/1272-1276 وكان حياً لسنة 718/1308)

عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، والده من كتاب العلامة وصاحب القلم الأعلى، كان عالماً أديباً شاعراً، اعتنى والده بتربيته ولقنه مبادىء العلوم، وقرأ على قريبيه أبي الحسن علي بن إبراهيم التجاني النحوي اللغوي الأديب الشاعر وعمر التجاني، وعلى بن عبد الكريم العوفي الصفاقسي الأصل وأبي القاسم عبد الوهاب بن فائد الكلاعي، وغيرهم.

كان من جملة كتاب الإنشاء على عهد السلطان محمد المعروف بأبي عصيدة في بداية القرن الثامن. وفي عهد الأمير أبي يحيى زكريا آبن اللحياني استصفاه لنفسه وقرب منزلته منه ورسمه في خواص كتابه وصاحبه في رحلته في جهات تونس وليبيا من منتصف سنة 1308/708 وفارق مخدومه من أرض ليبيا لأسباب صحية وسياسية.

وبعد هذه الرحلة عاد إلى تونس مباشراً لخطته بديوان الإنشاء وبعد قليل مات السلطان أبو عصيدة خلال سنة 1309/709 فاجتاحت الاضطرابات البلاد بسبب التنازع على السلطة من أمراء البيت الحفصي، ودامت مدة عامين بين الأمراء، أبي زكريا بن أبي زيد الملقب بالشهيد وأبي البقاء خالد وغيرهما، ولم يستقر لهم الملك إلاّ قليلاً.

وفي أثناء هذه الاضطرابات كان شيخ الموحدين أبو يحيى زكريا آبن اللحياني قد عاد من الحج واستقر بمدينة طرابلس يراقب الأمور من بعيد، ويترصد الفرص إلى أن هجم بجموع من أنصاره على تونس واستولى على الحكم في سنة 1311/711 وقلد كاتب سره القديم صاحب

الترجمة رئاسة ديوان الإنشاء وهي خطة العلامة الكبرى.

وتخلى أبو زكريا يحيى بن اللحياني عن الملك لفائدة ابنه ووليّ عهده محمد المعروف بأبي ضربة سنة 1317/717 ومن ذلك التاريخ لا نعلم عن مصير عبد الله التجاني صاحب الترجمة شيئاً وله:.

1 - أحكام مغيب الحشفة. ألفه استدراكاً على شيخه أبي علي الهذلي، وهو أول تأليف له ألفه في زمن الشباب وقد بين ذلك بقوله: «وكان شيخنا الإمام أبو علي عمر بن محمد بن علوان الهذلي - رحمه الله تعالى - قد ألف في ذلك تأليفاً (أي أحكام مغيب الحشفة) تهاداه الناس واستغربوه جمع فيه ما قال غيره واستدرك أحكاماً كثيرة استخرجها بكثرة اطلاعه وتبحره في العلم واتساعه يزعم أنه لا يكاد يوجد حكم يشذ عن كتابه» وكنت قدقرأتُ عليه التأليف المذكور في شهر ذي القعدة سنة اثنتين وسبعمائة، ورأيته قد أهمل أحكاماً كثيرة فحملتني سن الحداثة - إذ ذاك - وحب الظهور على أن وضعت فيه جزءًا انتهت الأحكام المستدركة فيه إلى خمسين حكماً واتسعت في ذكر الخلاف وبسط التعليل فجاء تأليفاً تاماً أيضاً مستقلاً، ووقفته عليه فعظمه غاية التعظيم، وتلا قوله سبحانه وتعالى: وفوق كل ذي علم عليم. وكانت وفاة شيخنا المذكور في الرابع لشعبان سنة عشر وسبعمائة[1].

2 - اداء اللازم من شرح مقصورة حازم: وكان وضع هذا الشرح في محرم سنة 699 وهو من أقدم مؤلفاته، وهو مفقود الآن.

3 - تحفة العروس ونزهة النفوس. رتبة على 25 باباً في معاشرة النساء وأخلاقهن وخصالهن وصفة أعضائهن من حسن وقبح وفي العفاف والصون وفي الزينة والتطيب، وفي حقوق المرأة على الرجل وفي الغيرة ما يحمد منها وما يذم، وختمه بباب متسع في الملح والفكاهات وأورد فيه ما دعت إليه الحاجة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية مع تفسيرها ومن الحكايات الطريفة ما يناسب كل مقام.

والكتاب خال من سخف الأدب المكشوف والمجون اللذين يتلهى بهما في المجالس، إذ قال في خطبته: «وليس كتابنا هذا في الحقيقة كتاب سمر، وإنما هو كتاب علم ونظر».

ط. بالمطبعة الشرقية بالقاهرة سنة 1301هـ في 204ص منسوباً خطأً للشيخ أحمد التيجاني صاحب الطريقة.

4 - تقييد على صحيح البخاري، وضعه بطرابلس سنة 1307/707 بعد أن انتهى من قراءة

1) تحفة العروس ص 61.

صحيح مسلم على الشيخ عبد العزيز بن عبيد السبائي . قال في رحلته : «ثم بعد ذلك في الشهر نفسه ابتدأت قراءة دولة أخرى من المسند الصحيح للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري» .

5 – تقييد على صحيح مسلم كتبه في التاريخ السابق حين قراءته بطرابلس على شيخه المذكور . قال في رحلته : «قد كنت ابتدأت تقييد ما انتجْته فينا المناظرة وأفادتنا المحاضرة مما جاء كالإكمال لكتاب الإكمال» يعني إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم للقاضي عياض .

6 – الدر النظيم – في الأدب والتراجم ، ذكره في رحلته 363/262 وقال فيها : «وقد ذكرناه (عبد الرحمن بن عيسى) وأخاه في كتاب «الدر النظيم» بأتم من هذا» . وربما يكون في هذا الكتاب قد جمع أخبار أدباء الدولة الحفصية السابقين لعصره . وهو مفقود .

7 – رحلته دوّن فيها وصف القرى والمدن التي مر بها في رحلته صحبة مخدومه الأمير أبي يحيى زكريا بن اللحياني ، والتعريف بالنابغين من أبنائها من فقهاء وأدباء وقواد وصلحاء ، قدامى ومعاصرين ووصف للمعالم والمعاهد والعناية بمواطن القبائل العربية وما تفرع عنها من بطون وأفخاذ مع الإلمام بالعقائد والتقاليد الغريبة .

ولما كان سير الرحلة بطيئاً ومجاله محدوداً فقد كان ذلك في مصلحة الوصف إلى حد كبير فتمكن بذلك من الوقوف عند كل ما يمكن ملاحظته في طريق سيره القصير ، وقد برهنت رحلته على أهميتها الكبرى وذلك بتزويدها لنا بمعلومات عن جميع المناطق التي زارها وعن الأصقاع المجاورة لها وهي تتناول مسائل الجغرافيا ، كما تتناول مسائل التاريخ الطبيعي وبوجه خاص التاريخ البشري .

وكما جرت العادة فإنه يستشهد بمختلف المؤلفين ، ويقتبس أحياناً من الوثائق ، بل انه يورد هذه الوثائق التاريخية أحياناً بنصها الأصلي ، وانفرد بإيراد جملة أحداث معاصرة لا توجد إلاّ فيها .

أما أسلوبه في العرض فأدبي صرف ولكنه لا يثقله بالانطباعات الشخصية أو بمحاولة التدليل على سعة معارفه ومهارته ككاتب فهو في هذا الصدد أفضل بكثير من غيره من الكتاب الذين عالجوا التأليف في هذا النمط ، وبعد قرن من الزمان قدره ابن خلدون تقديراً كبيراً وأفاد من مصنفه مراراً عديدة في تلك الأجزاء من تاريخه التي أفردها لشمال أفريقيا . وقد دلت أبحاث أماري على أن التجاني يقدم معلومات تاريخية وجغرافية ذات قيمة كبرى من ذلك ما كتبه عن جزيرة جربة بل وعن صقلية نفسها .

وطبعت الرحلة أول مرة بتونس بالمطبعة الرسمية سنة 1927/1345 بعناية المستشرق وليام مارسي ولإسباب لا نعرفها لم ترج هذه الطبعة بالسوق ، ثم طبعت طبعة محققة بالمطبعة

الرسمية سنة 1958/1378 مع مقدمة حافلة للمؤرخ الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في 46ص في التعريف بالمؤلف وبعض أفراد بيته النابغين. نص الرحلة في 395ص + 103ص فهارس.

8 - علامة الكرامة في كرامة العلامة[1]. . . والظاهر أنه نوه بذكر وظيفة العلامة الكبرى والصغرى وهو ما كان يوضع من الكتابة بالقلم الغليظ على الظهائر السلطانية والأوامر الرسمية للملوك بني حفص ولغيرهم من ملوك المغرب وفي الحقيقة ان «صاحب العلامة» كان يشغل الرئاسة العليا لدواوين الإنشاء، فالمعاهدات والمراسم والرسائل التي تصدر عن السلطان لملوك العالم كانت تحلّى بالعلامة الكبرى، كما أن المكاتيب العادية والأذون للعمال والقضاة وسائر نواب الحكومة في داخل القطر وكذا تسمية المتوظفين توضع عليها العلامة الصغرى من تحرير غيره من كتاب الديوان. والعلامة نفسها هي عبارة عن جملة مختارة في معنى حمدالله وشكره وتمجيده ويختلف رسمها وعبارتها عند استيلاء كل ملك من ملوكهم.

وهذا التأليف يغلب على الظن أنه لتراجم الكتاب الذين تداولوا على هذه الخطة. وهو من مؤلفاته المفقودة.

9 - نفحات النسرين في مخاطبة ابن شيرين، جمع فيه المخاطبات والمحاورات الدائرة بينه وبين الأديب الأندلسي محمد بن أحمد بن شيرين الجذامي السبتي الأصل المنتقل إلى غرناطة والمتولي قضاءها، وصل إلى تونس عام 1303/703 بنية الحج فلم يقض له ذلك، واجتمع به المترجم له.

قال المترجم له عن ابن شبرين: «وهذا الرجل من أعظم من رأيت تحقيقاً وأحسنه في النظم والنثر طريقاً، وقد كنت اجتمعت به في تونس ووصل إليها في عام 703 وكانت نيته التوجه إلى الحج فلم يقض له بذلك». وهذا الكتاب مفقود.

10 - الوفا ببيان فوائد الشفا، وهو شرح على الشفا للقاضي عياض في نحو أربعة أجزاء والموجود منه في المكتبة الوطنية بتونس قطعة صاحلة في جزءين وهي بخط تونسي قريبة العهد، وهذا التأليف نقل عنه الشهاب الخفاجي وعلي القاري في شرحيهما على الشفا.

المصادر والمراجع:

- تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ق . 383/1-384.
- شجرة النور الزكية 206.
- عنوان الأريب 82/1-84.

---

1) نسبة البرهان البقاعي في «عنوان الزمان» لأبي الحسن علي التجاني وهو غير صحيح.

- عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والاقران لإبراهيم البقاعي ، عرضاً في ترجمة أحمد بن كحيل التجاني .
- مجمل تاريخ الأدب التونسي 212-214.
- مستودع العلامة ومستبدع العلامة لأبي الوليد بن الأحمر ص34.
- معجم المطبوعات 650-651.
- معجم المؤلفين 39/6.
- مقدمة رحلة التجاني ص19-46.
- ورقات . . . 162/3-174، 177-193.
- الأعلام 125/4 (ط/5) .
- إيضاح المكنون 713/2.
- كشف الظنون 370/1، 713/2،
- هدية العارفين 141/2-142.
- بلاد البربر الشرقية في عصر الحفصيين (بالفرنسية) 397/2-399.
- دائرة المعارف الإسلامية (ط1، الترجمة العربية - كتاب الشعب) 225/9-226.

* * *

70 - التجاني (635 - 714 هـ) (1238 - 1314 م)

علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم التجاني ، أبو الحسن الراوية الأديب الشاعر ذو البديهة السريعة في النظم ، قال تلميذه محمد بن جابر الوادي آشي : «وربما سبق الكاتب فيما يقترحه عليه من النظم في أي عروض وروي ، شاهدت ذلك منه» .

ومدح شعره العبدري بسرعة البديهة فقال[1]: «وأما أبو الحسن فهو فيه آية الزمن من إجادة معنى وتنقيح لفظ وسرعة بديهة وكثيراً ما يمليه ارتجالاً فيجود ويتقن» .

أخذ عن جده لأمه أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد السلام الجمحي المعروف بابن القاضي ومحمد بن عبد الجبار الرعيني السوسي ، ومحمد بن بشارة الكندي ، وعبد الله بن بُوطُلَة ، وحازم القرطاجني ، وإبراهيم بن وثيق ، وإبن الأبار وروى عن إبن الشباط التوزري وقاضي الجماعة المحدث ابن الغماز ، وأجازه جماعة من المشارقة بإفادة شيخه أبي إسحاق إبراهيم البلفيقي ، وحج ولقي جماعة من الاعلام .

وكان مقصوداً لإقراء العربية والأدب وغيرهما ، تخرج به جماعة منهم : قريبه عبد الله التجاني صاحب الرحلة ، ومحمد بن جابر الوادي آشي الذي أخذ عنه «شمائل النبي ﷺ»

1) بعد أن ذكر نبوغ التجانيين في العلم والأدب ، وانه قل منهم ومن نساهم من لا يقول الشعر .

للترمذي ، وكتاب «شهاب الأخبار» لمحمد بن سلامة القضاعي ، والقصيدة الشقراطسية و «اختصار سيرة النبي ﷺ» لابن فارس اللغوي و «الأحاديث التي اجتمع فيها أربعة من الصحابة يروي بعضهم عن بعض» لعبد الغني بن سعيد الأزدي المصري ، و «حديقة الأزهار وحقيقة الافتخار في مدح النبي المختار» لحازم القرطاجني التي جعل صدورها مدحاً للحضرة النبوية وإعجازها من معلقة امريء القيس

توفّي بتونس في 15 صفر.

مؤلفاته :

1 - تسلية القلب الحزين في مراثي قاضي قضاة المسلمين. جمع فيه ما قيل من المراثي في شيخه قاضي الجماعة ابن الغماز مرتبة على حروف المعجم ، وهو من بين من نظم بعض المراثي ، ذكر الوادي آشي في أواخر ترجمة شيخه ابن الغماز ما نصه : «واتبعه الناس ثناء حسناً ورثوه بضروب من الندب سمي مجموعها : «رائق الوشي وعالي الطراز في مراثي القاضي الأجل أبي العباس بن الغماز» . ورتب الشعر فيه على مقدار أهله وسمي في الترتيب الآخر الذي رتب شعره على حروف المعجم في البداة بـ «تسلية القلب الحزين في مراثي قاضي المسلمين» والتأليفان لرجلين.

وقال ابن عبد الملك المراكشي[1] في أواخر ترجمة ابن الغماز «ورثاه جماعة من الشعراء بقصائد فرائد تولى جمعها في دفتر تلميذه ناظم بعضِها أبو الحسن علي بن إبراهيم ابن محمد التجاني» وقد اختصر ابن فرحون[2] كلام ابن عبد الملك المراكشي وان لم يصرح بذلك قال في أواخر ترجمة ابن الغماز : «ورثي بقصائد فرائد تولى جمعها تلميذه أبو الحسن التجاني» .

ومن كل هذه النصوص نستفيد أن عليا التجاني جمع ما قاله هو وغيره من المراثي في شيخه ابن الغماز ، ولم يعين الوادي آشي مؤلفي المجموعين إلاّ أنه ذكر أنهما لرجلين ولم يبين ابن عبد الملك المراكشي ولا ابن فرحون اسم التأليف المجموع . وإذا كان من المتفق عليه أن عليا التجاني هو ناظم بعض المراثي وأحد جامعيها في تأليف فإنه لا يحسن منه ترتيب الشعر حسب قيمته الذاتية أو قيمة قائله لأنه أين يضع نفسه ؟ فإن وضعها بين المجلين زكاها ومدحها وهو ما يتحاماه العقلاء وحجب الحق ، لذلك نرجح أن التأليف الذي رتب فيه الشعر على حروف المعجم والمسمى بـ «تسلية القلب الحزين في مراثي قاضي قضاة المسلمين» هو لعلي التجاني .

---

1) الذيل والتكملة 113/1.
2) الديباج المذهب 79.

2 – علامة الكرامة في كرامة العلامة، وقد مر أنه لعبد الله التجاني صاحب الرحلة، ونسبةُ البقاعي في «عنوانه» لصاحب الترجمة في ترجمة أحمد بن كحيل التجاني، ومن المعلوم أن البقاعي أخذ ترجمة بعض التجانيين عن ابن كحيل ولعله وهم وخانته الذاكرة عند التدوين أو أن ابن كحيل كان واهماً مثله.

المصادر والمراجع:

- برنامج الوادي آشي، تحقيق محمد محمد محفوظ (ط. بيروت (1980/1400) 59-60.
- بغية الوعاة 141/2.
- رحلة التجاني 258-270.
- رحلة العبدري 257-263.
- عنوان الأريب 86/1
- مقدمة رحلة التجاني 11-13.
- ورقات ... 152/3-154.

* * *

71 – التجاني (... 718 هـ) (1318 م)

محمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم التجاني، أبو الفضل، الأديب الشاعر الكاتب بديوان الإنشاء. خدم الدولة الحفصية في أيام السلطان أبي عصيدة ثم السلطان أبي يحيى زكريا بن اللحياني، ثم ابنه السلطان محمد الملقب بأبي ضربة المستبد بأمر إفريقية بعد أبيه فكان المترجم له كاتب سره ومدبر أمره، وقد صحب مخدومه هذا لما زحف السلطان أبو بكر الحفصي صاحب المملكة الغربية، على تونس، فأوقع بأبي ضربة وجموعه في فحص مصوج من تراب أولاد عون الآن قرب سليانة، ومن بينهم صاحب الترجمة سنة 1318/718.

قال ابن رُشَيْد في حقه: «ما رأيت في نجباء ابناء الأفريقيين أجمع منه لفضيلة، ولا أبرع في كل خصلة نبيلة وخلة جليلة، مع عفاف وكفاف، يتصرف كيف يشاء في الروية والارتجال مديد الباع فسيح المجال».

وهو إلى فرط أدبه وبارع نثره ونظمه معتن بالرواية مستجيزاً للشيوخ، فوصلته من أهل سبتة إجازات كثيرة بعث له بها صديقه ابن رُشَيْد.

أورد له ابن عمه عبد الله التجاني رسائل وقصائد في «رحلته».

مؤلفاته :

1 - الأمم الخالية ونشر الرمم في البالية.

2 - الحلل المضمخة في حلى المشيخة.

3 - الحلى التيجانية في الحلل التجانية، قال ابن رشيد: «وجمعه باسمنا حفظه الله تعالى وشكره». وقال في موضع آخر: «إنه باسمه واسم صاحبه الوزير ابن الحكيم رحمه الله تعالى» ذكر فيه أخبار السابقين من أفراد بيتهم وما لهم من الآثار العلمية والأدبية.

4 - الدر المنظوم.

5 - شرف الطرف في طرف الشرف.

6 - الناسم، جمع فيه تراجم ومختارات لشعراء عصره. وهذه المؤلفات مفقودة.

المصادر والمراجع:

- رحلة التجاني 88-89، 221/224، 288، 292.
- عنوان الأريب 87/1-91.
- مجمل تاريخ الأدب التونسي 210-212.
- مقدمة رحلة التجاني 15-17.
- نفح الطيب (طبعة م. م. عبد الحميد) 257/5 [121/4].
- ورقات ... 157/3-159.
- محمد الحبيب بن الخوجة: الحياة الثقافية بافريقية صدر الدولة الحفصية، في النشرة العلمية للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، السنة 4، العدد 4، 1976-1977 ص 72-73.

* * *

72 - التجيبي (كان حياً سنة 449 هـ) (1068 م)

إسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي البرقي القيرواني نزيل المهدية، أبو الطاهر، الأديب الشاعر اللغوي.

أخذ عن أبي إسحاق إبراهيم الحصري تآليفه وسمع من أبي القاسم سعيد بن أبي مخلد الأزدي العثماني، وأبي القاسم عمار بن محمد الإسكندراني، والشاعر المصري أبي الحسن علي بن حبيش الشيباني، وروى عن يعقوب بن خرازاد النجيرمي أدب الكاتب لابن قتيبة، وروى ديوان المتنبي عن أبي عبد الله الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذري[1] تلميذ القاضي أبي

1) في المختار من شعر بشار ص153 محرفاً إلى الأزدي، وكذلك ورد محرفاً في مقدمة عبد العزيز الميمني.

بكر الباقلاني نزيل القيروان . وكان له صلة تعارف بالشاعر الناقد عبد الكريم النهشلي[1] صاحب كتاب «الممتع» وذكر أنه سأل الفقيه أبا الحسن علي بن عبد الكريم الغالبي مقابلة بعض الكتب[2].

كان عالماً بالآداب مستبحراً شاعراً مجوداً من أهل التصنيف والتأليف مع جودة الضبط وبراعة الخط . دخل الأندلس وكان بمالقة سنة 1016/406 وذكر مرضه فيها وكثرة مجالس الطرب فيها ليلاً وما استحسنه منها[3].

ورحل إلى مصر واختلط بأدبائها وكان بها في سنة 1025/415 وبعد رجوعه من مصر رحل إلى صقلية وقضى بها مدة غير يسيرة من كهولته وتعرف فيها بشاعر صقلية أبي الحسن علي بن محمد الخياط الربعي ، وذكر له كثيراً من غرر شعره ، وقد أكثر من الحنين إليه وإلى مجالس أنسه .

وذكر ممّن أنشده شعراً من أدباء القيروان : إبراهيم بن يونس الأنصاري وأبا محمد الأزدي ، وأبا بكر محمد بن علي بن الحسن التميمي ثم الغوثي الذي رافقه بالإسكندرية والمهدية ، وأبي الحسن الطوبي الكاتب ، ومن شعراء مصر أبا الحسن البصري الشريف العباسي .

وممن روى عنه الحسين بن زياد الرفّاء روى عنه كتاب أدب الكاتب لأبن قتيبة بسنده وأبو مروان الطبني لقيه بالإسكندرية في رحلته لأداء فريضة الحج وكان وقوفه في موسم سنة 1048/438.

قال ابن الأبار : «ووقفت من خط أبي طاهر هذا على ما أرخه في جمادى الآخرة لسنة إحدى وأربعين وأربعمائة» .

مؤلفاته

له : الرائق بأزهار الحدائق من المختار من شعر بشار إختيار الخالديين وقد طبع هذا الكتاب بعنوان : «المختار من شعر بشار إختيار الخالديين وشرحه لأبي الطاهر إسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي البرقي المتوفى في القرن الخامس من الهجرة» . بعناية وتحقيق السيد محمد بدر الدين العلوي أحد معلمي اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بعليكرة بالهند ، مع التعريف ببشار والخالديين والشارح ومعاصريه بقلم العلامة عبد العزيز الميمني ، وط . بمط . لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة بلا تاريخ ، لكن يستفاد من مقدمة المحقق والميمني المؤرختين في 1934/1353 انه ربما طبع قريباً من هذا التاريخ .

1) انظر : شعر النهشلي في ما جل ، المرجع السالف ص 263.
2) المرجع السالف ص 111[ص.م من مقدّمة الميمني].
3) المرجع السالف ص 14-16.

ويلاحظ أن الكتاب ليس اسمه كما ظن المحقق، قال العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور[1] «غير أن ناشر الكتاب يظنه كتاب المختار للخالديين ويظن أن التجيبي شرح ذلك الكتاب، وليس الأمر كما ظن بل الكتاب الذي نشره هو مختار المختار وهو ما أختاره إسماعيل التجيبي من مختار الخالديين وشرحه وضم إليه ما عثر عليه من شعره حسبما أفصح عن ذلك كلامه في أواخر الشرح صفحة 341 وكلامه في ص 201».

ومما يدعم رأي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ما ورد في ص 8 من هذا الكتاب «قال إسماعيل بن أحمد، ورأيت بعد نظري في اختيار الخالديين وما اخترته منه...» كما أن الشيخ ابن عاشور[2] يرى أن مختار المختار هذا هو كتاب «الرائق بأزهار الحدائق» ومما يؤيد هذا أن ابن الأبار والسيوطي لم يذكرا له غير هذا الكتاب ، ولمح ابن الأبار إلى تاريخ وجوده بمالقة نقلاً عن كتاب «الرائق بأزهار الحدائق».

ومنهجه في هذا الكتاب أنه يذكر أبياتاً لبشار ثم يذكر أبياتاً لشعراء آخرين قدامى ومحدثين يتفقون مع بشار في غرض الأبيات، وأحياناً يذكر عمن أخذ بشار معنى أبياته من المتقدمين عليه، ويعقد مقارنات بين هذه الأشعار، ويبدي أحياناً بعض الملاحظات النقدية، ويطيل في شرح الألفاظ اللغوية، ويستطرد أحياناً إلى ذكر حكايات أدبية ويشعر بما في هذا الاستطراد من خروج معللاً له بأن الحديث ذو شجون، وذكر فيه أشعاراً لمعارفه من المصريين والقيرانيين، ومجموعة من شعره هو.

المصادر والمراجع:

- الأعلام 304/1 (توفي نحو 1103/445).
- بغية الوعاة 443/1.
- تكملة ابن الأبار (ط. مصر) 190-1/189 (أوسع ترجمة له).
- مجمل تاريخ الأدب التونسي 137-140.
- معجم المؤلفين 42/259 (نقلاً عن الأعلام).
- مقدمة عبد العزيز الميمني للمختار من شعر بشار.
- بلاد البربر الشرقية في عهد الزيريين (بالفرنسية) 787/2.

* * *

1) مقدمة ديوان بشار مط لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1369/1950 ص 90.

2) نفس المرجع ص 81.

73 - التجيبي (127 هـ[1]) (740 م)

خالد بن أبي عمران التجيبي، مولاهم، التونسي، المحدّث الصدوق والفقيه العابد.

ولد بتونس وروى عن أبيه وحنش به عبد الله الصنعاني نزيل أفريقية، ورحل إلى المشرق للسماع والرواية فروى عامة عن بعض متأخري الصحابة كعروة ين الزبير وطبقته، وسمع من القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وسليمان بن يسار، وروى عنه عبيد الله بن زحر الإفريقي، والليث بن سعد، وحَيْوة بن شُريح، وعبد الله بن لَهيعة، ويحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري شيخ الإمام مالك الذي بعثه عمر بن عبد العزيز على صدقات أهل تونس، فحضر مجالسه المترجم له وروى عنه كما روى عنه من أهل أفريقية عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وعبد الملك بن أبي كريمة، وعبد الله بن غانم، وعلي بن زياد.

تولى قضاء مدينة تونس وكان ذا وجاهة عند أهل بلده فقد وجهه أهل أفريقية إلى يزيد آبن عبد الملك بن مروان ليخبره بقتل يزيد بن أبي مسلم عامله على إفريقية فأكرم وفادته واستشاره فيمن يوليه فأشار عليه فقبل قوله وولى الذي أشار به.

ووجهوه مرة ثانية لاستفتاء علماء المدينة المنورة في مسائل استعصى عليهم أجوبتها، فعرض هذه الاسئلة على القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، فأبيا أن يجيباه فقال لهما: «إنّا بموضع جفاء في هذا المغرب، وإنهم حملوني هذه المسائل وقالوا لي: إنك تقدم المدينة وبها أبناء أصحاب النبي عليه السلام فسلهم، وانكما ان لم تفعلا كانت حجة لهم فما شئتما ؟»

فقال القاسم: سل، فسألهما فأجاباه واتجه بعد ذلك الى سليمان بن يسار فجمع عنه المسائل، فاجتمعت له من هؤلاء الثلاثة حصيلة وافرة من قضايا الفقه وأحكامه دونها في كتاب ذكره أبو العرب التميمي بقوله: «وهذا الكتاب رواه عنه عبد الملك ابن أبي كريمة».

شهد مغازي كثيرة وأبلى فيها بلاء حسناً وقُتل في مبارزة مقدمَ الصفرية.

المصادر والمراجع:

- تاريخ الإسلام للذهبي 259/3.
- تقريب التهذيب 217/1.
- تهذيب التهذيب 110/3.
- الجمع بين رجال الصحيحن 123/1.

1) وقيل سنة 129 وقيل سنة 125.

- خلاصة تذهيب الكمال 87.
- رياض النفوس 1-106/103[1/162-166 من طبعة البكوش بدار الغرب الإسلاميّ].
- الشذرات 176/1.
- طبقات خليفة بن خياط 295.
- طبقات علماء افريقية وتونس لأبي العرب 212-214.
- الطبقات الكبرى لابن سعد 521/7.
- حسن المحاضرة 299/1.
- العبر 169/1.
- الكاشف 17/1.
- الدكتور محمد الحبيب الهيلة ، أسس البناء الثقافي بجامع الزيتونة في القرون الإسلامية الأولى (في جريدة الصباح 29 محرم 1400ديسمبر 1979 السنة 129).
- توشيخ الديباج ص 118-119.
- الحلل السندسية 648/1-650.

* * *

74 - التجيبي (422 هـ) (1031 م)

عتيق بن خلف التجيبي ، أبو بكر ، الفقيه الواعظ ، المؤرخ ، من تلامذه ابن التبّان وابن أبي زيد القيرواني ، وأبي سعيداً بن أخي هشام ، وأبي العباس بن تميم ، والقابسي ، وميسرة بن مسلم بن ربيعة الحضرمي ، ورحل إلى المشرق وأخذ عن جماعة من العلماء ، وروى عنه ابنه عبد الملك .

توفي في 22 جمادي الثانية بالقيروان في عهد المعز بن باديس ، ودفن بباب سلم قرب شقران الهمداني .

مؤلفاته :

1 - كتاب الافتخار في مناقب فقهاء القيروان . ينقل عنه ابن الأبار في تكملة الصلة تراجم الأندلسيين نُزلاء القيروان .

2 - كتاب الطبقات .

وهما مفقودان .

المصادر والمراجع :

- الاعلام 362/4.

- شجرة النور الزكية 106.
- معالم الإيمان 198/3.
- معجم المؤلفين 248/6.
- هدية العارفين 651/1.
- بلاد البربر الشرقية في عهد الزيريين (بالفرنسية) لهادي روجي إدريس 725/2.

* * *

75- الترجمان (نحو 758 - 832 هـ) (1357 - 1430 م)

عبد الله الترجمان واسمه الأصلي أنسلم ترمودا (Anselmo di Turmeda) قسيس إسباني من مدينة ميورقة بالجزر الشرقية المعروفة بالباليار هاجر إلى تونس وأسلم في عهد السلطان أبي العباس أحمد ابن المستنصر الحفصي، وقيل إنه تظاهر بالإسلام وبقي على عقيدته.

ذكر في كتابه «تحفة الأريب» لمحة عن نشأته وهجرته إلى تونس فقال في (الفصل الأول منه) «اعلموا - رحمكم الله - أن أصلي من مدينة ميورقة - أعادها الله تعالى للإسلام - وهي مدينة كبيرة على البحر بين جبلين، يشقها واد صغيره وهي مدينة متجر ولها مرسيان اثنان ترسي بها السفن الكبيرة في المتاجر الجليلة، والمدينة تسمى باسم جزيرة ميورقة، وأكثر غلاتها زيتون وتين ويحمل منها في خصابة زيتونها أزيد من عشرين ألف بتيان لبلاد مصر والإسكندرية، وبجزيرة ميورقة المذكورة أزيد من مائة وعشرين حصناً مسورة عامرة.

وكان والدي محسوباً من أهل الحاضرة في ميورقة، ولم يكن له ولد غيري، ولما بلغت ست سنين من عمري سلمني إلى معلم من القسيسين، فقرأت عليه الإنجيل حتى حفظت أكثر من شطره في مدة سنتين، أخذت في تعلم لغة الإنجيل وعلم المنطق في مدة سنتين، ثم ارتحلت من بلدتي إلى مدينة لاردّة من أرض القطلان، وهي مدينة علم عند النصارى في ذلك القطر، ولها واد كبير يشقها، ورأيت التين مخلوطاً برمله إلاّ أنه صح عند جميع أهل ذلك القطر أن النفقة في تحصيله لا تفي نفقته فلذلك ترك. وبهذه المدينة فواكه كثيرة رأيت الفلاحين يقسمون الخوخة أربعة أفلاق ويمقرونها في الشمس، وكذلك يمقرون القرع والجزر فإذا أرادوا أكلها في الشتاء نقعوها في الليل بالماء وطبخوها كأنها طرية في أوانها.

وبهذه المدينة يجتمع طلبة العلم من النصارى وينتهون إلى ألف طالب أو ألف وخمسمائة ولا يحكم فيها إلاّ القسيس الذي يقرأون عليه، وأكثر نباتها الزعفران، فقرأت فيها الطبيات والنجامة مدة سنتين ثم تصدرت فيها لإقراء الإنجيل بلغته ملازماً ذلك مدة أربع سنين، ثم

ارتحلت إلى مدينة تيونية من الأيزدية ، وهي مدينة كبيرة جداً بنيانُها بالآجر الأحمر الجيد لعدم معادن الحجر عندهم ، ولكن لكل معلم من أهل صناعة الآجر طابع يخصه ، وعليهم أمين مقدم يحتسب عليهم في طيب طين الآجر وطبخه فإذا تفلح أو تفرك منه شيء غرم الذي صنعه قيمته وعوقب بالضرب .

وهذه مدينة علم عند جميع ذلك القطر ، ويجتمع بها كل عام من الآفاق أزيد من ألفي رجل يطلبون العلم ، ولا يلبسون إلاّ الملف الذي هو صباغ الله ، ولو يكون منهم طالبُ علم سلطانا أو ابنَ سلطان فلا يلبس الا ذلك ليمتاز الطلبة سن الغير ، ولا يحكم فيها إلاّ القسيس الذي يقرأون عليه فسكنت بها كنيسة لقسيس كبير السن وعندهم كبير القدر اسمه «نقلا مرتيل» وكانت منزلته بينهم بالعلم والدين والزهد رفيعة جداً انفرد بها في زمنه عن جميع أهل دين النصرانية ، فكانت الأسئلة مخصوصاً في دينهم ترد عليه من الآفاق وصحبة الأسئلة من الهدايا الضخمة ما هو الغاية في بابه ، ويرغبون في التبرك به وفي قبوله لهداياهم فيتشرفون بذلك ، فقرأت على هذا القسيس علم أصول الدين النصرانية وأحكامه ، ولم أزل أتقرب إليه بخدمته والقيام بكثير من وظائفه حتى صيرني أخص خواصه وانتهيت في خدمته وتقريبي إليه إلى أن دفع مفاتيح مسكنه وخزائن مأكله إليّ ، ولم يستثن من ذلك سوى مفتاح بيت صغير بداخل مسكنه فكان يخلو فيه بنفسه ، الظاهر انه بيت خزانة أمواله التي تهدى إليه ، والله أعلم بحقيقته . فلازمته على ما ذكرت من القراءة عليه والخدمة له عشرَ سنينَ ، ثمّ أصابه مرض يوماً من الدهر فتخلّف عن القراءة وانتظره أهل المجلس وهم يتذاكرون فس مسائل من العلوم إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قوله تعالى إلى نبيه عيسى عليه السلام أنه يأتي من بعدي نبي إسمه (البارقليط) فعظم ذلك بينهم في مقالهم وكثر جدالهم .

ثم انصرفوا عن غير تحصيل فائدة من تلك المسألة ، فأتيت مسكن الشيخ صاحب الدرس المذكور فقال لي : ما لاذي عندكم اليوم من البحث في غيبتي عنكم ؟ فأخبرته اختلاف القوم في اسم (البارقليط) وان فلاناً أجاب بكذا ، وأجاب فلان بكذا ، وسردت له أجوبتهم فقال لي : وبماذا أجبت أنت ؟ فقلت بجواب القاضي فلان في تفسيره للإنجيل . فقال لي : ما قصرت وقربت ، وفلان أخطأ ، وكاد فلان يقارب الصواب ، ولكن الحق خلاف هذا كله لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلاّ العلماء الراسخون في العلم ، وأنتم لم يحصل لكم من العلم إلاّ القليل ، فبادرت إلى قدميه أقبلها وقلت : يا سيدي ، قد علمت أني ارتحلت إليك من بلد بعيدة ، ولي في خدمتك عشر سنين حصلت عنك فيها من العلوم جملة لا أحصيها فلعل من جميل إحسانكم أن تتفضل عليّ بمعرفة هذا الاسم الشريف ، فبكى الشيخ وقال : يا ولدي والله إنك لتعز عليّ كثيراً من أجل خدمتك لي وانقطاعك إليّ ، وإن في معرفة هذا الاسم الشريف فائدة عظيمة ، لكن أخاف عليك أن تظهره فتقتلك النصارى في الحين .

فقلت : يا سيدي والله العظيم وبحق الإنجيل ومن جاء به لا أتكلم بشيء مما تسره إليّ إلاّ

عن أمرك فقال: يا ولدي إني سألتك في أول قدومك عن بلدك وهل هو قريب من المسلمين وهل يغزونكم أو تغزونهم؟ لأستخبرَ به ما عندك من المنافرة للإسلام، فاعلم يا ولدي أن (البار قليط) هو اسم من أسماء نبيهم محمد ﷺ أنزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال عليه السلام - واخبر انه سينزل هذا الكتاب عليه وإن دينه دين الحق، وملته هي الملة البيضاء والمذكورة في الإنجيل.

فقلت: يا سيدي وما تقول في دين النصارى؟

فقال: يا ولدي لو أن النصارى قاموا على دين عيسى عليه السلام - لكانوا على دين الله - لأن عيسى وجميع النبيين دينهم دين الله تعالى.

فقلت: وكيف الخلاص؟

فقال: بالدخول في دين الإسلام.

فقلت: وهل ينجو الداخل فيه؟

قال لي: نعم ينجو في الدنيا والآخرة.

فقلت له: يا سيدي ان العاقل يختار لنفسه أفضل ما يعلم، فإذا علمت فضل دين الإسلام فما منعك من الدخول فيه؟

فقال لي: يا ولدي إن الله لم يطلعني على فضل دين الإسلام وشرف نبي الإسلام إلى بعد كبر سني وضعف جسمي، ولا عذر لنا فيه بل حجة الله علينا قائمة، ولو هداني الله لذلك وأنا في سنك لتركت كل شيء ودخلت في دين الحق، وحب الدنيا رأس كل خطيئة فأنت ترى ما أنا فيه عند النصارى من رفعة الجاه والعز والترقي وكثرة عرض الدنيا، ولو أني ظهر عليّ شيء من الميل إلى دين الإسلام لقتلني العامة في أسرع وقت، وهب أني نجوت منهم وخلصت إلى المسلمين فأقول: إني جئتكم مسلماً فيقولون لي: قد نفعت نفسك بالدخول في دين الحق فلا تمنن علينا في دين خلصت به نفسك من عذاب الله، فأبقى بينهم شيخاً فقيراً ابن تسعين سنة لا أفقه لسانهم ولا يعرفون حقي، فأموت بينهم بالجوع، وأنا والحمد لله على دين محمد - ﷺ - وعلى ما جاء به وإن كنت على دين عيسى ظاهراً يعلم الله ذلك مني.
فقلت له: يا سيدي أفتدلني أن أمشي إلى بلاد المسلمين أو أدخل في دينهم؟

فقال لي: إن كنت عاقلاً طالباً للنجاة فبادر إلى ذلك تحصل لك الدنيا والآخرة، ولكن يا ولدي هذا أمر لم يحضره أحد معنا الآن فاكتمه بغاية جهدك، وإن ظهر عليك شيء منه يقتلك العامة لحينك ولا أقدر على نفعك، ولا ينفعك أن تنقل ذلك عني فأني وقولي مصدق عليك وقولك غير مصدق عليّ، وأنا بريء من دمك ان فهت بشيء من هذا.

فقلت له : يا سيدي أعوذ بالله من سريان الوهم إلى هذا الحد ، وعاهدته بما أرضاه . ثم أخذت في أسباب الرحلة وودعته فدعا لي بخير وزودني بخمسين ديناراً ذهبياً ، وركبت البحر منصرفاً إلى بلدي مدينة ميورقة فأقمت بها ستة اشهر ، ثم سافرت منها إلى جزيرة صقلية وأقمت بها خمسة أشهر وأنا أنتظر مركباً يتوجه لأرض المسلمين فحضر مركب يسافر إلى مدينة تونس ، فسافرت فيه من صقلية ، وأقلعنا عنها قرب مغيب الشفق ، فوردنا مرسى تونس قرب الزوال بحكم الله تعالى ، فلما أنزلنا بديوان تونس وسمع بي الذين بها من النصارى أتوا بمركوب حملوني معهم إلى ديارهم وصحبتهم بعض التجار الساكنين أيضاً بتونس فأقمت عندهم في ضيافتهم على أرغد عيش أربعة أشهر ، وبعد ذلك سألتهم هل بدار السلطنة أحد يحفظ لسان النصارى ، وكان السلطان إذ ذاك مولانا أبو العباس أحمد - رحمه الله- فذكروا لي أن بدار السلطان المذكور رجلاً فاضلاً من كبار خواصة اسمه يوسف الطبيب وكان طبيبه ومن خواصه ففرحت بذلك فرحاً شديداً وسألت عن مسكن هذا الرجل الطبيب فدللت عليه واجتمعت به وذكرت له شرح حالي وسبب قدومي للدخول في دين الإسلام وأني أرغب أن يكون ذلك على يديه فسر الرجل بذلك سروراً عظيماً ثم ركب فرسه وأحتملني معه إلى دار السلطان ، ودخل عليه فأخبره بحديثي . وأستأذنه عليّ فتمثلت بين يديه ، فأول ما سألني السلطان عن عمري فقلت له خمسة وثلاثون سنة ثم سألني كذلك عما قرأت من العلوم فأخبرته ، فقال لي : قدمت خير مقدم فأسلم على بركة الله تعالى فقلت للترجمان - هو الطبيب المرقوم - : إنه لا يخرج أحد من دين إلاّ ويُكثِر أهله القول فيه والطعن عليه فأرغب من إحسانكم إلى الذين بحضرتكم من تجار النصارى وأجنادهم وأختارهم وتسألوهم عني وتسمع ما يقولونه في حقي ، وحينئذ أسلم .

فقال لي بواسطة الترجمان أنت طلبت كما طلب عبد الله بن سلام من النبي - ﷺ - حين أسلم . ثم أرسل إلى أجناد النصارى وبعض تجارهم وأدخلني في بيت قريب من مجلسه فلما دخل النصارى عليه قال لهم : ما تقولون في هذا القسيس الجديد الذي قدم في هذا المركب قالوا : يا مولانا هو عالم كبير في ديننا ، وقال شيوخنا أنهم ما رأوا أعلى منه درجة في العلم والدين في ديننا .

فقال لهم : وما تقولون فيه إذا أسلم ؟

فقالوا : نعوذ بالله من ذلك وهو ما يفعل هذا أبداً .

فلما سمع ما عند النصارى بعث إليّ فحضرت بين يديه وتشهدت بشهادة الحق بمحضر النصارى فصلبوا على وجوههم وقالوا : ما محمله على هذا إلاّ حب التزويج فإن القسيس عندنا لا يتزوج فخرجوا مكروبين محزونين ، فرتب لي السلطان - رحمه الله - كل يوم ربع دينار ، وأسكنني في دار المختص وزوجني بنت الحاج محمد الصفار ، فلما عزمت على البناء بها أعطاني مائة دينار ذهباً وكسوة جديدة كاملة فابتنيت بها وولد لي منها ولد سميته محمداً

على وجه التبرك باسم نبينا محمد - ﷺ - .

الفصل الثاني - فيما اتفق لي أيام مولانا أبي العباس أحمد وولده مولانا أبي فارس عبد العزيز.

وبعد خمسة أشهر من إسلامي قدمني السلطان لقيادة البحر بالديوان(1) فكان مراده بذلك أن أحفظ اللسان العربي فيه بكثرة ما يتكرر علي من ترجمة التراجمة بين النصارى والمسلمين فحفظت اللسان العربي في مدة عام، وحضرت لعمارة(2) الجنويز وللفرانسيس لمدينة المهدية وكنت أترجم للسلطان ما يرد من كتبهم، وانتقلت مع السلطان لحصار قابس وكنت على خزائنه، ثم إلى حصار قفصة، وفيه ابتدأ مرضه الذي مات فيه ثالث شهر شعبان عام ستة وتسعين وستمائة(3) ثم تولى الخلافة بعده مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين أبو فارس عبد العزيز، فجدد لي جميع أوامر والده بمرتباتي ومنافعي كلها، ثم زادني ولاية دار المختص، فاتفق لي في أيامه بالديوان أن مركباً قدم موسوقاً بسلاح المسلمين فلما أرسى دخل عليه مركبان من صقلية فأخذاه لحينه بعد أن هرب المسلمين منه برقابهم واستولى النصارى على أموالهم فأمر مولانا السلطان أبو فارس صاحب ولاية الديوان وشهوده أن يخرجوا إلى حلق الوادي ويتحدثوا مع النصارى في فداء أموال المسلمين فخرجوا وطلبوا الأمان لترجمان كان معهم فأمنوه فصعد إليهم لمراكبهم وتحدث معهم في الوزن، فقالوا في ذلك ولم يحصل منهم شيء، وكان قد ورد في هذا المركب قسيس كبير القدر في صقلية، وكان بيني وبينه صداقة كبيرة كأنها أخوة، إذ كنت أطلب العلم معه، وقد سمع بإسلامي فقدم في هذا المركب يستدعيني الرجوع إلى دين النصرانية، ويأخذني بالصداقة التي كانت بيننا فلما اجتمع بالترجمان الذي صعد إليهم للمركب قال له: ما إسمك؟ قال: علي. فقال له: يا علي خذ هذا الكتاب وبلغه للقائد عبد الله قائد البحر-عندكم بالديوان، وهذا دينار فإذا رددتَ لي جوابه أعطيك ديناراً آخر، فقبض منه الكتاب والدينار وجاء لحلق الوادي، فأخبر صاحب الديوان بكل ما قالوا له ثم أخبره بما قاله القسيس، وبالكتاب الذي أعطاه وبالدينار الذي استأجره به فأخذ صاحب الديوان الكتاب وترجمه له بعض التجار الجنويّين، فبعث الأصل والنسخة لمولانا أبي فارس، فقرأه ثم بعث إليّ فحضرت بين يديه فقال لي: يا عبد الله هذا كتاب رجل من البحر فاقرأه وأخبرنا بما فيه فقرأته وضحكت، فقال لي: ما أضحكك؟

---

1) الديوان في اصطلاح العصر الحفصي هو مصلحة الجمارك وبالناحية الجنوبية من صفاقس باب يسمى إلى الآن باب الديوان، وكان قديماً يشرف على البحر على مقربة من مصلحة الجمارك.

2) جاء في ثمانين قطعة ونازلوا المهدية وأقاموا عليها نحو شهرين، ووجه إليهم السلطان أبو العباس أحمد جيشاً مع أخيه الحاجب أبي زكريا ودارت بينهم معارك متعددة. ثم انجلوا عنها دون أن يظفروا بمرغوب. راجع اتحاف أهل الزمان 180/1 والمؤنس ص 153.

3) كذا في الأصل من طبعة مصر وهو تحريف ظاهر صوابه: سبعمائة (بتقديم السين 796).

فقلت له : نصرك الله هذا كتاب مبعوث إليّ من قسيس كان من أصدقائي في الأول ، وأنا أترجمه لكم الآن إن شاء الله تعالى فجلست في ناحية فترجمته بالعربية ، ثم ناولته الترجمة فقرأها ، ثم قال لأخيه المولى إسماعيل : والله العظيم ما ترك شيئاً .

فقلت له : يا مولاي وبأي شيء عرفت ذلك ؟

قال : نسخة أخرى ترجمها الجنويزيون . ثم قال : يا عبد الله وماذا عندك أنت في جواب هذا القسيس ؟ فقلت له : يا مولاي الذي عندي ما علمت مني من كوني أسلمت باختياري رغبة في دين الحق ولست أجيب إلى شيء مما أشار إليّ قطعاً .

فقال لي : قد علمنا صحة إسلامك ولا عندنا فيك شك أصلاً ، ولكن الحرب خدعة ، فاكتب إليه في جوابك أن يأمر صاحب المركب أن يفادي سلع المسلمين ويرخص عليهم ، فقل له : إن اتفقتم مع تجار المسلمين على سعر معلوم فإني أخرج مع الوزان بقصد وزن السلع ثم أهرب إليكم بالليل . ففعلت ما أمرني به وأجبت القسيس بهذا ، ففرح وأرخص على المسلمين في فداء متاجرهم وخرج الوزان مغاراً ولم أخرج معه فبئس مني ذلك القسيس ، فأقلع مركبه وأنصرف إلى خذلان الله .

وكان نص كتابه «أما بعد السلام من أخيك فرنسيس القسيس أعرفك أني وصلت هذا البلد برسمك لأحملك معي ، وأنا اليوم عند صاحب صقلية بمنزلة أن أعزل وأولي ، وأعطي وأمنع ، وأمر جميع مملكته بيدي ، فاسمع مني وأقبل إليّ على بركة الله تعالى ، ولا تخف ضياع مال ولا جاه وغير ذلك فإن عندي من المال والجاه ما يغمر الجميع وأعمل لك كل ما تريد» .

انتهى .

هذه ترجمة مراحل حياته بإسبانيا وإسلامه بتونس ووظائفه بها وماجريات أحواله بها ، آثرنا نقلها تمامة وفيها عبرة وذكرى .

مات بتونس وقبره معروف بسوق السراجين بتونس ، وتسمية الجماهير سيدي تحفة . له تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، فرغ منه سنة 1420/823، ط . بتونس سنة 1872/ 1290هـ وبمصر سنة 1895 في 68 ص . وأثنى في هذا الكتاب على السلطان أبي العباس وابنه أبي فارس عبد العزيز وذكر ما أبطله من المكوس بأسواق تونس ونقل ذلك عنه المؤرخون كالزركشي وابن أبي دينار في «المؤنس» وبهذا يكون مصدراً ثانوياً للعصر الحفصي في هذه الفترة .

المصادر والمراجع :

- إتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف 180/1.

- كشف الظنون 362.
- معجم المطبوعات 630.
- معجم المؤلفين 78/6.
- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام (ط. تونس سنة 1967).
- هدية العارفين 468/1.
- إيضاح المكنون 381/1.
- تاريخ الدولتين للزركشي (ط./1) 57.
- تحفة [الأريب] ترجمة وردّ إسلامي على النصارى، تأليف ميقال دي إيبلزا (Miguel di Epalza) تقديم عبد المجيد الشرفي.
- حوليات الجامعة التونسية ع 12، 1975، ص283-290.
- بلاد البربر الشرقية في عصر الحفصيين 322/1، 470، 471، 376/2.

* * *

76 - التركي (1328 - 1397 هـ) (1910 - 1977 م)

عبد السلام بن محمود التركي، الأديب الشاعر، الكاتب. ولد بصفاقس في 15 أوت 1910، وتلقى التعليم الابتدائي بالمدرسة التهذيبية القرآنية، ثم الثانوي بالجامع الكبير (الفرع الزيتوني) ثم انتقل إلى العاصمة سنة 1922، وواصل تعلّمه بجامع الزيتونة إلى أن تخرّج منه محرزاً على شهادة التطويع في 20 جويلية 1926.

ورجع إلى مسقط رأسه فسمي في غرّة أكتوبر 1926 معلماً بمدرسة الهلال القرآنية إلى سنة 1956 حيث عُيّن مديراً لها، وفي غرّة فيفري 1964 سمي مديراً لمدرسة 18 جانفي بضم مدرستي الهلال والسعادة، وفي سنة 1967 تخلى عن مهام الإدارة، وعاد للتدريس بصفة معلّم دولة استثنائي إلى نهاية سنة 1969-1970، وهي السنة التي أحيل فيها على التقاعد.

كتب بالصحف والمجلات بإمضاءات مستعارة منها: «المدرسي» و «ابن الزيتونة» ويرمز أحياناً إلى اسمه ولقبه (عين الله ترعاكم)، وله مراسلات أدبية واجتماعية مع كبار المفكرين ورجال الصحافة. عمل بالإذاعة الجهَويّة بصفاقس من سنة 1971 إلى سنة وفاته، وانتهج من البرامج (وحي القرآن) وهو تفسير لآيات من القرآن الحكيم، و (أحاديث دينية) متعددة، وكان يشرف على إصلاح البرامج ويراقبها.

وكانت وفاته في 3 جوان 1977.

له ديوان شعر قدّم منه نماذج بالإذاعة الجهَويّة بصفاقس.

المرجع :

– أمدني بهذه الترجمة مشكوراً الصديق العزيز شاعر صفاقس الأستاذ محمد الشعبوني بارك الله في أنفاسه الطيبة.

* * *

77 – التُّرَيْكِي (829 - 894 هـ) (1417 - 1489 م)

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن علي بن محمد البيدموري التركي التونسي، ويقال له التريكي بالتصغير، الفقيه الأصولي المنطقي.

كان علي جد أبيه من آمد، ونشأ ابنه بدمشق وكانت له بها رياسة لاتصاله بنوروز أو غيره وانتقل ابنه إلى المغرب فاراً من المؤيد فسكن تونس وتزوج بها فولد له صاحب الترجمة ونشأ بها، فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، ثم تلا بالسبع على أبي القاسم البُرْزُلي فأتقنها وهو ابن عشر، وأجازه بما اشتملت عليه فهرسته، وحفظ الشاطبيتين وعرضهما على محمد ابن القماح الأنصاري الأندلسي وأجاز له الرسالة، وبعض ابن الحاجب الفرعي وغير ذلك، وأخذ الفقه عن جماعة منهم البرزلي، وأبو القاسم الوشتاتي القسنطيني، وعمر القلشاني، وعن ثانيهم ومحمد الرملي وغيرهما أخذ العربية، وعن الأخير وعبد العزيز البحيري وغيرهما المعاني والبيان وعن الأخيرين والرملي وغيرهم، أصول الفقه، وعلى الرملي، وأبي يعقوب المصمودي، ومحمد بن عقاب قاضي تونس المنطق، وعن القلشاني، والرملي وأبي الفضل المعلقي أصول الدين، وعن محمد بن أبي بكر الونشريسي والحاج المصري الحساب والفرائض، وعن أولهما العروض وبرع في جل هذه العلوم. وقدم القاهرة هارباً مما اتفق له سنة 1446/849 فحج ورجع وأقام بها وتردد على أعيان علمائها كالحافظ ابن حجر، وأخذ عنه واغتبط كل مهما بالآخر، واجتمع به السخاوي في مجلس شيخه الحافظ ابن حجر، واجتمع به قبل ذلك أول ما قدم القاهرة، وسمع من نظمه ومباحثه في قدماته إلى القاهرة، وكان لازم التردد على الكمال البارزي، ونوه به حتى ولاه قضاء المالكية بدمشق عوضاً عن الشهاب التلمساني في جمادي الأولى سنة 1449/852، ثم لم يلبث أن صرف عنه وانتمى لأبي الخير النحاس بحيث كاد يلي قضاء مصر، وأعطاه المكتبة المحمودية بعد الحافظ ابن حجر، ولذا امتحن مسموعاته المذكورة، ثم رجع إلى تونس، وتولى الخطابة بجامع أبي محمد الحفصي من ربض باب السويقة ومفتياً به بعد صلاة الجمعة، ومدرساً بالمدرسة المنتصرية بسوق الفلقة، وناظراً في الأحباس، وذلك سنة 1459/864، وعزل عن الأحباس في ربيع الثاني سنة 1461/875 ثم تولى قضاء المحلة (العسكر).

له ضخامة ووجاهة ورسوخ في الفقه واستحضار كثير له ولغيره من العلوم، وحافظته جيدة حتى كان ابن الهمام يقول أنه معجون فقه. وأدبه كثير، ومحاضرته حسنة، قال السخاوي: ولكن الظاهر أنه معلول الديانة غير متشبث ولا متحر، وقد أفحش البقاعي في شأنه حمية لشيخه أبي الفضل البجائي، وأعتمد في كثير مما أثبته على أعدائه كأبي الفضل.

مؤلفاته:

1 - إكمال الأمل في شرح الجمل. وهو شرح لجمل الخونجي في المنطق، في سفرين جمع فيه بين شرح ابن واصل، والشريف التلمساني، وسعيد العقباني، ومحمد بن مرزوق، مع زيادات من شرح الشمسية، وشرح ابن الحاجب، وشرح ابن رشد لكلام أرسطو وغير ذلك من غير تكرير.

2 - شرح الشمسية في المنطق.

3 - شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي.

المصادر والمراجع:

- تاريخ الدولتين 143,B6.
- الحلل السندسية ق. 3./686-685
- درة الحجال 141-140/2.
- شجرة النور الزكية 260.
- الضوء اللامع 194/11, 287, 286/6. (قسم الانساب منه) نيل الإبتهاج 323.
- توشيخ الديباج 187-188.

* * *

78 - ابن تعاريت (1289 هـ) (1872 م)

سعيد ابن الحاج علي بن تعاريت الجربي الإباضي، فقيه له عناية بالتاريخ. له رسالة في تراجم علماء الجزيرة (جربة) وذكر أمرائها من بني سمومن وبني جلود، فرغ من تأليفها سنة 1857/1274.

والمتداول مختصر منها، ونصها الأصلي عند أحد أحفاده وهو شديد الضن بها، وحدثني الأخ الصديق الأستاذ الصادق بن مرزوق أنه طلبها منه لتحقيقها ويكون شريكه

بالنصف في مقابل ما يأخذه في تحقيقها ، فلم تطب نفسه وحدث بعض الناس أن الأستاذ يريد التحيل عليه ، وهكذا تضيع الآثار العلمية بين أيدي الجهال الذين استولى عليهم الشح والطمع المادي . والرسالة ملحق لسير الشماخي حفظ فيها عدة وثائق من الضياع ، وترجم فيها لجل علماء جربة من القرن التاسع إلى عصره القرن الثالث عشر .

ويستعمله صاحب كتاب «الإباضية في موكب التاريخ» لسعيد بن تعاريت الثاني ، وهو خطأ .

المرجع :

- نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة لفرحات الجعبيري ، ص 343,11.

* * *

79 – ابن تعاريت (1255... هـ) (1355 - 1936 م)

سعيد بن علي بن تعاريت الجربي الإباضي فقيه جليل مناظر .

قرأ بجامع الزيتونة ، وتخرج منه محرزاً على شهادة التطويع ، ثم قصد جبل نفوسة بليبيا للتفقه في المذهب على عادة الطلبة الإباضية من جربة . وفي مدة إقامته بالجبل أصدر بعض فقهاء طرابلس فتوى في عدم قبول شهادة الإباضية عند التقاضي فأقترح عليه شيخه أن يرد عليه فألف «رسالة المسلك المحمود في معرفة الردود» ط . على الحجر بليبيا بدون تاريخ .

نقلت ترجمته من كلام دار بيني وبين الصديق الأستاذ الصادق بن مرزوق جزاه الله خيراً . وفي خصوص عدم قبول شهادة الإباضية نقول : إن الاباضية يحترزون من الكذب ولا يستجيزونه وهم من أصدق الفرق الإسلامية ، وقد نص علماء الجرح والتعديل على أن الخوارج من أصدق الناس حديثاً ، ولذلك قبلوا روايتهم فإذا صدقوا في الرواية وهي دين فكيف لا يصدقون في الشهادة ؟

نعوذ بالله من الهوى والغرض المضلين .

* * *

80 – ابن تعاريت (من رجال القرن 10 هـ) (16 م)

يونس بن سعيد بن نحي بن تعاريت الصدغياني الجربي الإباضي ، أبو النجاة . أخذ عن الشيخ زكريا الصدغياني .

ترأس الحلقة سنة 1497/908، ولم يكتف بذلك بل رحل إلى جبل نفّوسة ليأخذ عن أبي عفيف صالح بن نوح التندميري، ولما انتهى من الدراسة رجع إلى جربة ودرس في جامع تاجديت (أي الجديد) الكائن بحومة (حارة) فأتو من جهة صدغيان، وهو قريب من منزله، وتخرج به كثيرون منهم ثلاثة كانت لهم اليد الطولى في إصلاح المجتمع الإباضي بجربة، وجبل نفوسة ووادي الميزاب في الجزائر وهم:

1 - سلامة الجنّاوني.

2 - سعيد بن علي الجربي مصلح وادي ميزاب.

3 - أبو يوسف يعقوب بن صالح التندميري شيخ الشمّاخي صاحب كتاب «السير». كان شيخ حلقة العزّابة، وفي عهده هاجم الأسطول الإسباني بقيادة «بادروتفارو» جربة سنة 1510/916، وتمكن الجربيون بقيادة عزابتهم من هزيمة هذا الأسطول شر هزيمة بعد أن اجتمع العزابة وشيخ الحكم أبو زكرياء يحيى السمومني عند صاحب الترجمة.

له أجوبة في الأحكام وغيرها نقلها تلميذه سلامة بن يونس بن سلامة الجناوني وجمعها بعنوان: تقييدات مسائل.

المرجع:

نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة 215, 269, 304, 305.

* * *

81 - التلاتلي[1] (967 هـ) (1560 م)

داود بن ابراهيم التلاتلي الجربي الإباضي، أبو سليمان، العلامة المحقق.

تحدث عن مراحل حياته العلمية فقال «أول ما قرأت العقيدة عقيدة التوحيد وغيرها على عمنا أبي زكريا عيسى الباروني[2]، ثم قدمت من نفوسه إلى جربة وقرأت بها عند الفقيه أبي

1) نسبة إلى حومة (حارة) التلات بتاءين مثناتين من فوق، ونسب إليها بزيادة لأم بعد التاء الاخيرة على غير قياس، ولعل هذه الصيغة شاعت بعد العصر التركي إذ هم يزيدون اللام قبل ياء النسب فيقولون مثلاً جزائرلي بدلاً من جزائري. وحومة التلات معروفة في جربة قرب قلالة (بالقاف المعقودة).

2) حسب رواية الشيخ سعيد بن علي الجربي، وفي الباروني، «أول ما قرأت العقيدة عقيدة التوحيد وغيرها على عمنا أبي بكر بن عيسى الباروني» ويظهر أنه تصحيف وتحريف، وليسا أخوين كما يتبادر إلى الذهن.

القاسم بن يونس السدويكثسي». ومن شيوخه بجربة العلامة أبو يحيى زكرياء بن إبراهيم الهواري، ثم رحل مرة ثانية إلى جبل نفوسه فأخذ عن أبي يوسف يعقوب بن صالح الجناوي علامة أجناون[1]. ولما ارتحل شيخه هذا إلى جربة بقي هو بجبل نفوسة ملازماً العلامة إبراهيم بن أحمد من سلالة أبي منصور إلياس التندميري النفوسي الإمام المشهور عامل الإمام أفلح بن عبد الوهاب الرستمي، أخذ عنه المعقول كالمنطق والبيان حتى برع فيها ونبغ ثم إرتحل إلى مصر، وكان موجوداً بها في عام 1507/913، ولقي بها علي بن إبراهيم الكيلاني بلداً ومنشأ المصري داراً وسكناً، وقرأ عليه ايساغوجي لاثير الدين الأبهري في المنطق. والظاهر أنه ارتحل إلى مصر وهو شاب، ولا ندري أكان ذلك بعد رحلته الأولى إلى جبل نفوسة أم بعد رحلته الثانية. وعندما عاد إلى جربة انتصب للتدريس والوعظ، وأحرز شهرة وصيتا والتف حوله سكان الجزيرة لما امتاز به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي سنة 1554/961 ارتحل إلى وادي ميزاب فأخذ عن العلامة عيسى بن إسماعيل المليكي الميزابي، وعن الشيخ سعيد بن علي الخيري الجربي الشهير في غرداية بعمي سعيد.

ولما عاد من هذه الرحلة إلى جزيرة جربة التف حوله الناس وأصبح زعيمهم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، المنفذ للأحكام والساهر على أمن الجماهير وراحتها.

ويبدو أنه آخر من تولى رئاسة مجلس العزّابة. وكان لغزارة علمه وقوة شخصيته وصلابة إرادته يبدو وكأنه يقف في الميدان منفرداً يتولى جميع الشؤون وهذا ما عبر عنه العلامة أبو إسحاق أطفيش بقوله: «حتى كان في مكانته بمنزلة الإمام العامل في تنفيذ الأحكام، والسهر على أمن الأمة وراحتها، والحقيقة أن مجلس العزابة يقوم في طور الكتمان بعمل الحكومة الجمهورية، وشيخ العزابة يكون بمثابة رئيس الجمهورية والإمام العادل ينفذ الأحكام، ويصدر الأوامر ويتولى جميع الشؤون التي يقررها المجلس. على أن ظروف الحياة في جربة قد اضطرت مجلس العزابة أن يدخل بعض التعديل على نظامه، فخالف بذلك نظام العزابة المعروف في جبل نفوسه (ليبيا)، ونظام العزابة المعروف عند الإباضية في وادي ميزاب (الجزائر)، وذلك أن المجلس يختار من أعضائه شيخاً يسمى شيخ الحكم يسند إليه القيام بالشؤون السياسية والدينية تحت استشارة مجلس العزابة. وهذا الشيخ أصبح لا تتوفر فيه شروط العزابة ولا يكون عضواً في الحلقة، وإنما يكون غالباً كإمام دفاع في حالات الحرب، وكواسطة بين الطائفة الإباضية والدول الظالمة لجمع الضرائب بالطريقة التي يقررها مجلس العزابة، ويسلمها لعمال الدولة الحاكمة، وذلك حتى لا يكون التعاون المباشر بين حلقة العزابة والحكام الظالمين.

وهذا التعديل الذي أدت إليه ظروف خاصة في جربة أُجري – حسب الظن الغالب –

1) بفتح الهمزة والجيم والواو وتشديد النون، لفظ بربري معناه الجنان جمع أجنة وجنة، وهي من أجمل قرى جبل نفوسة، بها عين ثرة تسقي القرية وحدائقها الغناء.

بعد القرن التاسع، للهجرة ويدل على إجراء هذا التعديل كلمة داود التلاتلي المترجم له حين استجواب درغوث باشا له: «نحن جماعة العزابة ليس بايدينا ولا إلينا تولية الأمراء وعزلهم».

والحقيقة أن مجلس العزابة في جربة بدأ يتخلى ويضعف عن مزاولة إختصاصاته فكانت تسلب منه شيئاً فشيئاً كما سلبت منه الرئاسة السياسية والمدنية. وقد يتولى في بعض الأحيان بعض كبار العلماء رئاسة المجلس فينتعش كما انتعش في عهد المترجم له. وعهد شيخ المشايخ يونس بن تعاريت وغيرهما. كانت جربة في عهد المترجم له تابعة لحكم درغوث باشا صاحب طرابلس، وارتكب عماله العسف والجور، وحاول أهل جربة جعلها تابعة لحكم تونس[1]، فلما سمع بذلك درغوث باشا جهز حملة عسكرية ونزل ببرج القشتيل، وفتك بالثائرين. و في ثالث يوم من الهزيمة أتى موسي بن أبي عمر بن أبي الجلود شيخ الحكم إلى المترجم له مع جماعة من الجند فقال له: «لوسرت معنا إلى درغوث لنتكلم مع الضعفاء». فقال له: «نحن جماعة العزابة». فسار معه فكلمه درغوث في مخالفة جربة وما كان من أهلها، فقال له الشيخ التلاتلي: «نحن جماعة العزابة ليس بايدينا ولا إلينا تولية الأمراء ولا عزلهم في هذا الزمان». فقال له درغوث: «بل أنتم أدخلتم (حاصرتم) مسعوداً (أي السمومني) وأفسدتم البلاد وفعلتم وفعلتم». فقال الشخ «ما فعلنا إلاّ الخير، ولسنا من أهل الشر، بل الفساد من قبلك لتقديمك الأ سافل وغير ذلك». وفي هذا الجواب صدق وجرأة يدلان على شجاعة أدبية كبيرة.

فأخذ درغوث الشيخ وسجنه نحو شهر، ثم قتله لكثرة الطعن فيه من النكّرة والحسدة، وذلك في أول جمادى الأولى.

ويبدو من هذا أن المترجم له بمكانته الدينية ورئاسة مجلس العزابة قام بدور كبير في إضرام نار الثورة على حكم درغوث باشا، والتفاوض مع الحكومة بتونس لإرجاع جربة إلى رحابها، يضاف إلى هذا ما قام به خصومه الدينيون (الإباضية النكارة) وخصومه السياسيون من السعايات والدسائس. ودفن في غابة بركوك على تخوم حومة والغ، وأقيم الجامع الذي سمي باسمه حول ضريحه.

---

1) في «مؤنس الأحبة» أن درغوث أمر بصلب التلاتلي في أول الجمادين سنة سبع وتسعين وتسعمائة، هكذا مضبوطة بلسان القلم، والصواب: سنة سبع وستين (بتقديم السين على التاء) وأعاد نفس الخطأ في ص 114 عند الكلام على حملة درغوث الانتقامية من أهل جربة، هذا مع العلم بأن درغوث توفي سنة 1565/973، فكيف تصح نسبة أحداث له بعد وفاته بنحو أربع وعشرين سنة؟
وذكر أن الجربيين أرادوا أن تكون جزيرتهم تابعة لحكم الأتراك بتونس، ومن المعروف إن بداية حكمهم كانت سنة 1573/981. وغفل عن هذا محقق الكتاب الأستاذ محمد المرزوقي وفي نشرة أكزيقا قيصر Exiga Cesar لمؤنس الأحبة ص 10 أن التلاتلي قتل سنة سبع وستين وتسعمائة، وهذا هو القول المعتمد.

مؤلفاته :

1 – شرح ايساغوجي لأثير الدين الأبهري في المنطق، ط. بالمطبعة الأهلية بتونس سنة 1903/1321 في 32 صفحة من القطع المتوسط وط. مرات بعد ذلك.

جاء في خطبته «أما بعد فهذه تقييدات على متن ايساغوجي للشيخ أثير الدين الأبهري – برد الله ثراه وجعل الجنة مأواه – تجري مجرى الحاشية، جمعتها مما تلقيته من لفظ الأستاذ آخر العلماء المتبحرين، قدوة المخلصين، رئيس المحققين، جمال العرب والعجم، أبي الحسن علي بن إبراهيم الكيلاني بلداً ومنشأ، المصري داراً وسكنا، لا زالت رباع العلوم بلطائف نكته مأهولة، وأرحام الحكم بعواطف فكره مبلولة. وكان أول مجلس سمحت به الأيام في قراءتي لهذه الرسالة عنده يوم الأربعاء ثاني عشر صفر المبارك ثاني شهور سنة ثلاث عشرة بعد التسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية، وذلك بالمدرسة الجيعانية بشاطىء بحر النيل ببولاق من أعمال مصر المحروسة».

2 – شرح على الآجرومية. كان عمدة المبتدئين من الإباضية في عصره وبعده. قال الشيخ إبراهيم طفيّش: «قل ان نجد ممّن ادركناه لا يحفظه عن ظهر الغيب».

3 – العقيدة «مقدمة التوحيد» للشيخ عمر بن جميع الجربي، ط. مع شرح البدر الشمّاخي بالقاهرة سنة 1934/1353 بعناية العلامة المرحوم الشيخ إبراهيم طفيش الذي قال في مقدمته: «وشرح المقدمة هذه مقدمة العقيدة كذلك قل أن نجد ممن أدركناه من العلماء والتلاميذ من لم يكن من محفوظاته وذلك في بلادنا (وادي ميزاب) ولعل الحال في الجزيرة ونفوسة كذلك».

المصادر والمراجع :

– الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الثالثة.
– الإباضية في تونس ص 157-161.
– السير للشماخي 579-582.
– مؤنس الأحبة في أخبار جربة 93-94-114.
– نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، 218-219-271-304.
– الصادق بن مرزوق جريدة الصباح 1-12-1966.

* * *

82 – التلاتلي (1288 - 1370 هـ) (1871 - 1950 م)

الصادق بن محمد التلاتلي[1] رجل التربية والتعليم ذو الثقافة الواسعة، ورجل السياسة. ولد بنابل، وبها زاول تعلّمه الابتدائي، وتابع الدراسة الثانوية بالعاصمة في المدرسة العلوية، ومدرسة ترشيح المعلمين، ومن المعهد الأول أحرز على شهادة البروفي، ومن الثاني على الديبلوم العالي للعربية، ثم تابع دروس الحقوق في كلية مدينة (إيكس) في بروفانس بفرنسا وأحرز على الإجازة، وانقطع عن الدراسة.

وفي سنة 1892/1309 اشتغل معلماً ثم أستاذاً للعربية في ليسي كارنو وأستاذاً للفرنسية بمدرسة ترشيح المعلمين، وأستدعاه صديقه الأستاذ البشير صفر لتعليم الرياضيات والجغرافيا باللغة العربية في المدرسة الخلدونية التي كان أحد مؤسسيها.

وفي سنة 1908 كلّفه مدير التعليم الابتدائي شارلتي (Charlety) بمهمة إنشاء وتنظيم التعليم العربي الإبتدائي بوصفة متفقداً للتعليم العربي، وأبدى نشاطاً لإنجاز هذه المهمة التاريخية، وأستعان بمنابع ثقافية الواسعة العربية والفرنسية، وعمل على نشر الأصول الدينية والثقافية العربية، ورغم الحواجز والعوائق عمل على نشرهما في شبكة واسعة من المدارس إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1929، وكان قصده من كل ذلك إيقاظ الضمير الوطني، وحفظ الذاتية التونسية من الإدماج بواسطة تعليم عصري للغة العربية والدين الإسلامي.

وفي سنة 1921 سلّم سرياً تقريراً عن التعليم إلى أصدقائه الدستوريين، وكلّفه الشيخ عبد العزيز الثعالبي ليحرّر فصلاً عن التعليم في كتابه «تونس الشهيدة».

وعند احالته على التقاعد كان تعليم اللغة العربية على أحدث المناهج البيداغوجية منتشراً في كامل البلاد في مئات من المدارس الفرنسية العربية، وأنشا امتحانات ونظّمها، وهذا كله من غير اصطدام أو إثارة شكوك للمتفوقين من طواغيت الاستعمار الأعداء الألدّاء لكل ثقافة تونسية. وعمله الإنشائي والتنظيمي للتعليم كان مقترناً بخطة التفقد، وهو المتفقد الوحيد لكامل القطر التونسي مدة تقرب من ربع قرن والإنسان يقدّر له عمله المثمر الممتاز.

كان من سنة 1931 إلى سنة 1945 مقرراً لميزانية التعليم بالمجلس الكبير، وعضواً بالمجلس الأعلى للتعليم، وعضواً في المجلس الأعلى بتونس، أو عضواً في مجلس إصلاحات تعليم جامع الزيتونة، وفي كل هذه المسؤوليات في المؤسسات المذكورة واصل بدون كَلَل وبشجاعة الدفاع عن المبدإ الذي خصّص له حياته، وهو نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

---

1) نسبة إلى حومة (حارة) التلات بجربة قرب قلالة، ويظهر أن حرف اللام زيدَ قبل ياء النسب في العصر التركي، وأسرة التلاتلي بجربة إباضية وهبية، نبغ منها أفراد، وهاجر فرع منها إلى نابل وانسلخ عن المذهب الإباضي.

وفي غداة الحرب العالمية الثانية طالب بالاستقلال الداخلي لتونس في أثناء خطاب له بالمجلس الكبير بصفته قيدوم المجلس.

توفي في 9 نوفمبر 1950.

له كتاب الطريقة العصرية (2 جزءان) الأول لتعليم العربية في المرحلة الأولى والثاني لتعليمها في المرحلة الأخيرة من التعليم الابتدائي (ط./ تونس).

المرجع:

- وجوه تونسية، الأخلاف، للصادق الزمرلي (بالفرنسية) ص 111-118.

* * *

83 – التلاتلي (من رجال القرن 12 هـ 18 م)

عمر التلاتلي الجربي الإباضي.

من شيوخه عمر البلار اليسّوتي النفوسي.

رحل إلى مصر واستقر بوكالة الجاموس بحيّ طولون بالقاهرة إلى وفاته وهاته الوكالة من أحباس أسرتي النجار والجملي من أجيم جربة، وفيها مكتبة لطلاب العلم.

له نزهة الأديب وريحانة اللبيب، مخطوط في مكتبة الشيخ سالم بن يعقوب بجربة.

المرجع:

- نظام العزابة 258-259, 337 (تعليق 16) 345.

* * *

84 – التليلي (1266 - 1358 هـ) (1850 - 1939 م)

يونس بن عبد الرحيم التليلي أصلاً التوزري مولداً ومنشأ الفقيه المشارك في عدة علوم، الصوفي.

كان يجيد اللغة العبرانية ويطالع في كتبها.

مؤلفاته :

1 - له كتابات كثيرة في الحديث والفقه والنحو والفلك والحساب والتصوف .

2 - بيتان كمل بهما البحر المتدارك في «الخزرجية» في علم العروض حيث تركه صاحب الخزرجية ، وشرحها شرحاً كافياً وأجاد في ذلك بإجادة بينة .

المرجع :

الجديد في أدب الجريد لأحمد البختري ، ص 185.

* * *

85 - التمجاري (471هـ) (1078 م)

سليمان بن علي بن بخلف التِّمِجاري النفطي ، الإباضي ، أبو الربيع .

أصل أسرته من تمجار وسط جبل نفوسة ، وعندما هاجرت من نفوسة استقرت أولاً بكنّومة . من قرى تقيوس (دقاش) إلى أن أخرج النُّكار الوهبية منها ، فخرج المترجم له منها ، وعند خروجه طعنه أحد النكار يريد قتله فنجا[1] منه ، ونزل بربض من أرباض مدينة نفطة قال في حقه حفيده أبو العباس الدرجيني «كان فرضياً متقناً لمسائل الفروع في المذهب ، ناظماً للقريض إلاّ أن بضاعته في النحو مزجاة وإن اتسع في اللغة ولذلك يوجد في شعره ما لا يجيزه أهل الصناعة . . .»

وتعلم الأصول مع أبي عبد الله محمد بن بكر ، وتعلم الفقه مع مشايخ بني بهراسن أبي محمد ويسلان وأبي زكرياء ويونس وأبي بكر بن يحيى إلى أن صار عالماً فقيهاً حتى قعد للحلقة وكثرت تلاميذه .

وكان شاعراً مطبوعاً يجيد باللغة الدارجة كما يجيد الشعر باللغة البربرية إلاّ ان شعره باللغة الفصحي لا يتسامى إلى شعر ولده سعيد أو حفيده أبي العباس أحمد الدرجيني ، وذلك ان دراسته للغة العربية لم تطل فقد انقطع للعلوم الشرعية وتخصص فيها فكانت لا تشذ عليه مسألة من مسائل الأصول والفروع في المذهب الإباضي .

وكان تلاميذه من أهل وادي سوف ووارجلان والزاب بالجزائر وقسطلية (توزر بالجريد) . وكان يحذر من كثرة مجالسه المخالفين والميل إليهم وكثرة مطالعة تآليفهم ، وكان يفتي بإخفاء المكاسب إذا كانت الدولة جائرة تفرض الضرائب المجحفة .

مؤلفاته :

1 - كتاب في علم الكلام ، مجلدان .

1) طبقات المشائخ للدرجيني 6202، السير للشماخي، ص 458.

2 – دون الفقه في دفترين.

المصادر والمراجع:

طبقات المشائخ للدرجيني 6202.
الجواهر المنتقاة للبرادي، ص 218.
الإباضية بالجريد لصالح باجية (ط، تونس 1976/1396) ص 202-203.
السير للشماخي، ص 458.

* * *

86 – ابن تميم (نحو 287 - 349 هـ) (900 - 960 م)

دونس، ويدعى عند اليهود ادونيم ابن تميم الإسرائيلي، أبو سهل القيرواني الطبيب. قدم أوائله من العراق إلى إفريقية في غرض التجارة على عهد الدولة الأغلبية.

ولد بالقيروان، واشتغل بطلب العلم، فقرأ على كبار أطباء وقته كاسحاق بن سليمان الإسرائيلي، وتخرج عليه في الطب والفلسفة والحساب والنجوم، حتى برع في جميعها وأتقن العربية إتقاناً جيداً وكذلك اللغة العبرية، وتفقه في الشريعة الموسوية حتى عد من كبار أحبارها، وصارت الفتوى تأتيه من الأقطار القصية من يهود الأندلس ومصر والعراق، وصارت بينه وبين اليهود بالأندلس مراسلات في مسائل عويصة من شريعتهم، وفي حساب مواقيت أعيادهم، ومعرفةِ سني تاريخهم وكان القول والفصل في النهاية له.

ومن وجوه المخاطبين له في الأندلس الحكيم حسداي بن إسحاق الإسرائيلي طبيب الأمير الحكم الثاني بقرطبة.

واتصل بخدمة الملوك العبيديين فخدم إسماعيل المنصور وابنه المعز لدين الله قبل انتقاله إلى مصر. ووضع كثيراً من التآليف في الطب والحساب والنجوم وقدم جانباً منها إلى مخدوميه المنصور وابنه المعز.

مؤلفاته:

1 – كتاب التلخيص في الأدوية المفردة ينقل عنه ابن البيطار في وصف بعض النباتات. وفي آخر هذا التأليف بيان الأوزان والمكاييل المستعملة في الطب في زمانه.

2 – كتاب في الحساب الهندي المعروف بحساب الغبار.

3 – كتاب في الفلك وحركة الكواكب، كتبه إلى صديقه أبي يوسف حسداي وفيه تعديل السنين الشمسية بحساب الشهور القمرية.

4 – شرح على سفر يصيراً أي سفر التكوين أو سفر الخليفة، الفه في سنة 955/344 وضعه بالعربية ثم حوله بعض اليهود بعد ذلك إلى الحروف العبرية، وهذا النقل موجود في عدد من مكتبات أوروبا والأصل العربي مفقود وما وصل إلينا من الترجمة العبرية يدل على ثقافة موسوعية في الفلسفة وبالخصوص معرفة متينة بقواعد النحو العربي وهو يستمد من الشرح الذي كتبه سعديا بن يوسف الفيومي، ويرد عليه في كثير من المواضع. وذكر في مقدمته أن سعديا قبل أن يبارح الفيوم إلى بغداد كانت له علاقات مراسلة مع أستاذه إسحاق بن سليمان بالرغم من أنه لم يتجاوز إذ ذاك العشرين سنة.

5 – مصنف كبير في علم الفلك قدمه إلى مخدومه المنصور العبيدي.

6 – المقارنة بين اللغتين العربية والعبريّة نقل عنه الطبيب الغرناطي موسى بن عرة الإسرائيلي في كتابه «المحاضرة والمذاكرة».

وله رسائل كثيرة محفوظة في المكتبة البودليانة باكسفورد، وكلها حولت إلى الحروف العبرية وبقيت لغتها المكتوبة بها هي العربية وها هي ذي أسماؤها:

أ) كتاب المستلحق.

ب) رسالة التنبيه.

ج) رسالة التنويه.

د) رسالة التقريب والتسهيل.

هـ) رسالة الأصول.

و) رسالة اللمع.

المراجع:

– ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية 300-297/1.
– بلاد البربر الشرقية في عهد الزيريين (بالفرنسية) 903-802/2.

* * *

87 – التميمي (1164 - 1248 هـ) (1751 - 1832 م)

إسماعيل بن محمد التميمي، ونسبته إلى بلدة منزل تميم، وأصل سلفه من هنشير الصقالبة، وهي قرية قرب منزل تميم. من كبار الفقهاء المحققين، أدرك الاجتهاد المذهبي وهو

الترجيح كما أخبر عن نفسه ولم ينكره معاصروه عليه، وله باع طويل في التاريخ إذا تكلم في دولة وكأنه من رجالها. ولد ببلدة منزل تميم، وفيها أخذ عن الصوفي أحمد سليمان الذي أمره بالرحلة إلى تونس لطلب العلم فامتثل أمره وقدم إلى تونس، وأخذ عن أعلامها كالشيخ صالح الكوّاش، وانتفع به وأجازه، والشيخ عمر المحجوب وأجازه بما في فهرس الشيخ محمد الغرياني، كما أخذ عن الشيخ محمد الشحمي، وغيرهم.

وأخذ عنه الشيخ إبراهيم الرياحي، ومحمد البحري بن عبد الستار، وصالح الغنوشي السوسي، وشيخ الإسلام محمد بن أحمد بن الخوجة، وأحمد بن أبي الضياف، وآخرون.

درس بجامع الزيتونة، واحترف صناعة التوثيق، وكان الوزير الكاتب حمودة بن عبد العزيز يأتي إلى المحل الذي يباشر فيه التوثيق ولعاً بمحاضرته.

وتقلب بين خطتي القضاء والفتوى، فتقلد خطة القضاء في صفر 1806/1221 على عهد حمودة باشا، ثم قدمه محمود باشا لخطة الفتوى في 2 ربيع الثاني 1815/1230، ثم أعاده لخطة القضاء ثم أعاده لخطّة الفتوى يوم عيد النحر سنة 1828/1243، ثم تولى مشيخة المدرسة الأندلسية سيدي العجم سنة 1238.

وفي يوم الأحد 21 ذي القعدة 20/1235 أوت 1820 – وهو إذ ذاك قاضي المالكية – نفاه محمد باي إلى ماطر لأن بعض الوشاة نقل عنه أنه استخرج من جَفْر قرب زوال دولة هذا الباي، وأنه يطعن في تصرفات الدولة غير الموافقة للشرع، وأمر بسجن بعض أتباعه وهم أفضل الناس، وأطلق سراحهم بعد ثلاثة أيام، ثم إن محمود باي ندم على ما بدر منه فأمر بإرجاعه من منفاه في 18 ذي الحجة 26 سبتمبر من نفس السنة، فرجع إلى تونس وأقبل محبّوه وتلاميذه على الأخذ عنه بمنزله، وفي رجب 1239 مارس 1824 أرجعه محمود باي لخطة الفتوى. توفي في 15 جمادى الأولى /10 أكتوبر.

مؤلفاته:

1 – تقييد فيمن تولى الامامة والخطابة بجامع الزيتونة من عهد الإمام ابن عرفة إلى عصره على ترتيب الوجود مع بيان تاريخ وفاة من علم وفاته، أورده ابن أبي الضياف في تاريخه إتحاف أهل الزمان في ج 7 من ص61 إلى ص67.

2 – رسالة في الخلو عند المصريين والمغاربة، والمقدمة في الخلو، ويقع على ثلاثة أوجه تكلم فيها على معنى الخلو في عرف التونسيين والمصريين، ومسألة المفتاح، ولم يتمها، توجد ضمن مجموعة رسائل في المكتبة الوطنية بتونس.

3 – فتاوى.

4 - المنح الإلّهية في طمس الضلالة الوهابية ألفه بأمر من حموده باشا عندما بعث الشيخ محمد بن عبد الوهاب برسالة إلى الباشا الباي المذكور، وضّح فيها مذهبه من منع التوسل والبناء على القبور وزيارتها وتطهير الإسلام من هذه البدع والخرافات التي أخذت صبغة القداسة مع تطاول الزمن وأصبحت من العقائد التي ينافح عنها العلماء الذين لم تكن عقولهم هاضمة لتفكير محمد بن عبد الوهاب وكانوا أكثر ميلاً إلى القبوريّين والخرافات الشركية والبدعية مثل إخوانهم في بقية العالم الإسلامي في هذا العصر المظلم الذي التبس فيه الباطل بالحق فتسابقوا للرد تأييداً للبدع ومقاومة للتوحيد الخالص، وأتم تأليفها في شوال سنة 1225هـ. ط. تونس.

المصادر والمراجع:

- إتحاف أهل الزمان 63/3، 132، 133، 146، 185، 8/11-14.
- برنامج المكتبة الصادقية 4/364-365.
- شجرة النور الزكية 370-371.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي 31/4.
- معجم المؤلفين 26/2، اليواقيت الثمينة 110-112.
- بروكلمان، الملحق 878/2.

* * *

88 - التميمي (201 - 287 هـ) (816 - 901[1] م)

حبيب بن نصر بن سهل التميمي، أبو نصر.

أصله من أبناء الجند القادمين إلى إفريقية، سمع من سحنون وعنه عامة رواياته، ومن عون بن يحيى بن عبد العزيز المديني، وغيرهما.

كان فقيهاً ثقة، حسن الكتاب والتقييد جيّد النظر. ولاّه الإمام سحنون قاضي القيروان المظالم (النظر في الأسواق) سنة 1236 أو 851/237 أو 852. وسحنون هو أول قاض بإفريقية أحدث خطة صاحب المظالم، وأذن له أن يحكم في عشرين ديناراً.

واستمر المترجم له على ولايته للمظالم بعد وفاة سحنون[2] بسنتين. وجرت له محنة على يد قاضي القيروان سليمان بن عمران الحنفي المذهب فحبسه وضربه وسليمان بن عمران أول قاض حنفي شن حملة عدائية ضد المالكية.

1) وقيل سنة 286، وقيل سنة 284.
2) توفي سحنون سنة 855/240 فيكون صاحب الترجمة بقي في الخطة إلى سنة 857/242.

توفي في رمضان، وصلى عليه حمديس القطان ودفن بباب سلم أحد أبواب القيروان.

له تآليف في الفقه لم يُعرف من أسمائها إلاّ كتاب الأقضية. وهو كتاب في مسائله لسحنون.

المصادر:

- ترتيب المدارك 246/3-247، الديباج المذهب 106.
- طبقات علماء أفريقية للخشني -(ط مصر) 192.
- معالم الإيمان 132/2.

* * *

89 - التميمي (... - 363 هـ) (... - 974 م)

النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيّون، أبو حنيفة، ويقال له القاضي النعمان، وهو كبير فقهاء الشيعة الإسماعيلية، وله مواهب تاريخية وأدبية.

وربما كان إسماعيلياً منذ نشأته لأنه لما زالت الدولة الأغلبية، وحلّت محلّها الدولة الفاطمية وجد طريقه إلى الوظائف العالية بسهولة من صاحب الخبر إلى أمين المكتبةإلى قاضي القضاة، خدم المهدي والقائم، والمنصور، والمعزّ لدين الله، وقَدِم معه إلى مصر، وهو كبير قضاته، وتوفي بها في آخر جمادى الثانية أو أول رجب سنة 27/363 مارس 974.

استقضاه المنصور ثالث الخلفاء العبيديين بطرابلس الغرب، وبعد إخماد ثورة أبي يزيد الخارجي استقدمه المنصور من طرابلس بعد فراغه من تأسيس عاصمته الجديدة المنصورية، وأمره أن يقيم صلاة الجمعة والخطبة بجامع القيروان، وعَهِدَ له بقضاء المنصورية والقيروان وسائر مدن إفريقية وأعمالها.

وفي أيام المعز كانت شخصية النعمان تأخذ غير الأبعاد الرسمية، فلم يعد مجرد قاضي القضاة الموظف بل أصبح يُسهم في تركيز الدعوة وفي بسط قضيتها، وتدوين فقهها، ويسجّل أمجادها وأحداثها مما جعل منه دعامة متينة للفقه الشيعي والفكر الإسماعيلي، فقد أعدّ المعز مجلساً في قصره يلتئم إثر صلاة الجمعة يقرأ فيه القاضي النعمان كتباً في علم الباطن (مقدمة كتاب المجالس والمسايرات ص 10).

مؤلفاته:

1 - دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام، وهو أهم مصنف في الفقه، جزءان (القاهرة سنة

1952 سنة 1962) بتحقيق آصف فيضي. وكان الظاهر الفاطمي قد أمر الدعاة بحضّ الناس على حفظه وجعل لمن يحفظه مكافأة.

2 – تأويل دعائم الإسلام، وعنوانه الأصلي تربية المؤمنين بالتوقيف على حدود باطن علم الدين، نشر منه محمد حسن الأعظمي بالقاهرة (1969) ويقول الناشر إن القاضي النعمان توفي قبل أن يفرغ من تصنيفه، فيكون هذا الكتاب آخر مؤلفاته.

3 – كتاب الاقتصار، وهو شبيه في مادته بكتاب الدعائم، نشره وحيد ميرزا، دمشق 1957.

4 – أساس التأويل، نشره عارف تامر الإسماعيلي اللبناني، بيروت 1960، في طبعة رديئة مليئة بالأخطاء.

5 – كتاب الهمّة في آداب أتباع الأئمة نشره محمد كامل حسين سنة 1947 في سلسلة مخطوطات الفاطميين.

6 – افتتاح الدعوة في ذكر أمراء الدعوة بالمغرب إلى المهدي وابتدائها فيها، نشر في 1970 ببيروت بتحقيق الدكتورة وداد القاضي، وبتونس سنة 1975 بتحقيق الدكتور فرحات الدشراوي مع دراسة مفصّلة للكتاب.

7 – المجالس والمسايرات وهو آخر ما صدر له حتى الآن، قيّد فيه ما سمعه من الخلفية المعز في مواضيع شتى، من تاريخ وعقيدة واحتجاج على الخصوم وبحوث لغوية، حقّقه الأساتذة، الحبيب الفقي، إبراهيم شبّوح، محمد اليعلاوي (المط، الرسمية للجمهورية التونسية 1978) وهو سفْر ضخم.

8 – الأرجوزة المختارة، نشرها إسماعيل قران بوناولا، مونريال بكندا سنة 1970، ألّفها في عهد القائم للاحتجاج للأئمة، وهي غير الأرجوزة المنتخبة التي ذكرها في مقدمة كتابه الاقتصار.

وله مؤلفات أخرى كثيرة، بعضها موجود وبعضها مفقود.

المصادر والمراجع:

– الأعلام 42-41/8 (ط/5)، إيضاح المكنون 755-176-32/2-472-92-48-8/1، شذرات الذهب 47/3، العبر 331/2، كشف الظنون 135، مقدمة المجالس والمسايرات لمحققي الكتاب، ذكروا في هامش ص 6 المصادر والمراجع التي ترجمت له، مرآة الجنان 380-379/2، معجم المؤلفين 107-106/13، النجوم الزاهرة 116/4، هدية العارفين 495/2، وفيات الأعيان 56-48/5 (القاهرة 1949).

– وينظر: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار للداعي إدريس عماد الدين

المتوفي سنة 1488/872 تحقيق محمد اليعلاوي، (دار الغرب الإسلامي في بيروت 1985) ص -569-735 .55-557-556-524-495-490

* * *

90 – التميمي التونسي (... - 1286 هـ[1]) (... - 1869 م)

محمد بن علي التميمي التونسي. قَدِمَ مصر، وجعل ناظراً لمسجد أبي الذهب وأوقافه واتصل بإبراهيم باشا، فكان يعلّم أولاده العربية، وكان عالماً ذكيًا، ودرّس بالأزهر فحسنت حالته، وكانت فيه حدّة، ولما توفي إبراهيم باشا نفاه الخديوي عباس، فذهب إلى الحجاز، ثم رحل إلى القسطنطينية فتوفي بها.

من آثاره:

1 – تعديل المرقاة وجلاء المرآة لملاّ خسرو.

2 – حاشية على مرآة الأصول.

المراجع:

– الأعلام 299/6 (ط/5)، إيضاح المكنون 295/1، معجم المؤلفين 312/10.

* * *

91 – التميمي (274 - 336 هـ) (887 - 949 م)

يوسف بن عبد الله التميمي القفصي، من أعلام مدينة قفصة في عصره. كان محدثاً فقيهاً لغوياً شاعراً. وكان أهل بلده مجمعين على فضله وعلمه. مات بقفصة.

له كتاب في غريب الحديث نصر فيه أبا عبيد القاسم بن سلاّم على ابن قتيبة.

المصادر:

– ترتيب المدارك 356/3، ورقات 172/2-173.

* * *

1) وقيل سنة 1870/1287.

92 – التنبكتي (. . . – كان حيًّا سنة 1248 هـ) (... - 1832 م)

أحمد ابن القاضي أبي بكر التُّنْبُكتي السوداني، نزيل تونس، الفقيه، والمعلومات عن حياته قليلة، جاهد بجانب السودانيين في الحرب بين تونس والبندقية الواقعة في عهد حمودة باشا الحسيني. أدّى فريضة الحج، ومرّ بمصر في طريقه إلى الحجاز.

له هتك الستر فيما عليه سودان تونس من المكر، تكلم في هذا الكتاب عن انتشار الجند السوداني وعائلاتهم بالعاصمة، وفيه معلومات عن إصلاحات حمودة باشا، وتحقير للحرب بين البندقية وتونس، وهو عبارة عن رسالة في نحو عشرين ورقة.

المراجع:

- إيضاح المكنون 717/2 (ذكر اسم الكتاب فقط).
- سياسة حمودة باشا تونس 1782-1814 للدكتور رشاد الإمام (تونس 1980) ص17-19، 242-242.

* * *

93 – التنوخي (... - 737 هـ) (1237 م)

عبد الله بن محمد ابن الشيخ القاضي أبي القاسم بن علي ابن البراء، ويقال ابن عبد البر، التنوخي المهدوي السلف التونسي، أبو محمد.

كان محدثاً فقيهاً مسنداً راوية مؤرخاً، وهو من بيت علم وجده أبو القاسم كان محدثاً رحالة. أخذ عن جماعة منهم جده أبو القاسم، وعنه جماعة منهم خالد البلوي الأندلسي قرأ عليه بجامع الزيتونة تصانيف وأجزاء وجزءًا من برنامج شيوخه، وأجازه بما رواه عن جده بسنده وغيره إجازة عامة، وأطال خالد البلوي الثناء عليه في «رحلته» ووصفه بالعلم والفطانة والمهارة في الكتابة.

كان يجلس لرواية مقامات الحريري بدويرة جامع الزيتونة وهي الدويرة التي يخرج منها الخطيب، وهي بإزاء المحراب من جهة اليسار، واحتج ابن عرفة في «مختصره الفقهي» بصنيعه في ذلك، مع ما في «المقامات» من المثالب، وقول ابن عرفة أيده تلميذه الأبي في شرحه على صحيح مسلم[1] (إكمال الإكمال) إذ ليس للدويرة حكم الجامع.

توفي في 27 جمادي الثانية.

1) إكمال الإكمال 67/2، 262-263.

مؤلفاته :

1 – اختصار ذيل تاريخ بغداد لأبي سعد عبد الكريم السمعاني .

2 – برنامج جمع فيه أشياخه وأسانيده .

3 – تاريخ على طريقة الطبري مرتب على السنين من سنة البعثة المحمدية إلى زمنه في ستة أسفار .

4 – مختصر المشرق في علماء المغرب والمشرق لأحمد بن محمد الغرناطي نزيل تونس (المتوفي سنة 1293/692) .

المصادر والمراجع :

- تاريخ الدولتين 61.
- الحلل السندسية 1 ق 610-605/3، 644.
- شجرة النور الزكية 208.
- مسامرات الظريف بحسن التعريف لمحمد بن عثمان السنوسي 102.
- نزهة الأنظار لمحمود مقديش 227/1.
- نيل الابتهاج 145.

* * *

94 – التَّواتي (... - 1311 هـ) (1892 م)

محمد البشير بن محمد الطاهر بن محمد السعيد الشريف ، البجائي الأصل ، التونسي ، والشهير بالتواتي ، لم تكن له علاقة بتوات ، وإنما نسب إلى رجل صالح من أهلها اتصل به وأخذ عنه .

كان شيخ القراءات في عصره ، وأخذها عن الشيخ محمد إدريس ، عن الشيخ المشاط الأندلسي التونسي المتوفى سنة 1830/1245 عن الشيخ حمودة بن محمد إدريس الحسني التونسي ، عن الشيخ محمد الحرقافي (بكسر الحاء المهملة وسكون الراء والقاف المفتوحة المعقدة) بسنده إلى الشيخ علي النوري . وأخذ عن الشيخ صالح النيفر ومدحه بقصيدة عند ختمه للشرح المختصر للسعد النفتازاني على التلخيص في البلاغة طالعها [طويل]:

أبدر تمام حل في طالع السعد   أم البرق لاح من نواحي بني سعد

وبعد تخرجه من جامع الزيتونة تولى تدريس القراءات به والتصحيح بالمطبعة الرسمية، وتخرج عليه غالب علماء القراءات بتونس وكان مقرئاً مجوداً له مشاركة حسنة في العلوم.

مؤلفاته:

1 - ثبت اشتمل على أسانيده في القراءات.

2 - مجموع الإفادة في علم الشهادة، وهو تأليف في التوثيق، فرغ منه في 15 شعبان 1292/6 أوت 1875ط طبعة ثانية بتصحيح المؤلف بالمطبعة الرسمية بتونس سنة 1293/ 1876 في 147 ص+ 9 فهرس وذكر محمد بن الخوجة في «المجلة الزيتونة» م 4 فيفري 1941 رقم 47 في التعليق انه لا يعرف تاريخ الطبعة الأولى، وحسب رأيه ترجع إلى عشر التسعين من القرن الماضي.

والكتاب ترجمه إلى الفرنسية وعلق عليه ج ابربا J.Abribat وطبعه في تونس سنة 1896 Borrel في 280 ص وسماه Recueil de notions de droit musulman et d'actes notariés وقد جمع المؤلف في هذا الكتاب أساليب من كتب الرسوم (الوثائق) والحجج العادلة مع بيان أحكام كل باب في طالعته.

المصادر والمراجع:

- الإعلام 276/6-277.
- إيضاح المكنون 437/2.
- برنامج المكتبة الصادقية 276/4.
- شجرة النور الزكية 415.
- فهرس الفهارس 165/1.
- فهرس المؤلفين والعناوين للكتب الموجودة بالمكتبة العامة للحماية لأحمد محمد المكناسي 233.
- معجم المطبوعات 646 ويستفاد منه أن مجموع الإفادة ط في تونس 1282، 1314 في 162ص.
- معجم المؤلفين 102/9-103 هدية العارفين 393/2.
- J. Quemeneur, Publications de l'Imprimerie Officielle tunisienne (Matboa Rasmiya) de sa fondation 1276 h/ 1860 à 1300 h/ 1882 in revue Ibla, 1962, no 98, p. 161.

* * *

95 - التواتي (... 1115 هـ) (1704 م)

محمد بن عبد القادر شهر التواتي التوزري، لم تثبت نسبته إلى توات، ولعل في انتساب

أسرته إليها سبباً لم يتضح أمره .

كان فقيهاً نحوياً مشاركاً في عدة علوم .

توفي ببلده توزر .

مؤلفاته :

1 - شرح على كتاب سيبويه .

2 - شرح على المدوّنة .

3 - الهادي الرشيد وحل المقفل الشديد ، من مسائل كلام التوحيد ، وهو تعليق على شرح أم البراهين (العقيدة الصغرى للسنوسي) .

المرجع :

- الجديد في أدب الجريد 82.

* * *

96 - التوزري (حوالي 1300 - 1358 هـ) (1883 - 1939 م)

إبراهيم بن سالم التوزري ، الشاعر المجيد .

تعلم بتوزر ، وباشر خطة كاتب بإدارة عمل (ولاية) توزر ، ثم نقل إلى مثلها بالقيروان .

مؤلفاته :

1 - التوزريات ، ديوان شعر خصصه للقصائد التي نظمها بتوزر .

2 - القيروانيات ، ديوان شعر خصّصه للقصائد التي نظمها بالقيروان .

ونشرت له الصحف الصادرة في وقته مجموعة صالحة من شعره .

المرجع :

- الجديد في أدب الجريد 198-209.

* * *

97 - التوزري (كان حياً قبل سنة 1168 هـ) (1755 م)

أحمد بن محمد المنصور التوزري، الفقيه.

عاش في عصر الباشا علي بن محمد بن علي التركي الذي كان يخاطبه بشيخنا. درس وأفتى.

له شرح على مختصر خليل، في الفقه المالكي، استكمل منه عشرين جزءًا ولم يكمله.

المرجع:

- محمد بن عثمان السنوسي، حياته وآثاره للشيخ محمد الصادق بسيس، (ط تونس 1398/1978) ص 194-195.

* * *

98 - التوزري (كان حياً بعد 260 هـ) (873 م)

ابن سلام بن عمر التوزري الإباضي.

عاصر نفاثّ بن نصر النفّوسي الذي كان صاحب اجتهاد، وحاول الانشقاق على أئمة الدولة الرسمية، كما عاصر أبا صالح النفوسي.

سكن توزر.

له تاريخ. وهو أقدم وثيقة إباضية لتاريخ المغرب الإسلامي، وقد اعتمده الشمّاخي في كتاب «السير» وضعه بعد سنة 260هـ، وتحدّث فيه عن أحداث تلك السنة والمصادر ضنينة في الحديث عنه. وهذا التأليف مفقود.

المصادر والمراجع:

- السير للشماخي 142.
- الإباضية بالجريد 206.

* * *

99 - التوزري (630 - 713 هـ) (1233 - 1313 م)

عثمان بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن محمد بن داود التوزري، نزيل مكة،

فخر الدين، المقرئ، المحدث، له مشايخ يزيدون على الألف.

قرأ البخاري على أزيد من ثلاثين رجلاً من أصحاب البوصيري، وقرأ على جعفر الهمداني بإجازته من أبي الوقت عبد الأول السجزي، وسمع ابن الجمّيزى وعبد الرحمان بن مكي سبط الحافظ السلفي، وروى بمكة عن محمد بن يوسف بن مهدي الأندلسي مسلسلات القاضي أبي بكر بن العربي.

وسمع منه خلق من الوافدين على مكة كمحمد بن جابر الوادي آشي، وأبي القاسم التجيبي وكان قارئ الطلبة بمصر، وهو أقرأ الكتب المطولة وحصل الأصول وتلا بالسبع على ابن وثيق، والكمال ابن شجاع.

توفي بمكة في 11 ربيع الآخر.

له مولد [1].

المصادر والمراجع:

- البداية والنهاية 169/14 (محرفاً إلى التوزي).
- برنامج الوادي آشي 155.
- تذكرة الحفاظ 285/4.
- الدرر الكامنة (ط مصر) 64/3.
- درّة الحجال 209/3.
- ذيل العبر للذهبي 74.
- شذرات الذهب 32/6.
- غاية النهاية 510/1.
- مرآة الجنان لليافعي 253/4.
- مستفاد الرحلة والاغتراب لأبي القاسم بن يوسف التجيبي السبتي، تحقيق عبد الحفيظ منصور (ط تونس 1975/1395)، 415-432.
- معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار للحافظ الذهبي، تحقيق محمد سيّد جاد الحق (ط القاهرة 1969) 585/2.
- العقد الثمين لتقي الدين الفاسي 46/6-47، ويستفاد من أنه مصري المولد والتحصيل.
- أواخر تذكرة الحفاظ 3052/4 (دار إحياء التراث العربي، بيروت) عند ذكر مشايخه الذين سمع منهم.

* * *

---

1) ذكره السخاوي في مقدمة «الجواهر والدرر» في علم التاريخ عند المسلمين لروزنتال، ترجمة الدكتور صالح العلي، ص 729.

100 – التوزري (. . . - 1348 هـ) (. . .- 1930 م)

عثمان بن المكّي الزبيدي (نسبة إلى عرش الزبدة بتوزر) التوزري، من أعلام جامع الزيتونة، عمر وتخرّج به الكثيرون.

خدم الجندية قبل عصر الاحتلال، وكان يثني عليها في دروسه بأنها تعلّم النشاط والاعتماد على النفس. وبعد تخرّجه من جامع الزيتونة تولى القضاء ببلدة توزر قبل أن يصير مدرّساً بجامع الزيتونة، وبعد الاحتلال الفرنسي بمدة قليلة بينما كان ذات يوم بالمحكمة أتوه بضابط فرنسي شاب يشتكون منه بأنه زنى، ويطلبون تنفيذ الحكم الشرعي عليه، فأذن بإقامة الحد عليه جلداً في ساحة المحكمة، وبعد التنفيذ أدرك خطورة الموقف فبارح المحكمة متوجهاً إلى داره وتزوّد وامتطى صهوة جواده وعزم على السفر إلى العاصمة تونس وبعد هنيهة امتلأت ساحة المحكمة بالضباط الفرنسيين سائلين عن القاضي فأجيبوا بأنه خرج ولا يدرون أين ذهب ولما وصل إلى تونس قصد منزل شيخه ورئيسه قاضي الجماعة الشيخ محمد الطاهر النيفر الذي رحّب به وسأله عن سبب قدومه فحكى له الواقعة، وطلب منه بذل الجهد لإنقاذه من هذه الورطة فوعده خيراً وبأنه في أول مقابلة له مع الباي يسوّي المشكلة بحول الله، وبرّ الشيخ بوعده وقال للباي: لي قضية أرجو من مكارمكم التفضل بفضّها فأجابه الباي: إن كان ذلك في مقدوره لا أبخل وهات ما عندك. فقال له: قضية قاضي توزر.

فأجابه بأن الفرنسيين جادون في البحث عنه وعلى كل حال أبذل ما في الوسلنجاته، وسوّيت القضية وتنوسيت وفي أول فرصة أعلم الباي قاضي الجماعة بما تمّ، فطلب منه التفكير في ضمان مورد رزقه فأجابه مستفسراً وكيف ذلك؟ فقال له بتوليته مدرّساً بجامع الزيتونة، فوافق الباي على هذا الاقتراح، وصار المترجم له مدرّساً. وكان يقرئ بنصح وبأسلوب يدني الصعب إلى الإفهام، ولكنه كان صريحاً طويل اللسان، يتعرّض في دروسه لدعاوى بعضهم وتصدّره وتحكك بأمصال هؤلاء في بعض تآليفه.

يحكى أن شيخ الإسلام الحنفي أحمد بيرم دخل مرة إلى جامع الزيتونة والمترجم له بصدد إقراء درس، والتفت الطلبة هامسين: شيخ الإسلام! فزجرهم قائلاً بصوت عالٍ: اعتنوا بدرسكم، هل دخل ثور حتى يثير انتباهكم ويشغلكم؟ وسمع الكلمة شيخ الإسلام، وحدجه بنظرة منكرة، ومرّ في سبيله غاضباً حانقاً، وشيخ الإسلام الحنفي إذ ذاك هو رئيس لجنة امتحان شهادة التطويع ورئيس لجنة مناظرات التدريس، ورئيس النظارة العلمية (إدارة الجامع). ولم يكن هذا الموقف وأمثاله في صالح الشيخ المترجم له بحيث أن بعض تلامذته ممن قرأوا عليه المراحل الأولى من التعليم شاركوه في مناظرة التدريس من الطبقة الأولى فنجحوا وأخفق، وتكرر هذا مرات كثيرة مدى سنين متطاولة حتى أيقن أنه لن ينجح في هاته المناظرة، ولأجل هذا صار يختم الدرس (من مواد المناظرة) بمحل شاهد لا يخلو من نبز وتعريض بأعضاء لجنة المناظرة، قال مرة في ختام الدرس أن أهل البادية كرام، وقد جربت ذلك منهم إذ نزلت مرة ضيفاً على بيت منهم، فبادر أهله إلى طبخ الكسكسي

باللحم ، ولما أرادت المرأة أن تجعل فيه الفلفل الأكحل (الأسود) لم تجد آلة لدقه وتهريسه فوضعته في خرقة لتطحنه بأسنانها ، وعندما أحست بلذع في لسانها أخرجت الخرقة من فمها وقالت : تف تف تف ، وأدار رأسه مشيراً إلى أعضاء اللجنة الأربعة .

ولم يتول التدريس من الطبقة الأولى إلا في المرحلة الأخيرة من حياته ، فقد قابل مرة محمد الحبيب باي الذي سأله عن رتبته في التدريس ، فأجابه بأنه في الطبقة الصغرى ، وسأله عن سبب عدم ارتقائه للرتبة الأولى فتشكى له من حيف لجنة المناظرة ، فوعده بأنه في المناظرة المقبلة لا ينجح أحد قبله ، وجاء موعد المناظرة وشارك فيها الشيخ موقناً بالنجاح ، وختم الدرس كعادته بنكتة فقال : يقال في العربية دب يدب فهو داب فهذا داب . وكرّر اللفظتين الأخيرتين أربع مرات مشيراً إلى أعضاء اللجنة الأربعة . توفي بتونس ورثاه إبراهيم بن سالم التوزري بقصيدة جاء فيها [طويل]:

مضى في سبيل الله علامة القطر   قِفا نبكِ كالخنساء دوماً على صَخْرِ
لفقد عزيز كان في البر آية   وفي العلى والعرف حدث عن البحر
منار الهدى من توزر كان نوره   إلى تونس منه ككوكب درّي
مضى المرتضى فخر الجريد فأصبحت   كعوب المعالي بعد فقدانه تجري

مؤلفاته :

1 - توضيح الأحكام في تحفة الحكام - وهو شرح على تحفة الحكام لابن عاصم في الفقه المالكي في القضاء وتوابعه ، ط بالمطبعة التونسية بتونس سنة 1339هـ في أربعة أجزاء وهو أكبر مؤلفاته .

2 - شرح السمرقندية في الاستعارات ، ط بتونس .

3 - القلائد العنبرية في شرح البيقونية في مصطلح الحديث ، ط بتونس .

4 - المسكة الفائحة في الأعمال الصالحة ، ط بتونس .

5 - معالم الاهتداء في شرح شواهد قطر الندى ، ط بتونس .

6 - المرآة لإظهار الضلالات (تونس 1344هـ) 24ص في مقاومة البدع والمنكرات ، مجموعة من الأحاديث النبوية (تونس) .

7 - النبراس لرفع الالتباس على من كان من أشباه الناس في نازلة نكاح التياس ، رسالة ألّفها سنة 1328هـ منها مخطوطة في مكتبة الأخ الأستاذ السيد محمد الطيّب بسيس (وهو الذي كاتبني بهذه الإفادات مشكوراً) .

المراجع :

- الجديد في أدب الجريد 150-154.
مذكراتي الخاصة .
- الأعلام 212/4 (ط/5) .

* * *

101 - التوزري (. . . - 1380 هـ) 1960 م)

أبو القاسم بن علي بن سليمان التوزري ، الفقيه المنطقي ، الشاعر .

رحل إلى تونس لطلب العلم بجامع الزيتونة إلى أن تخرّج منه محرزاً على شهادة التطويع عام 1918/1336 وبهذه المناسبة هنّأه شاعر توزر بقصيدة هذه أبيات منها [بسيط]:

كل الهنا ولوغ القصد والأمل   في العالمين بنيل العلم والعمل
وليس في الدهر حي غير من سبحوا   في أبحر التفصيل والجمل
كمثل قوم تساموا في العلا شرفا   منهم (أبو القاسم) العلاّمة (ابن علي)
من حاز بالجد فخراً لم ينله سوى   من بات يجني ثمار العلم في شغل
وصار في كعبة الإقبال منتظما   في عقد در ثمين عز من مثل
وأصبح اليوم يرعى غصن (توزر) من   (زيتونة) النور لا زيتونة البصل

باشر خطة العدالة (التوثيق) والتدريس ببلده توزر إلى أن أدركه أجله .

مؤلفاته :

1 - كتاب في المنطق ، كبير الحجم .

2 - كتاب في حياة الشيخ المولدي الشريف .

المرجع :

- الجديد في أدب الجريد 241-246.

* * *

102 - التونسي (443 هـ) (1051 م)

إبراهيم بن حسن بن إسحاق القيرواني التونسي، أبو إسحاق، الفقيه، الأصولي المحدث.

تفقه بأبي بكر بن عبد الرحمان، وأبي عمران الفاسي، وقرأ أصول الدين على الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذري نزيل القيروان، وقرأ على غيرهم، وتفقّه به جماعة منهم عبد الحميد بن سعدون، وعبد الحميد الصائغ دفين سوسة.

وفي سنة 1047/418 امتحن بسبب فتواه عن سؤال ورد إليه من مدينة باغاية في تقسيم الشيعة إلى قسمين: أحدهما من يفضل عليا على غيره من الصحابة من غير سب لغيره فليس بكافر، ومن يفضّله ويسب غيره فهو بمنزلة الكافر لا تحل مناكحته. والملاحظ أن الشيعة في ذلك التاريخ بالمغرب والمشرق بسائر فرقهم، عدا الزيدية، يسبّون الصحابة ويكفرونهم عدا ستة منهم.

وقد أنكر عليه هاته الفتوى العامة وفقهاء إفريقية، وأرسلوا إليه أن يعاود النظر ويرجع عن هاته الفتوى، ونسبوا إليه ما نسبوا، وأمر الأمير المعز بن باديس بسجل في القضية من التبرّيء في فتواه وأمر بقراءته على المنبر يوم الجمعة قبل الصلاة، ثم أمر بإحضاره في مقصورة الجامع مع أبي القاسم اللبيدي، والقاضي أبي بكر أحمد بن أبي عمر بن أبي زيد، وحكم اللبيدي في المسألة بأن يرجع ويقر بالتوبة على المنبر في مشهد حافل ويقول كنت ضالاً فرجعت. فاستعظم ذلك وقال «ها أنا ذا أقول هذا بينكم. فقنعوا منه بذلك، وخرج صبيحة يوم السبت للمنستير تسكيناً للفتنة.

وفي هذا الظرف كان المعز بن باديس يُعدّ العدة ويهيئ الأذهان لإزالة المذهب الإسماعيلي وقطع العلاقات مع الدولة الفاطمية في مصر.

قال القاضي عياض «ولا امتراء عند كل منصف أن الحق ما قاله أبو إسحاق، وأنه جرى في فتواه على العلم وطريق الحكم. ومع هذا فما نقصه هذا عند أهل التحقيق، ولاحطّ من منصبه عند أهل التوفيق، وأنّ رأيَ الجماعة في النازلة كان أسد وأولى».

ثم رجع المترجم له إلى القيروان، وفيها توفي في بداية الفتنة بين المالكية وبقايا أتباع المذهب الباطني الإسماعيلي مذهب الدولة الفاطمية، ورثاه ابن رشيق بقصيدة منها [كامل]:

يا للرزية في أبي إسحاق ... ذهب الزمان بأنفس الأعلاق
ذهب الحمام بِخاشع متبتّل ... تبكي العيون عليه باستحقاق

له شروح حسنة وتعاليق متنافس فيها على كتاب ابن الموّاز والمدوّنة.

المصادر والمراجع :

- ترتيب المدارك 766/4-769.
- الديباج 88، 89.
- شجرة النور 108، 109.
- معالم الإيمان 219/3-233.
- هدية العارفين 18/1.
- نزهة الأنظار 129/1-130.
- الوفيات لابن قنفذ 37.
- بلاد البربر الشرقية في عهد الزيريين (بالفرنسية) 728/2.

* * *

103 - التونسي (كان حياً سنة 967 هـ) (1559 م)

حاجي بن أحمد التونسي، يبدو من نسبه أنه تونسي الأصل، قرأ بفاس، واهتم منذ صباه بالجغرافية خاصة، أسره بعض المسيحيين، واشتراه رجل فاضل من أهل البندقية، وسمح له بالاستمرار في دراسته، فتعمّق في فهم الجغرافيين الأوروبيين، وفحص خرائطهم بدقة، ومن ثم واتته فكرة وضع خريطة للعالم المعروف - آنذاك - يجمع فيها ما وصل إليه أبو الفداء الأيوبي وقواعد المساقط الكارتوغرافية (Projection) للرياضي والكوزمغرافي أرنتيوس فينابوس Orentius Finacus (1494/1555) التي طبقها في وضع خريطة للعالم عام 1536، ونزولا عند رغبة مولاه فقد سجل الأسماء الجغرافية باللغة التركية التي لم تكن لغته الأصلية، غير أن عدداً من الألفاظ العربية وجدت طريقها إليها، وتم عمله في عام 966-1558/967 في عصر السلطان سليمان القانوني، وكان هذا العمل مهيئاً للطبع في عام 1568، ولكن لظروف معينة لم يتم طبعه، ويوجد بمكتبة القديس مرقص بالبندقية كليشية لهذا الرسم محفور على ست لوحات من خشب التفاح، وفي 1795 استخرجت منه أربع وعشرون نسخة مع رسالة توضيحية موجزة للعالم اللبناني الماروني الشهير السمعاني (1752/1821) الأستاذ بجامعة بادوا بإيطاليا Padua. ونظرة عاجلة إلى المصور تبيّن أن التونسي قد استعار من فينايوس طريقة المساقط والشكل الأصلي للخريطة على هيئة قلب، وكذلك خط الزوال الأساسي الذي يمر بجزر الكناري، كما استعار الجزء الأكبر من تخطيط لساحل القارات والجزر، وعدد المصطلحات الجغرافية لديه أغنى بكثير ممن نقل عنه، وأجرى عدداً من التصحيحات على سلفه بعضها هام للغاية، مثل ذلك تصحيحه لسواحل أميركا خاصة الأجزاء الشمالية منها وهكذا يقف التونسي في محيط الكارتوغرافيا العربية نسيج وحده له سلف ولا خلف له، ويكمن عيبه الأساسي في استعماله الأصل الذي اعتمد عليه بصورة آلية تغلب عليها الشكلية.

المرجع :

- كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، دار الغرب الإسلامي ، 1987 ص 499.

* * *

104 - التونسي (كان حياً 889 هـ) (1493 م)

عبد القاهر بن محمد بن عبد الرحمن التونسي ، طبيب .

من آثاره كتاب الطب في تدبير المسافرين ومرض الطاعون

المرجع :

- معجم المؤلفين 311/5 نقلاً عن بروكلمان بالملحق 367/2) .

* * *

105 - التونسي (كان حياً سنة - 1190 هـ) (. . . - 1776م)

علي بن عبد الله التونسي المالكي ، نزيل مصر (علاء الدين ، أبو الحسن) ، عالم أديب ، ولي مشيخة رواق المغاربة بالجامع الأزهر .

من آثاره :

شرح على رسالة راغب باشا الوزير في العروض ، وله تحريرات كثيرة .

المصادر والمراجع :

- سلك الدرر للمرادي 259/3.
- معجم المؤلفين 50/7.
- هدية العارفين 769/1.

* * *

106 – التونسي (888 هـ) (1484م)

محمد بن عبد الله بن يوسف بن عبد الحق التونسي.

رحل إلى مصر فنزل البرلس عند عالمه الشهاب بن الأقيطع، وحفظ القرآن، والرسالة، والمختصر وألفية بن مالك في النحو وتلخيص المفتاح للخطيب القزويني في البلاغة ولم يكمله، والمصباح للبيضاوي، ولازمه في الفقه، والأصليين، والفرائض، والعربية والحساب، والمعاني والبيان، وغيرها. وتميز، ثم قدم القاهرة فقرأ على السنهوري الفقه، والأصول، والعربية، وأخذ عن ابن قاسم العربية وغيرها، وتردد على الجوجري، والأبناسي، وغيرهما، وقرأ على السخاوي الكثير من ألفية العراقي في مصطلح الحديث وغيرها، وسمع منه وعليه أشياء كثيرة، وأكثر من حضور الأمالي، ثم حج وآستقرّ أشهراً وزار بيت المقدس، ثم رجع إلى مصر فأقمام بالإسكندرية يسيراً، وتزوج من تروجة، وصار يتردد بينهما مع احتراف الخياطة، وربما أقرأ بعض الطلبة، قال السخاوي في نعته: وكان عاقلاً ساكناً ديّناً قانعاً عفيفاً ريضاً مشاركاً في الفضائل. مات بالإسكندرية في أواخر شعبان أو أوائل رمضان عن أزيد من أربعين سنة...

شرح قطعة من مختصر ابن عرفة في الفرائض.

المصدر:

- الضوء اللامع 117/8.

* * *

107 – التونسي (1204 - 1274 هـ) (1790 - 1857م)

محمد بن عمر بن سليمان التونسي، نزيل القاهرة، اللغوي، المشارك في بعض العلوم، الرحّالة. كان والده مجاوراً في الأزهر، فتزوج بمصر، ولد ابنه المترجم له في تونس وعكف على تحصيل العلم ونبغ فيه حتى تمكن أن يكون واعظاً في خدمة إبراهيم باشا في حملته إلى المورة وقبل ذلك سافر إلى بلاد السودان ورأى فيها من العجائب ما أدهشه.

ولما عاد من تلك الحملة كان قد أنشئت مدرسة أبي زعبل، وأخذوا في نقل كتب الطب وغيرها، فتعيّن مصححاً للكتب فيها. وأخذت مواهبه تظهر في التحرير والتصحيح، وامتاز عن سائر أقرانه المصححين بمعرفة المصطلحات العلمية باللغة العربية، فكانوا يرجعون إليه في تحقيقها ويسمونه «مصحح كتب الطب ومحرّرها» فكانوا إذا نقلوا كتاباً في أوائل إنشاء المدرسة الطبية يرون مشقة في إيجاد الألفاظ الوضعية العربية الملائمة للألفاظ الإفرنجية الموجودة في الكتاب

المترجم، فيرجعون إليه في تحرير الكتب المهمة. وكان ماهراً في صياغة الألفاظ والمعاني في قالب عربي، فيعوّلون عليه في ذلك كما فعلوا في تنقيح كتاب «الدرر الغوالي في علم أمراض الأطفال» تأليف الدكتور كلوت بك، وكتاب «كنوز الصحة» للدكتور كلوت بك «والجواهر السنية» في الكيمياء لبيرون بك. وقد تعب في تحرير مصطلحات هذا العلم على الخصوص، ودرس عليه الحكيم بيرون Perron الفرنسي أستاذ الكيمياء بمدرسة أبي زعبل كتاب كليلة ودمنة باللغة العربية، وهو الذي حمله على تدوين ما عاينه في أسفاره من العجائب.

مؤلفاته:

1 - تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، وهو رحلة وصف فيها سفّره إلى السودان، وذكر ما شاهده في طريقه من واحات مصر إلى دارفور ووداي، وفي الخطط التوفيقية لعلي مبارك قطعة منها في وصف الواحات ج 17 ص 32. ط على الحجر باعتناء الدكتور بيرون، باريس 1851، ص 311 وعلّق عليها سديو Sédillot بمقالة في المجلة الآسيوية. وطبعت ترجمة الكتاب على حدة بعناية الدكتور المذكور سنة 1850 وبها خرائط ورسوم وسمّى الكتاب Voyage au Darfour، في مجلدين.

وقد حقّقه وكتب حواشيه د/ خليل محمود عساكر د/ مصطفى محمد مسعد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة 1969، 578 ص مع خرائط وجداول.

كما ترجم له الدكتور بيرون المذكور Dr Perron الرحلة إلى وداي Voyage au Wadday وطبع بها وضاعت نسخته العربية وطبع كتاب تشحيذ الأذهان منذ أكثر من عقد ونصف من السنين في القاهرة في سفر واحد في سلسلة «تراثنا».

2 - الدرر اللوامع في النباتات وما فيها من المنافع (طب) فرغ منه سنة 1256 (مطبوع)، إيضاح المكنون 468/1.

3 - الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية، وهو معجم للمصطلحات العلمية على اختلاف موضوعاتها. وهو كتاب في نحو 600 ص متوسطة الحجم، وقد حمل إلى باريس وفي دار الكتب نسخة منقولة بالتصوير من نسخة باريس وهو معجم مرتّب على الحروف لم يطبع.

المراجع:

- الأعلام 209/7.

- إيضاح المكنون 408/1.
- تاريخ آداب اللغة العربية 185/4-187.
- معجم المطبوعات 1688/2-1683.
- معجم المؤلفين 82/11-83.

* * *

108 - التونسي (كان حياً سنة 1140 هـ) (1738م)

مصطفى بن أحمد الحنفي التونسي، عالم بالقراءات.

له منحة المنان في قراءة حفص بن سليمان، أوله «الحمد لله الذي أنزل الكتاب المبين» فرغ من تأليفه سنة 1140، يوجد ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية التونسية في 70 ورقة من القطع المتوسط.

المراجع:

- برنامج المكتبة العبدلية 156/1.
- معجم المؤلفين 128/12 نقلاً عن بروكلمان، الملحق 699/2..

* * *

109 - التيفاشي (580 - 655[1] هـ) (1184 - 1257 م)

أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن حمدون بن حجاج القيسي التيفاشي[2] القفصي، شرف الدين، أبو الفضل، الأديب، الشاعر المعتني بعلوم الفلسفة.

يتحدر من بيت علم ومجد، فجدّه أحمد كان كاتباً لأمير قفصة المعتز بن الوند، ووالده كان قضاياً.

سمع بقفصة من أبي العباس أحمد بن أبي بكر بن جعفر المقدسي، ثم رحل إلى تونس

---

1) في مصادر ترجمته أنه توفي سنة 651 وذكر ابن منظور في «نثار الأزهار» أن والده توفي سنة 654 وتوفي التيفاشي بعده بمده وهذه المدة يمكن أن تكون بضعة أشهر أو سنة لذلك نرجح أنه توفي حوالى سنة 655.

2) نسبة إلى تيفاش الكائنة شمالي عمالة قسنطينة من القطر الجزائري، ورد أسلافه منها، وقيل إنها من قرى قفصة وهو غير صحيح، وفي الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق الدكتور إحسان عباس (ط دار القلم للطباعة، بيروت 1975) ص 146 «بينها وبين الأربس مرحلة، وهي بقرب ملاق» ومعنى هذا أنها بمقربة من مدينة الكاف في الشمال الغربي من القطر التونسي، وهو تحديد غير دقيق.
وفي رايات المبرزين لابن سعيد «من بلاد إفريقية التي بقيت آثارها شاهدة على عظمتها وإنما هي الآن خالية رأيتها وأنا في عسكر ملك افريقيا».

وقرأ بجامع الزيتونة، واشتغل بالأدب والعلوم الرياضية وبرع في ذلك كله، ثم رَحل إلى مصر فقرأ بها وتفنن على العلاّمة موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، ثم سافر إلى دمشق واشتغل بها على العلاّمة تاج الدين أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي.

ثم رجع إلى بلده قفصة فولاّه الأمير أبو زكرياء الأول الحفصي قضاء قفصة. ولأسباب غير معروفة تخلى عن القضاء بعد فترة وتوجّه إلى المشرق عن طريق البحر وصحبته أولاده الثلاثة ومال فغرق الأولاد والمال ونجا هو على لوح مسلوب المال والولد وتجوّل في أقطار الشرق فدخل العراق، وبلاد فارس، والشام، ثم عاد إلى مصر واستقرّ نهائياً بالقاهرة في حدود سنة 1233/630، وفيها تعرّف واختلط بالرؤساء والعلماء والأدباء منهم محي الدين بن ندى القرشي الذي قدّم له بعض تآليفه، ومنهم علي بن موسى بن سعيد الغرناطي المؤرخ والأديب الأندلسي، قال المقرّي في «نفح الطيب» «وجدت بخط ابن سعيد - رحمه الله - في آخر جزء من كتاب «المغرب في محاسن أهل المغرب» ما نصه: أجزت الشيخ الفاضل الأجل أحمدا بن الشيخ القاضي ابن يعقوب يوسف التيفاشي أن يروي عني مصنفي هذا وهو مصنفة علي بن موسى بن سعيد في تاريخ الفراغ من هذا السفر[1]».

ومن أصدقائه بمصر جلال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي والد مؤلف «لسان العرب» وقد عرف هذا الأخير بالتيفاشي فقال في كتابه «نثار الأزهار» «وقد كنت في أيام الوالد - رحمه الله - أرى تردد الفضلاء إليه... ورأيت الشيخ شرف الدين أحمد بن يوسف التيفاشي في جملتهم وأنا في سن الطفولة لا أدري ما يقولونه غير أني سمعته يذكر للوالد كتاباً صنفه أفنى فيه عمره واستغرق دهره، وأنه لم يجمع ما جمعه فيه كتاب وتوفي الوالد - رحمه الله - في سنة 456 وتوفي شرف الدين بعده بمدة».

وكتب عن الحافظ ابن حديد، وابن الصابوني، وابن مسدي، وغيرهم. وتوفي بالقاهرة ودفن بمقبرة باب النصر.

مؤلفاته:

1 - أزهار الأفكار في جواهر الأحجار، ط مع ترجمة إيطالية في فلورنسا سنة 1818 في 155ص، وهذه الطبعة ناقصة عن النسخ الخطية الموجودة من هذا الكتاب في مكتبات أوروبا.

1) علّق محقق كتاب رايات المبرزين على إجازة ابن سعيد للتيفاشي التي نقلها المقرئ بقوله: «...وإذن فقد كان التيفاشي أحد القضاة في دولة أبي زكريا بن أبي حفص، وعاش حتى رجع ابن سعيد إلى تونس حوالي سنة 660 وروى عنه كتابه». ويلاحظ أن أبا زكريا الحفصي لم يبق إلى سنة 660 وفي هذا التاريخ كان المتولي للملك هو ابنه وولّي عهده المستنصر وإذن من الدقة أن يقال أحد القضاة في دولة أبي زكريا وابنه المستنصر ثم أن التيفاشي مات قبل هذا التاريخ. والصحيح أنه التقى بابن سعيد في القاهرة لا في تونس، ولعل له به سابقة معرفة.

حقّقه وعلّق عليه د. محمد يوسف حسن و د. محمود بسيوني خفاجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1977، 327 ص.

2 - كتاب في البديع، قال عنه ابن أبي الأصبع المصري (1256/654) في مقدمة كتابه «بديع القرآن»: جمع فيه ما لم يجمع غيره ولولا مواضع نقلها كما وجدها ولم ينعم النظر فيها فانتقد عليه ما انتقد على غيره، وبعض الأبواب التي تداخلت عليه»[1].

وتحدّث ابن أبي الأصبع في مقدمة كتابه «تحرير التحبير» أنه قابل التيفاشي وناقشه في البديع وأعجب به[2].

3 - الدرّة الفائقة في محاسن الأفارقة، مفقود.

4 - درّة التالي في عيون الأخبار ومستحسن الأشعار.

5 - الديباج الخسرواني في شعر ابن هاني، وهو شرح لديوان محمد بن هانئ.

6 - سجع الهديل في أخبار النيل، وهو من جملة المصادر التي اعتمدها السيوطي في كتابه «حسن المحاضرة».

7 - فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب، تناول فيه مختلف العلوم والآداب، قدّمه في القاهرة إلى الصاحب محيي الدين بن ندى الجزري القرشي، وقد قسّم هذا الكتاب إلى أكثر من أربعين كتاباً كل واحد منها يبحث عن علم خاص أو فن مستقل، وسمّى كل كتاب باسم خاص، وصدّره بمقدمة مناسبة لموضوع البحث، ولا يقل كل جزء عن المائتي صفحة في القالب الربعي، وفي هذا الكتاب الواسع تناول ما في العالم العلوي كالسماء والنجوم والبروج والقمر والشمس، والليل والنهار والظلمة، ثم العالم الحيواني، وكذا علم الأحجار والمعادن، وخصص للطب كتاباً عنوانه «الشفا» وللموسيقى والرقص عند الشعوب المعروفة في وقته كتاب اسمه «متعة الأسماع في علم السماع» يوجد بخطه في خزانة العلاّمة محمد الطاهر بن عاشور في تونس.

ومن أشهر أجزاء هذا الكتاب الكبير «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» يوجد مخطوطاً في كثير من المكتبات وقد أتمّه في سنة 1242/600، قال في مقدمته «ومعظم الخواص المذكورة في هذا الكتاب مما جربته بنفسي ووثقت بصحة النقل عنه من غيري من المعتبرين فأحلت عليه مسنداً ذلك إليه».

وقد اختصر الجزء الأول من فصل الخطاب جمال الدين بن منظور الأفريقي صاحب

1) تحرير التحبير (مطبعة الرسالة مصر 1957/1377) تحقيق الاستاذ حفني شرف، ص 13..

2) ص 7 من مقدمة المحقق للمصدر السالف الذكر.

«لسان العرب» ، وقد ذكر في مقدمة اختصاره المسمى «نثار الأزهار» شغفه بهذا الكتاب والظروف التي اختصره فيها فقال: «فلما تذكرت هذا الكتاب بعد سنين ، وقد تجاوزت الستين ، طلبته من كل جهة فلم أجد من يدلني عليه . . . إلى أن ظفرت به عند شخص من أصحابه فلم يسمح لي - مع فقره - ببيع ولا عارية . . . إلى أن قدّر الله تملّكه في سنة 1291/690 فرأيته مجرد مسودات وجزازات ، وظهور وتخريجات ، وقد جعله من تجزئته أربعين جزءًا لم أجد منها سوى ستة وثلاثين ربطة وهي في غاية الاختلال لسوء الخط فضممت ما وجدت منه بعضه إلى بعض . . . واستخرت الله في تعليق ما نختاره منه ورغبت في إبرازه إلى الوجود . . . فإنه روضة المطالع ونزهة القلوب يسرّ به الخاطر ويقرّ به الناظر وسميت هذا الكتاب «نثار الأزهار في الليل والنهار» . . . واختصره ابن منظور اختصاراً مجحفاً فغيّر بعض أسماء أجزائه وحذف منه أقساماً مهمة جداً .

8 - قادمة الجناح في آداب النكاح .

9 - مشكاة أنوار الخلفاء وعيون أخبار الظرفاء ، قال الحميري في «الروض المعطار» : «وهو كتاب مطوّل حسن ممتع ضاهى به عقد ابن عبد ربه فأبدع» . إلا أنه نسبه لعمر التيفاشي ولم أجد تعريفاً بعمر هذا ، والمعروف بكثرة التصانيف وجودتها إنما هو أحمد التيفاشي ، ثم نسب الحميري للتيفاشي المذكور «قادمة الجناح» وقد مرّ أنه من مؤلفات المترجم له فيكون هذا دليلاً على وَهَم الحميري .

10 - نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب ، في المحاضرة والحكايات . (مخطوط في خزانة الرباط ، 333 كتاني) .

11 - الوافي في الطب الشافي ، جمعه كتاب أبي نعيم الأصفهاني الشفا المسند عن المصطفى فيما ورد من السند من غير تغيير في تبويبه (باختصار من كشف الظنون 1055) .

المصادر والمراجع :

- الأعلام 35/10،259/1.
- إيضاح المكنون 549/1.
- الديباج المذهّب 75/4.
- رايات المبرزين وغايات المميزين لابن سعيد الأندلسي ، تحقيق الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي (القاهرة 1973/1393) ص 145-146.
- شجرة النور الزكية 170.
- كشف الظنون 72، 233، 260، 742، 979، 1055، 1260، 1305.
- معجم المطبوعات 651-652.

- معجم المؤلفين 08/2.
- ورقات عن الحضارة 635/1، 2/448-460.
- الأعلام 273/1 (ط/5).
- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع 225-226.
- كشف الظنون 742، 979، 990، 1260.
- هدية العارفين 94/1.

* * *

110 - ابن التين (611 هـ) (1214م)

عبد الواحد بن عمر بن عبد الواحد بن ثابت المعروف بابن التين الصفاقسي، أبو عمرو، وأبو محمد، المحدث، الفقيه.

توفي بصفاقس وعلى قبره قبة صغيرة مستطيلة ذات شكل خاص على مقربة من ضريح الفرياني، وأدخل حديثاً في الجامع الجديد البناء الذي نسبوه إلى الإمام اللخمي.

له شرح على صحيح البخاري سمّاه المخيّر الفصيح الجامع لفوائد مسند البخاري الصحيح، يوجد الجزء الرابع منه في المكتبة الوطنية بتونس (مكتبة حسن حسني عبد الوهاب) وتوجد منه نسخة في مطماطة. ينقل في شرحه عن أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي[1]، وعن هذا الشرح ينقل الحافظ ابن حجر في فتح «الباري» مناقشاً له غالباً، ونقل عنه الزركشي في «التنقيح» وكان الحافظ الرحّالة محمد بن رُشَيْد الفهري السبتي يعتمد في شرح كلام البخاري على شرح ابن التين لأجل حضور البربر في مجلسه ومعتمدهم المدوّنة، وأبو عمرو في الكتاب ينقل المدوّنة وكلام شراحها عليها[2]، كما اعتمده في شرحه للبخاري الذي سمّاه إفادة النصيح في شرح البخاري الصحيح.

المصادر والمراجع:

- شجرة النور الزكية 168.
- نزهة الأنظار لمقديش 2 133.024.
- نيل الابتهاج 188.

1) هو طرابلسي توفي بتامسان سنة 1050/440 له النصيحة في شرح البخاري، راجع الديباج 35، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية 378/1، نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس الغرب من الأعيان لأحمد النائب الأنصاري، ص 71-70.

2) أزهار الرياض للمقري 350/2 في ترجمة ابن رشيد.

- هدية العارفين 635/1.
- الأعلام 273/1-274 (ط/5) .
- كشف الظنون 546.
- مقدمة ابن خلدون ص 443 (مط / مصطفى محمد، القاهرة، بلا تاريخ) .

* * *

حرف الثاء

111 – ثامر (1326 - 1367 هـ) (1909 - 1949 م)

الحبيب ثامر، الطبيب، والزعيم السياسي المناضل.

ولد بتونس وزاول تعلمه الثانوي بالمدرسة الصادقية إلى أن أحرز على دبلومها، ثم سافر إلى باريس والتحق بكلّيّة الطبّ وتخرج منها محرزاً على شهادة الدكتوراه في الطب.

وفي مدّة إقامته بباريس انتخبه طلبة المغرب العربي رئيساً لجمعية «طلبة شمال أفريقيا» وهي جمعية ثقافية سياسية، وعاد إلى تونس في موفي عام 1938 على إثر حوادث 9 أفريل التي القت فيها السلطة الاستعمارية القبض على زعماء الحركة الوطنية وخيم على البلاد جو ثقيل من الإرهاب والكبت وامتلأت السجون بالتونسيين. في هذا الظرف الدقيق سعى المترجم له إلى تنظيم حركة الكفاح السري ضد عدوان الاستعمار، والشعب لم يقابل هذا الطغيان بالاستسلام بل قاومه بعنف فقد استمرت المظاهرات وتعددت أعمال التخريب. وظل المترجم له يقود الحركة الوطنية سرياً في إطار محدود المدى إلى أن إنهزمت فرنسا في الحرب العالمية الثانية سنة 1940 فرأى أن يوسع نطاق عمل الحركة الوطنية ويجعلها شاملة لعدة ميادين، فظهرت كثير من الصحف الوطنية، وأسس المدارس لتعليم اللغة العربية، وفكر في إنشاء النقابات والمنظمات المهنية وتمكن من بعث الوعي بالتضامن واستمرار مقاومة الاستعمار عن طريق الاجتماعات المستمرة التي طالب فيها الوطنيون بإطلاق سراح الزعماء بإلحاح.

في هذا الظرف الحرج المتأزم تولى المترجم له قيادة مظاهرة كبرى إلى قصر الباي بحمام الأنف، وحاولت السلطة الاستعمارية تشتيت هذه المظاهرة لكنه تمكن من الاتصال بالباي وقدم له عريضة تتضمن وجوب الإسراع بإعلان سقوط الحماية، والسعي في إطلاق سراح القادة السياسيين والمساجين، وإثر خروجه من قصر الباي القت السلطة الاستعمارية عليه القبض وأودعته السجن لمدة أربعين يوماً، ولم تكن هذه الحادثة لتفل من عزيمته الصلبة القوية فآستأنف الكفاح من جديد فدعم الحركة الوطنية السرية، ولما رأىَ صولة الاستعمار وعسفه وتفانيه في خنق الحركة الوطنية سعى في الهجرة إلى المشرق العربي خفية في جانفي 1942 فوصل إلى الحدود الليبية ومنها ألقى عليه القبض وسيق إلى السجن، وحاكمته المحكمة الفرنسية بتونس في 18 فيفري 1942 بتهمة التآمر على أمن الدولة وصدر عليه حكم يقضي

بسجنه عشرين عاماً والنفي مثل هذه المدة، ولم يلبث في السجن الا بضعة أشهر لتبدل الظروف وتغير الأحوال، فقد تولى الملك محمد المنصف باي، ونزلت جيوش المحور بتونس فأفرج عنه في ديسمبر 1942، وهذا المناضل العنيد لا يرهبه السجن والمضايقات الاستعمارية فبمجرد خروجه من السجن استأنف النضال فنظم شؤون الحزب الحر الدستوري الجديد وتجديد تشكيلاته، وأصدر جريدة «إفريقيا الفتاة» الناطقة بلسان الحزب والتي خدمت القضية الوطنية بحماس وجد، وساهم في تحريرها شبّان وطنيون كرشيد إدريس. وعاد الزعماء المساجين إلى البلاد في 9 أفريل 1943 وظل مواصلاً للعمل بنشاط إلى 6 ماي من تلك السنة [وهو تاريخ دخول الحلفاء الى تونس] فغادر البلاد خشية الوقوع في قبضة الفرنسيين الناقمين عليه فالتحق أولاً بإيطاليا ثم برلين وأخيراً بباريس. وحاول الالتحاق باسبانيا مراراً عديدة لكنه وجد صعوبات وممانعة من الألمان، وحاول ذات مرة الوصول إلى اسبانيا بواسطة قارب صغير وغرق هذا القارب في وسط البحر فقطع بقية المسافة سباحة حتى وصل الشواطىء الإسبانية، والقت عليه السلطة الإسبانية القبض لاشتباهها في أمره، ولم تطلق سراحه الا بعد أيام من البحث والتحري، وبقي بإسبانيا بضع سنوات برفقة جمع من إخوانه المناضلين ووجهت له دعوة في الالتحاق بمصر فنزل بالقاهرة يوم 10 جوان 1946، وبذل نشاطاً كبيراً في الصحافة المصرية وفي مكتب المغرب العربي للتعريف بالقضية التونسية كما عرّف بقضايا المغرب العربي. وفي مدة إقامته بالشرق كان كتلة من النشاط الدائب خدمة لوطنه فقد قام برحلات كثيرة وألقى المحاضرات العديدة في نوادي الأحزاب السياسية ونوادي الطلبة معرفاً بقضية وطنه تونس وبقضايا المغرب العربي.

وفي 23 نوفمبر 1948 عينه الحزب للمشاركة في المؤتمر الإسلامي الاقتصادي المنعقد بباكستان وعرف فيه بالقضية التونسية وشهر بسياسة القمع الاستعماري فيها، وبعد انتهاء المؤتمر قبل دعوة حكومة باكستان فزار عدة مدن باكستانية وألقى فيها المحاضرات عن تونس وعن كفاح المغرب العربي في سبيل التحرر.

وكانت نهاية المطاف في هذه الجولة وفاة هذا البطل المناضل في ظرف عصيب كان وطنه ما زال في حاجة إلى كفاحه فقد لقي حتفه في اصطدام الطائرة التي كان راكباً فيها في جهة بشاورلاهور في يوم 13 ديسمبر. وهكذا طويت صفحة هذا المناضل الكبير ذي الحركة والنشاط والشجاعة والعزيمة.

ترك تأليفاً وحيداً هو «هذه تونس» المطبوع في القاهرة سنة 1948، وهو كتاب تاريخ للبلاد لا سيما في العصور الحديثة ولسير الحضارة فيها إلى أن ابتليت بالاحتلال الفرنسي وتتبع فيه أطوار الكفاح ضد الاستعمار، وبسط بأطناب أحوال تونس السياسة والاجتماعية والاقتصادية في عهده، وفضح طرق وأساليب الاستعمار في الاعتداء على الحريات وإصدار القوانين الجائرة التي تخدم غاياته وأغراضه ومحاولة هذا الاستعمار إدماج الشعب وتتبع خطر

سرطان الاستعمار في مختلف الميادين كالتعليم والقضاء والصحة والإدارة.

المرجع :

الحبيب ثامر (سلسلة عظماء بلادي) لرشيد الذوادي ط تونس سنة 1977.

* * *

112 – الثعالبي (1291 - 1363 هـ) (1879 - 1944 م)

عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمان الثعالبي، الزعيم السياسي، والخطيب الساحر والكاتب المفكر، والمصلح الإسلامي، والمؤرخ. أصله من أسرة جزائرية هاجرت إلى تونس بعد الاحتلال. ولد بتونس ونشأ في كنف جده الذي شارك في المعارك ضد الاحتلال الفرنسي وكان جسمه لا يخلو من أثر الجراح.

ودخل المترجم له الكتاب فحفظ القرآن، وأتم الدراسة الأولية في البيت على مدرس خاص، فقرأ النحو والعقائد وشيئاً قليلاً من الأدب، ثم دخل مدرسة باب سويقة الابتدائية ثم التحق بجامع الزيتونة، ومن أشهر شيوخه العلامة الشيخ سالم بوحاجب، كما تابع دروس المدرسة الخلدونية ومن أبرز أساتذته فيها أبو النهضة البشير صفر، وبارح جامع الزيتونة قبل إتمام الدراسة والإحراز على شهادة التطويع.

وفي سنة 1907 عمل في حزب الزعيم علي باش حانة (الشباب التونسي) وكتب في جريدتي «المبشر» و «المنتظر» فعطلتهما الحكومة، ثم أصدر جريدة «سبل الرشاد» التي عطلتها الحكومة بعد سنة من صدورها، وأصدرت قانوناً قيدت به الصحافة، وبعد تعطيلها سافر إلى مصر سنة 1901، وهناك التقى بالشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا وجلس في حلقتيهما، وتأثر بدعوتهما في الإصلاح الديني والاجتماعي. قال العلامة المرحوم الشيخ محمد الفاضل بن عاشور: «وبلغ السيل الزبي سنة 1901/1320 لما ظهر بمدينة تونس شاب كان من طلبة جامع الزيتونة والخلدونية المنقطعين للشيخ سالم بوحاجب والأستاذ البشير صفر. أصدر جريدة سماها «سبل الرشاد» ولم يلبث أن عطلها وسافر إلى الأستانة ومصر، وعاد منهما غريب الشكل والنزعة والمنطق والقلم، يتكلم بأفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ويعجب بالكواكبي وحسن حسني الطوبراني وعلي يوسف، ويدعو إلى التطور والحرية وفهم أسرار الدين وأسرار الوجود، ويغري بمقالات الحكماء والطبيعيين، ذلك هو الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي لم يكد يرجع من مصر حتى أحاطت به هالة من أهل العلم والأدب وأصبحت الزم له من ظله، فكان ينتقل بهم في مجامع العاصمة نادياً سياراً مأخوذين بحلاوة

تعبيره وفصاحة منطقه وقوة عارضته ومقدرته على تحليل المواضيع استرسالاً بلا ملل ولا فتور، وبدأ الناس يلتقطون من كلامه سقطات في مسائل الخلاف بين الصحابة والأولياء والكرامات، ويشيعونها على وجهها أو على غير وجهها حتى بلغت اسماع كبار الشيوخ الناقمين على التطور فأثارهم ثورة أدمجت الخلدونية و[مجلّة] المنار والثعالبي، وتقدمت دعوة إلى النيابة العمومية، وجرت المرافعات، والرعاع يترصدون الثعالبي في ذهابه إلى المحكمة ورجوعه يهاجمونه بالسب والأذى، ثم حكم عليه بالسجن، فكان أول مظهر لتمييز الحركة الجديدة وإقامة الفوارق بين مناهج التفكير السابقة وكان ذلك عاملاً على تكوين عطف الكثيرين عليه وتقوت الحركة الإصلاحية به وبنكبته».

وفي سنة 1910/1328 أسس جمعية تمثيلية اسمها جمعية الآداب، ثم أسس جمعية أخرى «جمعية الشهامة العربية». في سنة 1903، زار الجزائر والمغرب ورجع إلى تونس سنة 1904، ولم يتردد في مهاجمة الأولياء في الأماكن العامة، وهذا الموقف حاكمته من أجله محكمة الدريبة بشهر سجناً، وبعد خروجه من السجن التحق بحزب الشباب التونسي الذي كان في حالة تكوين، ولم يلبث أن أصبح من أعضائه الأكثر نشاطاً.

وعند رجوعه من المشرق كان الجو السائد في البلاد لدى القادة والصحفيين هو التنويه بمهمة فرنسا التمدينية في البلاد، وتقديم المطالب إلى السلطة الاستعمارية في استحياء وتذلل، فبدل المترجم له اللهجة فكان طالب حق قوي اللهجة لا تملق فيها ولا استخذاء، ولنعلم أسلوب القادة إذ ذاك – في مخاطبة الاستعمار لنرجع إلى ما قاله الأستاذ البشير صفر في سنة 1906 في الاحتفال بمناسبة تدشين التكية بمحضر المقيم العام، فقد أشاد بعمل فرنسا التمديني، ولمح في استحياء إلى ضرورة إجراء الإصلاحات الكفيلة بتخفيف بؤس الشعب التونسي مع أن الشعب بلغ في تلك الفترة حداً كبيراً من البؤس والفاقة، وقد اعتبر هذا الخطاب ضرباً من الجرأة فلقي تأييداً من المهتمين بالسياسة كما هاجمته هجوماً عنيفاً جريدة «تونس الفرنسية» لسان حال المعمرين دعاة التفرنس والإدماج.

والإشادة بعمل فرنسا التمديني لم يسلم منها المرموقون من زعماء تلك الفترة مثل علي باش حانبة الذي أصدر سنة 1907 جريدة «التونسي» وهي فرنسية اللسان، فقد كتب في افتتاحيتها الأولى ما يلي «لقد بدأ عمل فرنسا التمديني يأتي أكله في تونس، فهنالك جيل جديد تثقّف باللغة الفرنسية، وأنطبع بأفكارها الكريمة بدأ اليوم يأخذ مكانه في التجديد القائم، وهو إيماناً بهذا المبدأ ينشىء جريدة التونسي. يلي ذلك عرض للمطالب التونسية وهو إعادة لما نادى به البشير صفر في خطابه ونصفه مدائح لفرنسا «نرجو أن تعمد فرنسا انسجاماً مع تقاليدها ومثلها العليا الديمقراطية أن تمنح التعليم المجاني الابتدائي» وبالحاح من صاحب الترجمة صدرت نشرة عربية عن جريدة «التونسي» سميت «الاتحاد الإسلامي» تولى تحريرها بنفسه.

ونشأ نوع من التجمع الشعبي حول جامع الزيتونة والمدرسة الصادقية ونادى طلابهما بضرورة إصلاح مواد ومناهج التعليم وخاصة بجامع الزيتونة، وذلك قبل تنفيذ الشيخ محمد عبده الإصلاح في الأزهر. وفي 10 أفريل 1910 قدم الطلاب عريضة مطالبهم إلى وزير القلم بعد أن قاموا بمظاهرة امتدت على مقربة من جامع الزيتونة إلى القصبة، فقبضت الشرطة على اثنين منهم، فتدخل جماعة جريدة التونسي (حزب الشباب) وخطب علي باش حانبة في الطلاب مهدئاً، ونجحت في النهاية وساطته بينهم وبين الحكومة.

وكان المترجم له يكتب المقالات الطويلة دفاعاً عن قضية الطلاب حتى أنهم اعتبروا جريدة «الإتحاد الإسلامي» جريدتهم، وخصص لهم قسماً من الجريدة يحررونها بأنفسهم لعرض قضيتهم.

ونجح الطلاب في الحصول على بعض مطالبهم، وخرج مَن سجن منهم وعددهم ثمانية، ونظموا مظاهرة كبرى حملوا فيها رفاقهم على الاكتاف، وخطب فيهم جماعة حزب الشباب ومنهم المترجم له.

ويوم أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا في 29 سبتمبر 1911 ونزلت بجيوشها في ليبيا برز المترجم له قائداً شعبياً تلتف حوله الجماهير فقد سخر طاقاته من قلم ولسان للدفاع ضد الغزو الاستعماري، وشد أزر المقاومة وتعاون مع القادة الأتراك في تنظيم بديع وتوزيع محكم للمسؤوليات، فقد كانت مثلاً صفاقس مركز اتصال بليبيا عن طريق القرية البحرية نُقّطَه الواقعة غربيها والبعيدة عن أعين الرقباء والجواسيس وكل الفضوليين، حتى الضباط الأتراك كانوا ينزلون في صفاقس ومن هناك يوجهونهم خفية إلى نقّطة فيركبون البحر في طريقهم إلى ليبيا. وإثر حوادث الزلاج ومن غير أن يكون مسؤولاً عن هذه الحوادث مباشرة فقد ساهم بفضوله في خلق حالة فكرية تؤيد هذه الاضطرابات، وامتزج بأحداث الترمفاي، فنفي من تونس في شهر مارس 1912، فسافر إلى فرنسا مع علي باش حانبة، ومحمد نعمان، ومنها الى إستانبول، ثم عاد إلى فرنسا، وفي مدة إقامته بفرنسا إتصل هو وعلي باش حانبة بالأوساط السياسية والفكرية، فتألفت لجنة لدراسة المسائل الوطنية في البرلمان برئاسة الوزير السابق «جورج لييج». ثم رجع إلى تونس بعد طرح قرار النفي.

وقامت أكاديمية آستريه بدراسة واسعة عن مستقبل العلائق بين فرنسا والمستعمرات، وتألفت جمعية «أصدقاء المعمرين والأهليين» في البلدان المحمية، «وجمعية الاتحاد الفرنسي الأهلي» وبدأت بعض الأصوات الفرنسية ترتفع ضدّ الحكم في المستعمرات.

وعاد إلى تونس والحرب العالمية قائمة، ولما انتهت الحرب ارتأت نخبة من رفاق علي باش حانبة البدء بعمل سياسي منظم. وعقد أول اجتماع في أفريل سنة 1919 حضرة ثلاثون مندوباً من المسلمين وثلاثون من اليهود وظهرت في المناقشات خلافات في الآراء والمترجم له يقود

المتشددين المطالبين بدستور وحكم ديمقراطي والقائلين باستعمال كل الوسائل الدعائية لبلوغ الهدف، والأعضاء اليهود وبعض المسلمين يقتنعون بالحصول على إصلاحات تدريجية، ولعدم حصول الإتفاق عقد إجتماع ثان تخلف عنه اليهود وانبثق عن هذا الاجتماع ميلاد الحزب الحر التونسي في سنة 1919 بقيادة المترجم له وأحمد الصافي وحسن قلاتي (بالقاف المعقدة). وأوفد الحزب الأستاذ أحمد السقا إلى باريس لعرض المطالب التونسية ورئيس الولايات المتحدة ويلسن في باريس حاضراً في مؤتمر الصلح ومعه بنوده الأربعة عشر، ولم ينجح الأستاذ السقا في مهمته فتقرر إرسال المترجم له في أوت 1919 ولما وصل إلى باريس عرّف بالقضية التونسية لدى الأوساط السياسية، واستخدم التونسيين المقيمين في باريس والعرب عامة الذين بهرتهم شخصيته وبلاغته ونجح في مهمته، واتصل بالزعماء الاشتراكيين وربط معهم أواصر الصداقة، ونظم الاجتماعات وكتب في الصحف، وظهرت مواهبه الخطابية وهيمنته على مستمعيه وقدرته على إقناعهم.

وكون صداقات عديدة خاصة مع الزعيم الاشتراكي مارسال قاشان (M.Cachin) الذي مكنه من عرض القضية على مجلس النواب. واجتمع بلجنة حقوق الإنسان التي وعدت بالإهتمام بالقضية التونسية، وانتسب إلى عدة جمعيات منها «اللجنة الفرنسية الشرقية» و «اللجنة الفرنسية الإسلامية» وأسس «جمعية الطلاب التونسيين» كما أسس بالاشتراك مع شارل جيد «الجمعية الفرنسية التونسية».

وفي هذا الفترة أصدر كتابه «تونس الشهيدة» غفلا من التوقيع، وعمل على نشره فأرسله بالبريد إلى كل المسؤولين في فرنسا، وأرسله إلى تونس بوسائله الخاصة، وعلقت عليه الصحف الفرنسية، ونشرت الصحافة الحرة بعض المقاطع منه، وأثار الكتاب ضجة ودوياً فألقى القبض على صاحبه في باريس في 28 جويلية 1920 وجيء به في عنبر باخرة مخفوراً إلى تونس بتهمة التآمر على أمن الدولة التونسية.

وفي 20 فيفري 1920 إجتمع أعضاء الحزب التونسي لوضع حد للخلافات القائمة بينهم، فاقترح الأستاذ حسن قلاتي أن تنحصر مطالب التونسيين في المطالبة بإصلاحات لتحسين أجهزة الإدارة دون مساس بنظام الحماية فأجابه الشيخ محمد الرياحي: بأنه يعارض أي تعاون مع الاستعمار، وأن الشعب التونسي يرفض الاحتلال الفرنسي وإعطاء أي حق لفرنسا على تونس. وتكررت الاجتماعات السرية إلى أن توصل الفريقان المختلفان إلى الإتفاق على برنامج عمل غايته الوصول إلى بعث دستور لتونس، واتفقا على إرسال لجنة لتُعاونَ الثعالبي في مهمته بباريس وأطلقوا على حركتهم اسم «الحزب الدستوري».

وقامت الإضرابات من أجل قضايا الأحباس في 10 أفريل سنة 1920 وسافر وفد برئاسة الأستاذ أحمد الصافي (الأمين العام للحزب) لعرض الموضوع على المسؤولين الفرنسيين فمكنه المترجم له بما له من علاقات واسعة من مقابلة العديد من المسؤولين في مختلف المنظمات.

ويبدو أن الأستاذ حسن قلاتي لم يكن راضياً عن سيطرة الثعالبي على الوفد لأن الغاية من إرسال الوفد هي إقصاء الثعالبي عن المواجهة وقال «إن الوفد التونسي الحقيقي الأول هو الذي سافر إلى باريس سنة 1920 برئاسة الصافي، ولكننا لم نحسب حساب قلة خبرته وقدرة الثعالبي الطاغية على الإغراء فقد هيمن هذا الساحر في لحظة على الوفد الذي خضع بعد تردد ومحاولات لا تقع فيها البلاغة وإقناع مؤلف تونس الشهيدة».

ولما خرج المترجم له من السجن بعد أن صدر من المحكمة قرار بمنع محاكمته في ماي 1921 أخذ اتجاهه يقوي ويشتد في تونس، وتضاءل أثر منافسيه، ولقي من العطف والتأييد ما لا سابقة له في تونس، ولم يغفر له ذلك خصومه وانقسمت الحركة الدستورية قسمين: قسم إصلاحي تدريجي، وقسم الرفض الذي يقوده الثعالبي ويمثل أكثرية الشعب.

وانفصل حسن قلاتي وأسس مع رفاقه حزب الإصلاح الذي يرضى بما يلقي إليه الإستعمار من فتات الإصلاحات وقاوم بمختلف الأساليب الحزب وزعيمه.

وتألم المترجم له من حملة جريدة «المضحك» الساخرة، فقد جعلت منه ومن كتابه «تونس الشهيدة» موضوع سخرية، وأغرت السلطة الاستعمارية حسن قلاتي بالثعالبي فأخذ يكيل الهجوم جزافاً، وثقل الجو على المترجم له وأحس للمرة الأولى باليأس. يضاف إلى هذا أن المقيم العام لوسيان سان أفهمه أن البلاد لا تتسع لوجوده فيها وأن يبارحها إلى حيث شاء وإلاّ يضطره إلى سلوك سبيل لا يرضاه من سجنه واضطهاده فبارح تونس مجبوراً في قالب مختار في 26 أوت 1923 متجهاً إلى الشرق وقد تكون مفارقته إلى تونس في ذلك الظرف الحرج من غلطاته التي يؤاخذ عليها، ومر بإيطاليا وأدلى بتصريح حمل فيه فرنسا التآمر على مقتل محمد الناصر باي وتجول بأقطار الشرق فأقام فترة بفلسطين، واحتفت به مدينة القدس وعمل فيها كما كان يعمل في مسقط رأسه لا فرق بين تونس والقدس. قال الأستاذ سامي الجندي «بل ربما أولى هذه ما لم يوله تلك لأنه يعلم أنها مهددة بخطر أفدح من الخطر المحيط بتلك ولأنها ثاني القبلتين ترتاح روحه للصلاة في أقصاها،» وأثناء إقامته بالقدس كلفه الشيخ الحاج محمد أمين الحسيني بتحضير المؤتمر الإسلامي الذي انعقد سنة 1932 فوضع نظامه، وكان أينما حل في أقطار الشرق العربي محل تقدير وإكبار وحفاوة، فأقام بالقاهرة فترة، ثم توجه إلى الحجاز، ثم توجه إلى الهند، ثم توجه إلى مسقط والبحرين والكويت. وفي كل قطر زاره يلقي الخطب البليغة في الدعوة إلى استنهاض الشعوب الإسلامية وإصلاحها على وفق ما كان يدعو إليه الشيخ جمال الدين الأفغاني.

وكانت أخبار تحركاته وتنقلاته تنشر في الصحف العراقية وبالنظر لما يعرفه العراقيون من نضاله وجهاده في سبيل العروبة والإسلام فقد قررت حكومة العراق وكانت إذ ذاك برئاسة ياسين الهاشمي توجيه دعوة له بزيارة العراق، فتقبل منها هذه الدعوة الكريمة بالشكر والامتنان. ويبدو أن هذه الدعوة كانت بإيعاز من الملك فيصل الذي تعرف به في إستانبول

كما تعرف به هناك جميل صدقي الزهاوي ، ومعروف الرصافي ، وغيرهم من رجال العرا

وصل إلى بغداد في 14 جويلية 1925، وما ان سمع قادة الفكر والأدب والسي بوصوله حتى سارعوا للسلامّ عليه والترحيب به لا سيما أولئك الذين كانت لهم معه م سابقة في إستانبول .

وأقام له أدباء بغداد حفلة تكريمية تقديراً منهم لجهاده ، ونضاله ولم يمض على إق أسبوعان ، وتقرر إقامة الحفلة مساء يوم 14 أوت 1925.

وفي هذه الحفلة ألقى الزهاوي قصيدة ، وبعده ألقى الرصافي قصيدة ، وقصيدة الزها مطلعها [طويل] :

وقفت نحيفاً بالعزيز أرحّب   فأنشد للتكريم شعراً فأطرب

ومنها :

أحييك يا عبد العزيز تحية   لها الحب أمّ والوفاء لها أبُ
أحييك من ضيف له بغداد نافست   به فهي عن احسابها اليوم تعرب
أحييك من حَبر رسا طود علمه   وبحر خضّم ماؤه ليس ينضب
لقد لحت في الزوراء تومض للهدى   كما لاح في جوف الدجُنَّة كوكب
حللت بها والروض ليس بمخصب   فما طل إلاّ وهو ريّان مخصب
رأيت رياح العلم في الروض باقياً   وكل رياح دون ذلك تذهب
إلى الأدب العصري للعرب حاجة   وأنك يا عبدَ العزيز المؤدب
وكم لك في الأيام من وطنية   بآثارها سرّت نزار ويعرب
وكم لك من قول جدير بأنه   على صفحات الدهر بالتبر يُكْتَبُ
ولم تغترر بالدهر قد سالم الحجى   لعلمك أن الدهر بالناس قُلَّب

إلى أن قال :

وما أنت إلاّ عالم ذو صراحة   بها الناس مهما أجفلت تتهذّب
كذلك نور الشمس إمّا تكشّفتْ   فإن بها الأرض الكريمة تخصب

وقصيدة الرصافي عنوانها : بين تونس وبغداد وهذا نصها [وافر]:

أتونُس إن في بغدادَ قوماً   ترِفُّ قلوبُهم لكِ بالوِداد
ويجمعهم وإيّاكِ انتسابٌ   إلى من خُصّ منطِقُهم بضادِ
ودين أوضحت للناس قبلا   نواصِعُ آيه سُبُلَ الرشادِ
فنحن على الحقيقة أهلُ قُرْبى   وان قضتِ السياسة بالبِعادِ

وما ضرّ العباد إذا تدانَتْ … أواصِرُ من لسانٍ واعتقادِ
وإن المسلمين على التآخي … وإن أغرى الأجانبُ بالتعادي
أتونسُ إن يحدك ذو انتماء … إلى عَلْيا نِزارٍ أو إيادِ
لنا (بثعالبيّك) خير ملق … على أشتاتنا حبلَ اتحاد
وأكبر حامل بيد اعتزام … لحب بلاده علَمَ التفادي
وأسمى من سما أدبا وعلمًا … وأفصح من تكلم عن سَداد
دع القولَ المُريبَ وقائليه … وسَلْ عنه المنابرَ والنوادي
تجدْه خطيبَها من كل خَطْبْ … ومِذْرَهها لدى كلِّ احتشاد
فتى صلحت عزائمه وجلّت … عن الروغان في طلب المراد
تغرب ضارباً في الأرض يبغي … مدى من دونه خرط القتاد
فأوغل في المفاوز والموامي … وطوّف في الحواضر والبوادي
وكان طوافه شرقاً وغرباً … لغير تكسّب وسوى إرتفاد
ولكن ساح لآستنهاض قوم … حكوا بجمودهم صفة الجماد
يغار على العروبة ان يراها … مهدّدة المصالح بالفساد
فأنّى سار كان له هَديرٌ … يَهزُّ دَويّه أقصى البلاد
وكم قد قام في نادٍ خطيباً … بمُحكَمَة المقاصد والمبادي
تنير بكهربائيّ المعاني … أموراً كن كالظُّلَم الدآد
تحِلّ من القلوب إذا دعتها … محلّ الحب من شَغَف الفؤاد
إلى أن جاء حاضرةً نماها … أبو الإيماء ذو الشرفِ التّلادِ
فكان نزوله في ساكنيها … نزولَ الماءِ في المُهَج الصّوادي
فيا عبد العزيز أقِمْ عزيزاً … بحيث الأرض طيبةُ المُرادِ
يحييك العراق برافديه … تحيةَ مُخْلص لك في الوداد

وكان المترجم له على معرفة سابقة بالملك فيصل ورستم حيدر رئيس الديوان الملكي في إستانبول وباريس، لذلك لم يكد يصل إلى بغداد حتى سارع بالسلام على الملك وشكره على تفضل حكومته بدعوته لزيارة العراق. واقترح عليه الملك فيصل أن يكون أستاذاً في (جامعة آل البيت) التي تم تأسيسها منذ سنة ببغداد، وشكر الثعالبي هذا اللطف وأيد ما أبداه وقال: أنا بانتظار جلالتكم، وغادر البلاط الملكي وهو مسرور بهذا اللقاء.

وبعد إجراءات باشر عمله الجامعي في مطلع سنة 1926، ودرّس بها مادة (الفلسفة الإسلامية) في الصف الثاني منها ومادة (حكمة التشريع) في الصف الثالث، ودرس هاتين المادتين خلال الخمس سنوات التي قضاها أستاذاً في هذه الجامعة إلى أن أصدر أمرٌ بإلغائها سنة 1930.

ونشرت له مجلة الجامعة محاضرة في الفلسفة الإسلامية في عددين كما نشرت له محاضرة في حكمة التشريع . وقد خصص صباح كل يوم جمعة ندوة يستقبل فيها أصدقاءه ومعارفه من الشخصيات السياسية والأدبية ، وكان في مقدمة هؤلاء جعفر العسكري ، وياسين الهاشمي وطه الهاشمي ، وفهمي المدرس ، وعبد اللطيف الفلاحي ، ومنير القاضي ، ويوسف العطار ، وغيرهم .

وكانت اجتماعات هذه الندوة السياسية والأدبية تحفل بشتى الأحاديث التاريخية والسياسية والأدبية التي تتناول شؤون الساعة في الوطن العربي مشرقة ومغربه وما يجد من أحداث وتطورات في شتى مجالات الحياة العامة . وعندما انتدبت الحكومة العراقية الأستاذ أحمد حسن الزيات لتدريس آداب اللغة العربية في مدرسة دار المعلمين العليا ببغداد في نهاية سنة 1929 كان في مقدمة الذين سعى إلى التعرف بهم الشيخ الثعالبي فكان يحضر ندوته الأسبوعية ويشارك في أحاديثها الأدبية وغيرها ، ومن رواد هذه الندوة محمد بهجت الأثري ، ومعروف الرصافي قبل انفصام رابطة الصداقة بينهما .

في نهاية السنة الدراسية في مطلع سنة 1930 أقرت الحكومة إلغاء جامعة آل البيت والاستعاضة من ذلك بإرسال البعثات إلى مصر على حساب وزارة الأوقاف ، وتوقف صرف راتب الثعالبي الأمر الذي جعل البلاط المالكي يتدخل في ذلك وطالب أن تسدد رواتبه لغاية السنة الدراسية بما فيها أشهر العطلة .

وتقرر تعيينه مراقباً لبعثة الأوقاف في مصر .

وبعد أن تقاضى رواتب العطلة الصيفية غادر بغداد في سبتمبر 1930 بعد أن أقام بها مدة خمس سنوات كان له في أوساطها السياسية والثقافية والأدبية والاجتماعية ذكريات طيبة كانت وما تزال حديث المجالس والمنتديات .

ورجع إلى تونس في صيف 1937 ونظم له الحزب الحر الدستوري الجديد احتفالاً رائعاً بساحة قامبطا وألقى فيها خطاباً رائعاً ، وبعد مدة حدث الخلاف بينه وبين الحزب الجديد الذي يتزعمه المجاهد الأكبر الرئيس الحبيب بورقيبة ، وكأنه لم يدر أن الأحوال تغيرت أثناء أربع عشرة سنة من غيابه في المشرق ، وأصبحت قيادة الجماهير بيد بورقيبة قائد وزعيم الحزب الدستوري الجديد ، فرأى أن الجماهير ليست معه ، وألقى عليه الظل فأنعزل عن المجتمع ولزم داره ولولا بعض الفصول التي كان ينشرها بين الحين والآخر في جريدة «الارادة» لسان حال الدستور القديم ما شعر الشعب بوجوده ، وفي هذه الفترة كان منزله منتدى يحضره المنتمون للحزب القديم وأعضاء هذا الحزب ، وتدور الأحاديث المختلفة ويلقي أحياناً محاضرات في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، وحضره مرات مدرس بجامع الزيتونة وشاعر أيضاً ما زال يقيد الحياة للتجسس ونقل الأخبار إلى السفارة الفرنسية عن طريق الهاتف بالبريد ،

واستوثق من صحة الخبر بإرسال السيد محيي الدين القليبي لإدارة البريد صحبة السيد محمد بن عبد القادر للاستماع إلى ما يقوله الشيخ عن طريق الهاتف، ولما تبين صحة هذا الخبر طرد هذا الشيخ من منزله شر طرد في الجلسة الموالية.

رحمه الله وغفر له، وأنا لا أعتبره معصوماً فهو كسائر البشر يخطىء ويصيب وان كان أخطأ فعن سلامة نية وحسن قصد، وقد خدم بلاده وقضايا العروبة والإسلام خدمات جُلّى ولم يدخر وسعاً في سبيل العمل النافع المفيد، وقد كان على جانب عظيم من الثقافة وسعة الاطلاع، وكانت له آراء سديدة في الشؤون السياسية والاجتماعية، والدينية والفلسفية، وهو من الذين جاهدوا في سبيل الوحدة الإسلامية أولاً ثم في سبيل الوحدة العربية.

وكان من المشتغلين بالعلم والأدب والبحث والتأليف وكان من أقدر الخطباء في عصره حتى قال الرصافي «لم أر أخطب من عبد العزيز التونسي».

توفي في شوال / أكتوبر.

مؤلفاته :

1 - تونس الشهيدة، نقله إلى العربية الأستاذ حمّادي الساحلي (دار الغرب الإسلامي 1984) ويقول العارفون بأنه أدق من ترجمة الأستاذ سامي الجندي.

2 - رحلة دوّن فيها انطباعاته ومشاهداته عن البلدان التي رحل إليها وجال فيها في أربعة أجزاء، ضاع منها في السنوات الأخيرة جزءان لأن أحدهم (ويقال أنه الشيخ عبد الرحمان اليعلاوي) استعارها ولم يرجع الجزءين إذ أعارهما لشخص آخر لم يتورع عن عدم الإرجاع.

3 - تاريخ شمال افريقيا في 8 أجزاء، ذكر ذلك في مجلة المعرفة المصرية لصاحبها السيد عبد العزيز الإسلامبولي أطلعني عليها زميل في الدراسة السيد علي بن المكي المرزوقي عضو مجلس الأمة وفاتني إن اخذ مذكرة منها.

4 - معجز محمد في السيرة مطبعة الإرادة تونس 1938/1357 الجزء الثاني والأول لم يطبع.

5 - روح القرآن الحرة، ألّفه بالاشتراك مع الهادي السبعي وسيزار بن عطار (تونس 1905).

6 - له محاضرة عنوانها: ابن خلدون، حياته وكتبه القاها في تونس سنة 1911، لخّصها الصادق الزمرلي في المجلة التونسية (الفرنسية اللسان) ج 18 (1911) ص 532-536 (مؤلفات ابن خلدون د. عبد الرحمن بدوي ص 366).

المراجع :

- الأعلام 136/4، 126/10.
- الأعلام الشرقية لزكي مجاهد 148/1، 149.
- معجم المؤلفين 240/5.
- مقدمة تونس الشهيدة المترجمة سامي الجندي ص 5-24.
- أركان النهضة الأدبية 55، 56.
- الحركة الفكرية والأدبية بتونس 57، 58، 113، 114، 119، 123.
- عبد الرزاق الهلالي مجلة المورد م 18 العدد 3 خريف 1979 ص 463، 478.
- الأدب العربي الحديث في معركة المقاومة والتجمع من المحيط إلى الخليج لأنور الجندي (مط.الرسالة، القاهرة 1969) ص 126-128.
- المحافظة والتجديد في النشر العربي المعاصر في مائة عام لأنور الجندي ص 421-424.
- عبد العزيز الثعالبيّ رائد الحرّيّة والنهضة الإسلامية لأنور الجندي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1984) عن حياته ونضاله السياسي والعلمي والثقافي ورحلاته الواسعة ومساعيه في العالم الإسلامي على مدى أربعين عاماً قضاها كلها مغترباً مناضلاً عن قضايا العرب والمسلمين.

التعريف بالأدب التونسي لرضوان إبراهيم ص 63-64.
- النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962 لمحمد صالح الجابري (الدار العربية للكتاب 1981) ص 265، 266، 273، 274، 275.
- أصول الحركة الوطنية في تونس 1904-1934 منشورات الجامعة التونسية كلية الآداب 1962 (بالفرنسية) لعلي المحجوبي 128، 135، 138، 188، 201،
وصفحات أخرى كثيرة ينظر في فهرس الأعلام في آخر الكتاب.

* * *

فهرس الجزء الأول

ب

ث

دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان
لصاحبها الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء ، بناية الأسود

تلفون البناية : 340131/2 تلفون مباشر : 350331 ص . ب . 113-5787 بيروت ، لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم	:	1994 - 1000 - 14
الطباعة	:	دار صادر – بيروت

BIOGRAPHIES DES AUTEURS TUNISIENS

par

Mohamed MAHFOUDH

Vol. 1

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI